

# المختار العريب

في شتاتنا

---

(تأليف وترجمة)

محمد رياض بك

(الذي كان مفتشا بنظارة المعارف)

---

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

---

طبع بالمطبعة الجمالية بحارة الروم بمصر

سنة ١٣٣١ هـ — ١٩١٣ م

# المنهج العربى

فى اللسانين

( تأليف وترجمة )

محمد دياب بك

( الذى كان مفتشاً بنظارة المعارف )

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

طبع بالمطبعة الجمالية بحارة الروم بمصر

سنة ١٣٣١ هـ — ١٩١٣ م

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لله أمة العرب : أمة أخرجها الاسلام من ظلمات  
الجهالة الى نور العرفان ، ورفعها من حضيض الخمول الى  
أوج الظهور : فوضعت أصولا تقوّم لسانها ، ودوّنت  
معجمات تجمع شتات لغتها ، واستنبطت شريعة من  
القرآن والسنة ، فأخذ الناس بأحكامها ، فاستقامت شؤونهم  
في هذه الحياة ، وضربت بسهام في علوم شتى كالطب والفلسفة  
والمنطق والرياضة والهيئة ووصف الارض وما عليها . ولم  
تقف عند هذا الحد بل عربّت علوم اليونان . وكانت  
مدارسها في بغداد وقرطبة والقاهرة وأصفهان وسمرقند  
وغ غيرها وسائل لنقل هذه العلوم الى أوربا فاستضاء أهلها  
بنبراسها وهبوا من سباتهم . وقد امتد سلطان الامّة  
العربية شرقا وغربا من نهر الكنج الهندي الى







اذن الشغل ٦٩٩  
الطالب ٩٤١-٩٤٩  
الطبيب د. سعاد  
التاريخ ٢٧ ٧/٢٥





اليكم يا بني مصر كتابا \* حوت آياته سمجر البيان  
حوى تاريخ اندلس قديما \* وكان ذووه غرب القير وان  
تروا ملكا كبيرا شبيبه \* وقد لعبت به أيدي الزمان  
نعم بقيت لهم آثار مجسد \* تدل على حياة ذات شان  
تموت الناس تاركة رسوما \* توقعنا على كنه المعاني  
المؤلف

فرنجة : فأجهزت على مملكة الكاسرة ، ودهورت دولة  
الرومان ، وقضت على ساطنة القوط في اسبانيا ، ونقصت من  
أطراف بلاد الغال .

كل هذا تراه مبسوطا في كتب التاريخ العربية والفرنجية  
الا أن تاريخ دولة العرب في اسبانيا في الاولي أقل استيفاء من  
تاريخ دولهم في المشرق . تراه فيها مبعثرا مفقود بعض الحلقات  
كعقد مختلف حبه نوعا وشكلا انفرط لو هن سلكه فتبدد  
وضاع بعض الحب . وقد رأينا مؤرخي الفرنج يوسمون القول  
في تاريخ هذه الدولة مع الترتيب والتنسيق والتدقيق قارين  
الحوادث بأسبابها ، وقد أثوا على أمور كثيرة اغفلها غيرهم  
لا سيما المؤرخ كندى الاسباني <sup>(١)</sup> والمؤرخ رومي الفرنسي  
فقد أتيا بالعجب العجيب مما تشلق اليه النفوس ويلذ سماعه  
الآذان ونعلم منه ما بلغت الدولة العربية الاسبانية من

---

( ١ ) نقل تاريخه من الاسبانية الى الانجليزية السيدة  
( چونان فوستر ) وما أخذناه منه عربي من الانجليزية ولدنا  
على مراد أفندي

عظمة الملك والرقى في العلوم والفنون والصناعات واما  
العدل بين الناس على اختلاف مللهم ونحلهم ، وكانت حضارته  
أساسا بنت عليه أوربا حضارتها .

من أجل ذلك عنى أن أضع مصنفاً في تاريخ هذه  
الدولة جامعا لشذراته المتفرقات ، مستخلصا الحقائق من  
تبرها ، ناصاً على الفروق بين طبيّات الاقاول وزيوفا ، معتمد  
على ما أخذت من عربية وفرنجية كتواريخ ابن الاثير وابن  
خلدون والمقرئ وابن عذارى وعبد الواحد المرّاكشى  
وروى وكندى ودوزي . فتم وافيا بالغرض المقصود في  
سنة ١٣٣٠ لهجرة محمد صلى الله عليه وسلم ، وسنة ١٩١٢  
لميلاد عيسى عليه السلام ، في عصر تبوأ فيه أريكة ملك مصر  
سمو عزيزها العظيم الشأن ، مولانا (ع) عباس حلمى الثانى (ع)  
أيّد الله دولته ، وأسعد به أمته . والحمد لله على الكمال

محمد دياب

## اسبانيا قبل الفتح الاسلامى

١ اسبانيا تكاد أن تكون هي والبرتغال جزيرة في جنوب أوروبا الغربى والعرب يسمونها جزيرة الاندلس . في شمالها الشرقى فرنسا مفصولة عنها بسلسلة من جبال البرانس PYRÉNÉS أو جبال اليرت أو اليرتات أو جبال الابواب ( ١ ) وفي جنوبها مرا كش يفصلها عنها مجاز جبل طارق وفي غربها البحر المحيط وفي شرقها البحر الرومى أو

---

١ في دائرة المعارف « البرانس جبال تفصل فرنسا عن اسبانيا » وفي الجزء الاول من فتح الطيب ص ٦٦ المطبوع في المطبعة الميرية « في الحاجز الذى يوصل بين الاندلس والارض الكبيرة جبل اليرت وفيه الابواب التي فتحها ملك اليونانيين بالحديد والنار والحل ولم يكن الاندلس من الارض الكبيرة قبل ذلك طريق في البر » وفيه ص ٦٧ « بين البحر المحيط والبحر المتوسط البر الذى يعرف بالابواب وهو المدخل الى بلاد الاندلس من الارض الكبيرة ومسافته بين البحرين مسير يومين » اه ولفظة ( برت ) أفريقية معناها الباب عربت وجمعت على ( يرتات ) - جاء في نزهة المشتاق في الجزء الاول من الاقليم الخامس « يسد ما بين البحر المظلم وهو بحر الانقليش وبحر الشام جبل عظيم يمتد من مدينة بيوتة الى أرض يرشلوثة يسمى جبل اليرتات ويحجز بين بلاد الاندلس وبلاد الافرنجيين وطول هذا الجبل من الشمال الى الجنوب مع سير تقويس سبعة أيام وفيه أربعة ابواب احدها في ناحية يرشلوثة ويسمى برت جاقة وثانيها يسمى اشمرة وثالثها برت شازرو ورابعها برت بيوتة ويتصل بكل برت منها مدينة في الجهتين فإيلي برت شازرو مدينة بنبلوثة » . وقد وهم من سمي هذه الجبال بالبرن أو اليرتات بالنون بعد الراء وأما لفظ ( برانس ) فيقرب من اللفظ الاسباني

بحر سفيد المعروف بالبحر المتوسط

٢ أوائل سكانها قوم يعرفون بالاييريين IBÉRES ولذا كان يطلق عليها اسم ايير يا IBÉRIE وقيل أن هذا الاسم مأخوذ من اسم نهر فيها كان يسمى ايير IBER وهو ابره EBRE الآن  
٣ ثم اهتمت اليها تجار الفنيقيين قبل المسيح بعدة قرون (١) حين ملاحظتهم على شواطئ افريقية ووصلهم الى المجاز الفاصل بين القارتين فدخلوها وراقهم جمال أقليمها وشاهدوا خصب أرضها وغنى معادنها فكانوا يترددون اليها ويقدمون للأيبيريين عروض تجارتهم قليلة القيمة ولكنهم جميلة الصنع كأوان زجاجية وأقمشة منقوشة وملابس موشاة وحلى للنساء ويبيعونها بمعادن الذهب والفضة والحجارة الكريمة والا نبتة والاصواف أى بأنفس ثمرات البلاد . ولهذا الغرض اقاموا في أرضها مدائن ذات اسواق تجارية وأنشؤا على شواطئها نزلات بحرية كنزلة قادس CADIX وكانوا يعيشون مع قبائلها على صفاء ووداد لا سيما من لهم شأن في توسيع تجارتهم

وقد سرت في أهل ايير يا حضارة الفنيقيين وفنونهم ولغتهم وأخلاقهم وكذا عبادة معبودهم هر قول ولذا كان يطلق على جبل طارق وجبل سبتة عمودا هر قول LES DEUX COLONNES D'HERCULE وكان القدماء يعتبرون أنهما الحد الغربي للأرض بأسرها

١ قبل خمسة عشر قرنا وقيل اثنا عشر وقيل عشرة قرون وقيل سبعة

ومن عصرهم غلب اطلاق اسم ( اسبانيا ) على ( اييريا ) قال  
رومى المؤرخ ماتيرييه بتصرف « تضاربت الأقوال فى اشتقاق  
هذا الاسم والذي يغلب على الظن منها انه مأخوذ من لفظة ( اسبان  
SPAN ) الفينيقى ومعناه المحتجب او المستور فان هذه البلاد كانت  
بعيدة عن الفينقيين ومحتجة عن انظارهم فى نهاية الارض جهة الغرب  
وقيل سموها بذلك لانهم رأوا فيها الارانب كثيرة والأرنب بلغتهم  
( اسبان ) أيضا واختار الرومان ذلك فان وسام ( أدريان ADRIEN )  
الامبراطور الرومانى ( من سنة ١١٧ م الى سنة ١٣٨ م ) صورت فيه  
اسبانيا بصورة امرأة بجانبها أرنب واليونان سموها ( هسبيريا  
HESPERIA ) أى بلاد الغرب بالنسبة الى بلادهم فان لفظ  
( هسپيرا HESPÉRA ) معناه باليونانية المساء أو الغرب « وقال  
فى موضع آخر « كانت حكومة الفينقيين فى اسبانيا جمهورية ومستعمرة  
قانس الزاهرة حاضرتهم لكنها لم تكن كرسى حكومة مركزية لها  
سلطة مطلقة على المستعمرات الاخرى البحرية بل كان يربط بعضها  
ببعض الاتحاد فى الاصل والاشتراك فى المنافع وكانوا من بين الامم  
السالفة يرجعون فى منازعاتهم الى المناقشات التى تؤدى بهم الى  
مصالحات عادلة دون استعمال السلاح ولم ينزعوا قط الى الحكم الملىكى  
على سكان اسبانيا »

٤ لم تدم للفينقيين الأثرة بالتجارة مع قبائل اسبانيا بل زاحمهم



فيها اليونان ( ١ ) فتركوا لهم الشاطئ الشرقى منها  
٥ وفي القرن الخامس قبل الميلاد جاء القرطاجيون ( ٢ )  
واحتلوا زلات الفينيقيين وانشؤا زلات جديدة منها برشلونه وقرطاجنة

BARCELONE, CARTAGÉNE ( ٣ )

٦ ثم حكمها الرومان سنة ١٣٤ ق م وبقيت تحت حكمهم  
الى سنة ٤٠٦ بعد الميلاد حيث أغار على رومة ثم اسبانيا قبائل مختلفة  
بربرية جاءت من شمال أوروبا منهم السواق أو السواقيون SUÈVES  
والقندال أو القنادله VANDALES

٧ ثم أدرك السواقيين والقنادلة القوط ( أو الغوط أو الغوثيون )  
GOTHES ويقال لقوط اسبانيا الويزيقوط VISIGOTHES  
أى قوط الغرب فدفعوا السواق الى الشمال والقندال الى الجنوب فأخذ  
من اسمهم اسم قنداليسيا VANDALICIA للجهة التي احتلوها فخرفه  
الاسبانيون الى اندالوشيا وعربها العرب بالاندلس ثم دفعوهم الى افريقية  
وأسس القوط في أسبانيا دولة عظيمة قاعدتها طليطلة TOLEDE  
ووضعوا لها انظمامات وقوانين جديدة وأجابوا الدعوة الى النصرانية  
سنة ٥٨١ م

١ المراديون آسيا لا يونان أوروبا فان هؤلاء لم يكن لهم مستعمرات في اسبانيا  
٢ نسبة الى قرطاجة وهي مدينة في شمال افريقية أسسها الفينيقيون في القرن  
السابع قبل الميلاد

٣ في شرق اسبانيا على البحر الابيض المتوسط ومعناها قرطاجة الجديدة

هذا والحروب الاهلية بين امراءها مهدت السبيل الى استيلاء المسلمين عليها في القرن الثامن للميلاد سنة ٩٢ للهجرة وكان آخر ملك من ملوكهم يسمى ردرىك ومؤرخوا العرب يسمونه رذريق او لذريق قتل في واقعة شريش XERÈS سنة ٧١١ م وبعد هذه الواقعة التجأت شردمة من القوط تحت قيادة الامير بلاى PÉLAGE الى ولاية استوريا ASTURIE نحو الشمال وتمحصنت هناك من غارات العرب عليهم. قال ابن خلدون « كان هذا القطار الاندلسي من العدوة الشمالية من عدوى البحر الرومي وبالجانب الغربي منها يسمى عند العجم (غير العرب) الاندالوش وتسكنه امم من افرنجة المغرب أشدهم واكبرهم الجلالقة وكان القوط قد تملكوه وغلبوا على أعقله لمئين من السنين قبل الاسلام بعد حروب كانت لهم مع اللطيين حاصروا فيها رومة ثم عقدوا معهم السلم على ان ينصرف القوط الى الاندلس فصاروا اليها وملكوها ولما اخذ الروم والبطنيين بملة النصرانية حملوا من وراءهم بالمغرب من امم الفرنجة والقوط عليها فدانوا بها وكان ملوك القوط ينزلون طليطلة وربما تنقلوا ما بينها وبين قرطبة واشبيلية وما رده واقاموا كذلك من نحو اربعمائة سنة الى أن جاء الله بالاسلام والفتح وكان ملكهم لذلك العهد يسمى لذريق وهو سمة الملوك كما أن جرجير سمة الملوك صقلية » اهـ

بمقارنة عبارة ابن خلدون هذه بما سبق يؤخذ أن المراد بالجلالقة

الاقوام التي كانت تسكن شمال اسبانيا وأن اللطيفيين هم الرومان وأن  
الروم هم اليونان وقوله أن الطريق سعة للملوكهم وهم فانه علم شخص  
على آخر ملوكهم

## فتح المسلمين اسبانيا

٨ (سبب الفتح) في سنة ٨٨ للهجرة (١) عهد الوليد بن عبد  
المالك الخليفة الأموي إلى موسى بن نصير بولاية بلاد المغرب  
(أفريقية الشمالية) فنزل القيروان وحارب طوائف البربر وأخضع  
قبائلهم في زمن وجيز وعلم أهلها الدين والقرآن وأخذ رهائن من قبائل  
مصمودة وصنهاجة وكتامة وهوارقة وحاصر طنجة وفتحها واستعصت  
عليه قلعتها سنة ففتحها من جيشه وكان حاكمها وقتئذ يوليان JULEAN  
من قبل ملك اسبانيا غيطشه WITIZA وكان من أسرته

عاد موسى من غزواته إلى القيروان وبلاد المغرب خاضعة  
لسلطانه. أهلها يدفعون الجزية أو دخلوا في دين الله ومن هؤلاء أهل  
طنجة فانهم اسلموا وبلغت حاميتها ١٩ ألف فارس من المسلمين تحت  
قيادة طارق بن زياد البربري

في هذا الحين كانت مملكة اسبانيا ضعيفة الشوكة مزعزعة  
الاركان لقيام الثورات وانقسام الاهلين إلى احزاب وتباينهم — في

الاغراض وعدم ملائمة قانونهم المتخذ من قانون الرومان وعادات  
الجرمان وقرض القسوس على الرعايا ضرائب فادحة أثقلت كواهلهم  
لذلك خلعوا ملكهم غيطشه وقتلوه وانتخبوا آخرى سمي رذريق RODRIC  
ملكاً عليهم وليس من بيت الملك بل من قوادهم وكان أولاد  
الملك المقتول وشيعتهم يترقبون الفرص للإيقاع برذريق واسترداد  
المملكة اليهم وزاد الظنهور نعمة أن دّس رذريق عرض يوليان (١)  
ونشأ عن ذلك أن أذعن حاكم سبته لطاعة موسى وحرّضه (٢) على  
فتح اسبانيا ووعده المساعدة وكشف له الغطاء عن سياستها الداخلية وأفهمه  
أن الاسبانيين ناقمون على رذريق لأنه اغتصب المملكة من ملكها  
الشرعى غيطشه وأن أولاد الملك المقتول يودون لو ينصرهم عليه  
وكاشفوه بهذا الامر سرا فاستأذن موسى الخليفة في غزو الاندلس  
فاذن له

١ أنظر فتح الطيب صحيفة ١١٩ من طبع بولاق

٢ قال المؤرخ روي ( يروى لن فريقاً من نصارى اسبانيا كانوا يحقدون  
على الملك رذريق لجأوا وحرّضوا موسى على فتح بلادهم واطهروا له سهولة  
الاستيلاء عليها وأن يساعدوه على ذلك بما في استطاعتهم فاسر الامر في نفسه  
زمناً واستنصر سراً عن حالة اسبانيا واهليها وغني البلاد ونظام حكومتها وقوة  
سكانها والخصومات والمداوات القائمة بين أحرارها وأن يوليان حاكم سبته هو  
الذى نقل اليه جميع ما يحتاج الي معرفته بالضبط وكشف له حالة الشعوب الاسبانية  
واختلال حكومة الملك رذريق وظلمها وكراهة الرعايا اياه وانهم يمدونه غاصبا  
المملكة من القوط وأن هذا الفريق أولاد غيطشه ومن على ساكتهم )

٩ ( غزوة طريف ) في رمضان سنة ٩١ للهجرة ( ٧١٠ للميلاد )  
 ارسل موسى بن نصير طريف بن مالك البربري في مائة فارس  
 واربعائة راجل لغزو بلاد الشاطئ الجنوبي من الاندلس فجازوا  
 البحر في السفائن وغزوا بعض الثغور الجنوبية بمعونة يوليان وباسم  
 القائد سميت مدينة طريف التي هي فرضة على المجاز ثم عادوا بغنيمة  
 جائلة ( ١ )

هذه الغزوة كانت مقدمة للفتح ينجس بها موسى نبض الاندلس

## فتح طارق بن زياد اسبانيا ( ٢ )

١٠ في سنة ٩٢ للهجرة ( ابريل سنة ٧١١ للميلاد )

١ في فتح الطيب صحيفة ١٢٠ ( كتب موسى بن نصير الي أمير المؤمنين  
 الوليد بن عبد الملك يخبره بالذي دعاه اليه يوليان من أمر الاندلس ويستأذنه  
 في اقتحامها فكتب اليه الوليد أن خضها بالسرايا حتى ترى وتختبر شأنها ولا  
 تغرر بالمسلمين في بحر شديد الاهوال فراجعهم انه ليس ببحر زخار وانما هو  
 خليج يبين منه للنظر ما خلفه فكتب اليه وان كان فلا بد من اختباره  
 بالسرايا قبل اقتحامه فبعث موسى عند ذلك رجلا من مواليه من البرابرة اسمه  
 طريف في أربعائة رجل معهم مائة فارس سار بهم في أربعة مراكب فنزل  
 بجزيرة تقابل جزيرة الاندلس المعروفة بالخضراء التي هي اليوم معبر سفائهم  
 ودار صناعتهم ويقال لها اليوم جزيرة طريف لنزوله بها وأقام بها أياما حتى التأم  
 اليه اصحابه ثم مضى حتى أغار على الجزيرة فأصاب سبيها لم ير موسى ولا أصحابه  
 مثله حسنا ومالا جسيما وامتعة وذلك في شهر رمضان ٩١ للهجرة )

٢ قال رومي المؤرخ « أن طارقا كان تاملا على طمجه من قبل موسى فلما

جَهَّزَ موسى نحو ١٢ ألفاً تحت إمرة طارق بن زياد لفتح الاندلس فتوجهوا معهم يوليان وعبروا مجازاً هو قول (١) في السفائن ونزلوا جبلاً يسمى اليوم جبل طارق وفتحوا حصن قرطاجنة وكان في سفح هذا الجبل ثم انهم انسابوا في أرض الاندلس وكان العامل عليها يقال له « تدمير » فأرسل يخبر الملك (٢) رذريق ويستنجده فجاء هذا بجيش يبلغ على ما يروى ١٠٠ ألف جندي واجتمع الجيشان

انتخبه قائداً أقام مقامه ابنه مروان بن موسى وكان الجيش مؤلفاً من ١٢ ألف بربري من حامية طنجة وبعض مئات من العرب أبحروا في السفائن ومروا من طنجة الى سبتة ومن هذه الى الشاطئ المقابل ويظهر ان يوليان كان يرشدهم فنزلوا جزيرة صغيرة ظهر لهم من بعد انها كاخضراء فسدوها الجزيرة الخضراء واستولوا على جبل مجاور لها ونحصنوا فيه فسعي أولاً جيل الفتح ثم أخذ اسم الفاتح فسمي جبل طارق

(١) يقال ان طارقاً بعد أن عبرت جنوده المجاز أحرق السفائن كي يقطع من عساكره أمل التقهر وان يختاروا اما الفوز واما الموت  
(٢) قال رومي المؤرخ انه كتب اليه ما تعريبه

« مولاي

حل بأرضنا قوم لا ندري أهبطوا من السماء أم نبعوا من الأرض هاجموني فقاومتهم بكل قواي لادفع غائلتهم ولكن اضطرت الى التقهر لكثرة عددهم وبسالتهم فأرجوك يا مولاي ان تجيء بتفكك مسرعاً ومك ما في وسعك حشده من الجنود »

هذا الخطاب أوقع الرعب في قلب الملك فجمع وزراءه وقواده ٥٠٠٠ ووجه نخبة فرسانه لينضموا الي جيش تدمير وسار الجميع نحو جيش طارق فوقع بين الجيشين مناوشات كان فيها الخذلان دائماً للقوط

على شواطئ ( وادي لكة (١) Guadalete ) بالقرب  
مدينة سدونة القديمة التي بنى في محلها الآن مدينة شريش فلما رأى  
طارق كثرة العدد كتب الى موسى يستنجده فأرسل اليه خمسة آلاف  
فارس من البربر

اصطف للمسلمون والكثير منهم يمتطي متون الخيل عليهم  
الزرد وفوق رؤسهم العمام البيضاء وبأيديهم القسي العربية وقد  
تقلدوا السيوف واعتقلوا الرماح والاتحاد ملأ أفئدتهم والحاسة تعلل  
في صدورهم وكلمهم اخلاص لقائدهم الا كبر طارق يرمون الي غرض  
واحد اما الفوز واما الموت

والقوت بين مشاة وفرسان معتدون بالدروع والدرق والحراب  
والقوس والمناجل والمقاليع قلوبهم شقى

وقبل اشتباك الفريقين خطب طارق بحرض جنده فقال « أيها  
الناس . أين المفر . البحر من ورائكم والعدو أمامكم وليس لكم والله

وفي غضون ما كان يجمع رذريق جنوده من مقاطعاته وبعد للمسلمين ما استطاع  
من قوة وينادى القوط والرومان ليتحدوا وبدأ قوما عن حوزة بلادهم كان جيش  
طارق يكر بين الجزيرة الخضراء وسدونة وشواطئ نهر ياناشرا لواء الفرع  
والرعب في أفئدة الاهلين المأخوذ من هجوم ما كانوا يتوقعونه فجاء رذريق  
بجيش جرار لكنه قليل الدربة على الطعن والذال واجتمع الجيشان على شواطئ  
وادي لكة Guadalete بالقرب من مدينة سدونة القديمة التي بنى على اطلالها  
مدينة شريش المشهورة الآن عند الاوروبيين بكرومها

(١) ويقال أيضا نهر لكة كما في ابن الاثير ووادي لطة

الا الصدق والصبر واعلموا انكم في هذه الجزيرة اضيع من الأيتام  
 في مادية اللثام وقد استقبلكم عدوكم بجيشه وأسلحته وأقواته موفورة  
 وأنتم لا وزر لكم الاسيوفكم ولا أقوات لكم الا ما تستخلصونه من  
 أيدي عدوكم وان امتدت الايام على افتقاركم ولم تنجزوا لكم أمرا ذهبت  
 ريحكم وتعوضت القلوب من رعبها منكم الجراءة عليكم فادفعوا عن  
 انفسكم خذلان هذه العاقبة من أمركم بمناجزة هذا الطاغية فقد ألفت  
 به اليكم مدينته الحصينة وان انتهز الفرصة فيه لممكن ان سمحتم لانفسكم  
 بالموت واني لم أحذركم أمرا أنا عنه بنجوة ولا حملتكم على خطئة أرخص  
 متاع فيها النفوس أبداً بنفسي واعلموا انكم ان صبرتم على الاشق قليلا  
 استمتعتم بالارفة الالذ طويلا فلا ترغبوا بانفسكم عن نفسي فما حظكم  
 فيها بأوفي من حظي وقد بلغكم ما أنشأت هذه الجزيرة من الخور  
 الحسان من بنات اليونان الرافلات في اللد والمرجان والحال المنسوجة  
 بالعقيان المقصورات في قصور الملوك ذوي التيعان وقد انتخبكم الوليد  
 ابن عبد الملك أمير المؤمنين من الابطال عربانا ورضيكم للملك هذه  
 الجزيرة اصهارا واختانا ثقة منه بارتياحكم للطعام واستماحكم بمجالدة  
 الابطال والفرسان ليكون حظهم منكم ثواب الله على اعلاء كلمته واظهار  
 دينه بهذه الجزيرة وليكون مغنمها خالصا لکم من دونه ومن دون  
 المؤمنين سواكم والله تعالى ولي انجادكم على ما يكون لكم ذكرا في  
 الدارين واعلموا اني أول مجيب الى ما دعوتكم اليه واني عند ملتقى



الجميع حامل بنفسى على طاعة القوم رذريق فقاتله ان شاء الله تعالى فاحملوا معى فان هلكت بعده فقد كفيتكم أمره ولم يعوزكم بطل عاقل تسندون أموركم اليه وان هلكت قبل وصولي اليه فاخلفونى في عزيمنى هذه واحملوا بانفسكم عليه واكتبوا لهم من فتح هذه الجزيرة بقتله فانهم بعده يخذلون » (١) فلما سمعوا كلام طارق ثارت حميتهم ووطدوا نفوسهم على الموت في قتال عدوهم وكان جيش طارق يظهر انه كثير العدد اذ قسمه الى طوائف ليلقى الرعب فى قلوب أهل الاندلس وانضم اليه يهود اسبانيا والنصارى الذين هم من حزب يوليان ثم التحم الجيشان ووقعت معركة هائلة استمرت ثلاثة أيام (٢) ودارت فيها الدائرة على جيش رذريق فتفرق شذر مذر (٣)

(١) تقع الطيب ج ١ ص ١١٣ و ١١٤

(٢) من تاريخ رومى Romy ( ص ٣٩ ج ٣ ) ان القتال استمر يومين بدون أن يرجح أحد الجيشين على الآخر وفى اليوم الثالث ضعفت عزائم العرب وأرادوا التكوص الا ان طارقا بادر الى الصفوف وصاح فى جنوده قائلاً « آين المفر البحر وراءكم والعدو امامكم فلا يخلص لكم الا شجاعتكم اتبعونى سأهجم على ملكهم واقتله أو يقتلنى » ثم ألقى بنفسه وألقوا بأنفسهم معه فى جيش القوط فاختل نظامه وفشلت جنوده وعرف طارق رذريق بشاراته الملوكة فهجم عليه بين حراسه وطمعته برمحه فى صدره فخر صريعا —

(٣) قال المؤرخ رومى ( ص ٤١ ج ٣ ) « ما كانت شجاعة العرب قاضية وحدها بفوزهم فانهم فى اليوم الثالث اثبتوا عن عزيمتهم وحدتهم بأنفسهم بالأس من النصر الا انه جاء سفير تحت جنح الظلام أبلغ طارقا ان ابني غيطشة وعمهما أوباس مستعدون لان ينضموا الى صفوفه على شرط أن يتركهم بعد انتصاره يحكمون

جاء في ابن الأثير « وكان على مسيحة رذريق وميسرته ولدا الملك الذي كان قبله وغيرهما من أبناء الملوك واتفقوا على الهزيمة بغضا لرذريق وقالوا ان المسلمين اذا امتلأت ايديهم من الغنيمة عادوا الى بلادهم وبقي الملك لنا فانهزموا وهزم الله رذريق ومن معه وغرق رذريق في النهر » ويروى ان طارقا قتله - ثم ان طارقا اقتفى اثر المنهزمين نحو نهر ياننه واخضع عدة بلاد في زمن قريب

لما جاء موسى خبر هذا النصر المبين أخذته الغيرة وخشى أن ينسب فتح اسبانيا الى طارق وحده فجهز جيشاً قوياً الى اسبانيا وكتب الى طارق أن يقف فلما جاء هذا كتاب موسى حدثته نفسه أن يطيع أمر والى افريقية لكن رأى الموقف حرجا وان في الطاعة مضاعفة الخطر عليه حيث خشى ان يترك للمنهمزمين زمناً تتجمع فيه جموعهم وتتحد كلمتهم ويعيدون الكرة على المسلمين فجمع رؤساء الجيش وبلغهم كتاب والى فأجمعوا رأيهم ان الوقوف في المقام الذي هم فيه غير مناسب وانه يجب انتهاز الفرصة في إبانها وعدم ضياع الزمن النفيس واقتفاء أثر المنهمزمين

القوط كما كان يحكمهم أيهم وجدوا وان يكسفي بالجوزة وبجزء من أرض اسبانيا قبل طارق ذلك . وفي العهد انظم اليه الاسقف ( أوباس ) وابنا أخيه والثرق التي كانت تحت أمرتهم  
قال المؤرخ المذكور لو كانوا حددوا هذا الجزء لكان على حسب الظاهر البلاد المجاورة للمجهاز ( إقليم الاندلس )

أخذ طارق بمشورتهم واستمر في نصراته حتى فتح مدينة استجة  
(١) ECIJA بعد مقاومة شديدة ثم قسم جيشه الى ثلاث فرق  
الاولى تحت إمرة مغيث الرومي ووجهها الى قرطبة والثانية يرأسها زيد  
ابن قاصد السكسكي وسيورها الى مالقه ورأس هو الثالثة (٢) وتوجه  
بها الى طليطلة من طريق جيان - امامغيث فقد فتح قرطبة بطريقة  
غريبة في بابها حديثها يطول (٣) واسر عالجها اثناء فراره الى طليطلة  
وابقى عليه ليقدم به على أمير المؤمنين حتى ينال بذلك الفخر العظيم  
واما زيد فقد فتح مالقه MALAGA والبيرة ELBIRA بدون  
مقاومة ثم لحق بطارق

واحتل طارق طليطلة TOLEDE عاصمة المالك بالقتال وأصدر  
أوامر صريحة تمنع الجنود من النهب والاعتداء وتهديء روع الاهلين  
وتحوّل لهم الحرية في دينهم والتمتع بأموالهم والتقاضى عند قضائهم على  
شرط أن يدفعوا الجزية في كل سنة وكانت تختلف من خمس الاموال  
المتحصلة الى العشر وكانت أقل مما كان يجنيه منهم القوط وكان

١ يقال ان الذي فتح استجة هو زيد بن قاصد - يقول بعض المؤرخين  
استجة بالتاء بعد السين وفي تاريخ ابن غذارى المراكشي ( اسجة ) بدون ثاء الجزء  
الثاني صحيفة ١١ )

٢ يقال ان فرقة طارق كانت الرابعة وان الثالثة هي التي ذهبت الى مدينة  
البيرة ( غرناطة ) - والذي يظهر ان زيدا قسم فرقته الى قسمين: قسم ذهب  
الى مالقة والاخر الى غرناطة ثم اجتمع القسمان ولحقا طارقا  
٣ أنظر نفع الطيب

يترك في كل مدينة مفتوحة حامية محتاطة من يهود البلاد المسلمين (١) بعد أن وطّد طارق دعائم السلام في طليطلة اتجه نحو الشمال مقتفياً أثر الفارين فوصل الى وادى الحجارة GUADILHIDGIARA وعبره يريد جبال وادى رامة GUADORAMAS فاخترقها من وادسمى فج طارق BUITROGO واستولى على مدن خلفها منها مدينة سالم MÈDINA CELI وهى التى أحرز منها على ما يروى المائدة الشهيرة المنسوبة الى سليمان وعاد الى طليطلة مثقلاً بالغنائم

جاء فى نفع الطيب نقلا عن الرازى «ان ملاقاته جيش طارق ورذريق كان يوم الاحد للياتين من شهر رمضان فاتصلت الحرب بينهما الى يوم

١ قال روي المؤرخ ص ج ٣ ما ترجمته ( كانت شروط العرب اذا فتحوا مدينة ( ١ ) أن يضربوا على أهلها خراجا سنويا أما خمس الاموال المتحصلة من الارض والمقار وأما المتمر (٢) وان يأخذوا رهائن (٣) وأن ينزعوا السلاح من الالهين ( ٤ ) وأن يستأثروا باخيل ودواب النقل (٥) وان يستولوا على أموال النازحين عن الوطن وكانوا يتركون للسكان املاكهم من أى نوع كانت ويمنعونهم الحرية الدينية لكن يشترطون عليهم أن تكون عبادتهم في الكنائس خاصة وأن لا يمنعوا من يرغب في الاسلام عن الدخول فيه »

وقال أيضا ص ٥٣ ج ٣ « دخل طارق وحرسه قصر الملك المبني فوق ربوة مشرفة على نهر التاجا LE TAGE فجعم منه اموالا طائلة وامتعة نفيسة بقول بعض المؤرخين انه وجد في حجرة من القصر خمسة وعشرين تاجا من الذهب مزينة بالسوسن والحجارة القيمة النادرة الوجود وكان عدد التيجان عدد ملوك القوط الذين حكموا اسبانيا الي رذريق وكان عادة القوط اذا مات الملك ان ينزعوا تاجه ويكتبوا عليه اسمه وسنه وعدد السنين التي حكمها »

الاحد خمس خاوين من شوال بهمه تنمة ثمانية أيام ثم هزم الله المشركين  
فقتل منهم خلق عظيم وحارز المسلمون من عسائرهم ما يجمل قلده  
فكانوا يعرفون كبار العجم وملوكهم بخواتم الذهب في أصابعهم ودين  
دونهم بخواتم الفضة وعبيدهم بخواتم النحاس - جمع طارق النقي وخمسة  
ثم اقتسمه أهله على تسعة آلاف من المسلمين سوى العبيد والاتباع ...  
ثم اقبل حتى نزل بأهل مدينة سدونه فامتنعوا عليه فشد الحصار عليهم  
حتى نهكهم وأضرهم فتهيأ له فتحها عنوة فحاز منهم غنائم ثم مضى منها  
الى مدور ثم عطف على قرمونه ثم مال على اشبيلية فصالحه أهلها على  
الجزية ثم نازل أهل استجة وهم في قوة ومعهم فل عسكر رذريق  
فقاتلوا قتالا شديدا حتى كثر القتل والجراح بالمسلمين ثم ان الله تعالى  
أظهر المسلمين عليهم فانكسروا ولم يلق المسلمون فيما بعد حربا مثلبا  
وفتحت المدينة وضرب على أهلها الجزية ... قال يوليان لطارق قد  
فضضت جيوش القوم ورعبوا فاعمد الى بيضتهم وهؤلاء ادلاء من  
أصحابي مهرة ففرق جيوشك معهم في جهات البلاد واعمد أنت الى  
طليطلة حيث معظمهم فاشغل القوم عن النظر في أمرهم والاجتماع  
الى أولى رأيهم ففرق طارق جيوشه معهم من استجة فبعث مغيثا  
الرومي مولى الوليد بن عبد الملك الى قرطبة وكانت من أعظم مدائنهم  
في سبعمائة فارس لأن المسلمين ركبوا جميعا خيل العجم ولم يبق فيهم  
اجل وبعث جيشا آخر الى مالقة وآخر الى غرناطة مدينة البيرة

وسار هو في معظم الناس الى كورة جَيَّان يريد طليطله - أما مغيث  
فقد فتح قرطبة ثم جمع يهودها وضمهم الى مدينتها استنامة اليهم دون  
النصارى واختار القصر لنفسه والمدينة لاصحابه. وأمان وجَّهوا الى  
مالقه ففتحوها ثم لحقوا بالجيش المتوجه الى البيرة فحاصروا مدينتها  
غرناطة ثم افتتحوها عنوة وضموا اليهود الى قصبة غرناطة وصار ذلك  
لهم سنة في كل بلد يفتحونه أن يضموا يهوده الى القصبة مع قطعة  
من المسلمين لحفظها (١) ومضى الجيش الى تدمير وتدمير اسم  
العاج صاحبها سميت به واسم قصبتها اريولة فصالحوه بمد قتال شديد  
وسلمت كورة تدمير من معرفة المسلمين ) ومضى معظمهم الى أميرهم  
طارق لفتح طليطله فالفأها خالية قد فرغها أهلها ولجؤا الى مدينة  
خلف الجبل فمضى خلفهم فسلك وادى الحجارة ثم استقبل الجبل  
فقطعه من فتح سعى به بعد فبلغ مدينة المائدة المنسوبة الى سليمان بن  
داود وهي خضراء من زبرجد حافاتها منها ودخلها وكان لها ثلثمائة  
وخمسة وستون رجلا فأحرزها عنده ثم مضى الى المدينة التي تحصنوا  
بها فأصاب حايا ومالا ورجع الى طليطله سنة ٩٣ «

### ﴿ تميم موسى فتح اسبانيا ﴾

(١١) أعدّ موسى لغزو الاندلس بنفسه عشرة آلاف فارس وثمانية

---

١ قوله ومضى الجيش الى قوله من معرفة المسلمين لا يلتزم مع ما هو مذکور  
في التواريخ الا فرنجية من أن الذي قاتل تدمير هو عبد العزيز بن موسى

آلاف راجل وبعد أن أقام مقامه في القيروان ابنه عبد الله عبر بهم من افريقية الى الاندلس في رجب سنة ٩٣ (ابريل سنة ٧١٢) (١) فأخذ أولا مدينة شذونة ثم أخذ قرمونة بحماية وهي ان أصحاب يوليان دخلوها كأنهم فلأل وطرقهم موسى بخيله لئلا يفتحوها له الباب وأوقعوا بالاحراس وماكوا المدينة ثم مضى موسى الى اشبيلية SÉVILLE جارتها فحاصرها وهي أعظم مدائن الاندلس شأنًا وأعجبها بنيانًا وأكثرها آثارًا وكانت دار الملك قبل القوط فلما غلبوا على ملك الاندلس حوّلوا السلطان الى طليطلة وبقي رؤساء الدين فيها ففتحها بعد حصار شهر ثم فتح مدناً أخرى بين الهر الكبير ونهر يانه (٢) وما توقف الا أمام مدينة ماردة فانها كانت حصناً منيعاً وفيها آثار وقصور ومعاصر وكنائس جميلة القدر وقد قاومت حتى أضع في حصارها كثيراً من رجاله وما دخلها الا أول شوال سنة ٩٣ (١١ يوليو سنة ٧١٢) حين جاءته النجدة من افريقية تحت قيادة ابنه عبد العزيز - قال بعض مؤرخي الافرنج « ان موسى شدّد على الماردين شروط الصلح فانه مع فرض الجزية السنوية وأخذ أموال القتلى وأموال النازحين عن المدينة طالب أن تسلم اليه أموال الكنائس وحلیم وان يحوّل نصفها الى مساجد وان يأخذ رهائن من أشرف القوط

١ في تاريخ دوزي صحيفة ٣٧ من الجزء الثاني ان دخول موسى الاندلس كان في يونية سنة ٧١٢ - فحقق  
٢ يقال ايضا الوادي الكبير ووادي يانه

الذين فروا من واقعة شريش وكان من بينهم ملكة القوط أرملة ذريق المساة اچلونه EGILONE أو اچلا EGILA ومؤرخو العرب يسمونها ايله AYLA «

انتقض اهل اشبيلية على المسلمين فقتلوا ٨٠ رجلا من حاميتها واتى فلهم الى موسى وهو بماردة فوجه ابنه عبد العزيز الى اشبيلية ليقص من الثائرين فجاءها وفتك فيهم فتكاذبوا حتى استقامت الامور من ماردة سار موسى الى طليطلة وكان قد بارحها طارق ليغزو قسطنطينة القديمة LA VIEILLE CASTILLE وكان موسى يفتح ما مر عليه من البلاد وفرسانه يعانون الاهلين « ان العرب مآذات جزيرة الاندلس لظلم اهلها اوساب أمواها أو تخريب مساكنها أو احراق زرعها بل هدايتهم الى معرفة الله وانهم لا يحاربون الا العصاة المعارضين بدون جدوى»

عاد طارق الى طليطلة قبل وصول موسى فبادر الى مقابلاته فاجتمعوا في طلبيره TALAVERA OU TALBERA ثم عاد الى عاصمة الملك فطالب موسى طارقاً باداء ما عنده من مال الفىء وذخائر الملوك فقدّمها اليه وبينها المائدة الزمرد ناقصة رجلاً ثم جمع موسى رؤساء الجيشين ليحاكم طارقاً فسأله أمامهم عن مخالفة أمره فاعتذر طارق بأن الحالة قضت عليه بذلك وان رؤساء جيشه أجمعوا رأيهم على متابعة السير (ولولا ذلك ما كان فتح العاصمة وأمّهات المدن



في زمن قريب ) - ما أقنع موسى هذا الاعتذار بل عزل طارقاً من قيادة جيشه وحبسه وعهد بالقيادة الى مغيث الرومي ولكن هذا الشبه أبث نفسه الكريمة أن يخاف قائده ودافع عنه بجرأة أمام الوالى ولما أصرّ موسى على ما حكم به بلغ مغيث المشكاة الى الخليفة ليفصل فيها فورد منه الامر باعادة طارق الى قيادة جيشه.

في هذه الاثناء كان عبد العزيز يفتح الجنوب الشرقى من الاندلس فاستولى على لورقه LORCA وصالح تدمير الذى كان التجأ الى اريوله ORIHUÉLA على أن يدفع الجزية ويكون أمير سبع مدن وكتبها عيلاً بذلك وعند رجوعه استولى على بيّاسه BAEZA وجيآن JAEN وانتفيرة ANTEQUERA بدون مقاومة

بعد أن صالح موسى طارقاً اتجه طارق نحو الشرق صاعداً الى منابع نهر التاجه حتى نزل السهول التى يروىها نهر ابره - واتجه موسى نحو الشمال الغربى فخضعت له بلاد بدون مقاومة منها سالمنقه SALAMANQUE ثم عاد الى الشرق سائراً مع مجرى نهر دويرو DUERO حتى نزل وادى نهر ابره وقابل طارقاً محاصراً مدينة سرقسطة SARAGOSSE وكان هذا قد فتح المدن التى حولها ولكن المدينة استعصت عليه ففتحها بعد حصار شهر ثم احتلأ ونشقه HUESCA وقلهرّة CALAHORRA وطركونه TARRGONE ولاردة LERIDA

ثم اقتسم القائدان الجيش فمضى موسى على شاطئ البحر المتوسط متجها نحو الشمال ففتح برشلونه BARCELONE وجيرونة GERONE ورُساس ROSAS وامبوريه AMPURIA وسار طارق متجها الى الجنوب ففتح طرطوشه TARTOSE ومريبطره MURVIÉDRO وبالنسية وشاطبة ودانية واستمر الى حدود اماره تدمير

والبلاد التي كان يفتحها طارق كان أهلها آمنين على أرواحهم وأموالهم عائنين بسلام في كنف المسلمين وما كان هؤلاء يأخذون الا أموال من هجروا الاوطان . عاد موسى الى الوسط ومنه الى الشمال الغربي ذاهبا الى لوغو LUGO في جبال غليسية GALICE

يذكر بعض المؤرخين فرقا بين سلوك القائدين في فتوح الاندلس فيقول ان موسى ما كان يفكر الا في جمع الاموال والاستئثار بها وطارقا كان يقتسم الغنائم هو وجنوده بالعدل بعد أن يفصل منها الخمس كاملا للخليفة قال بعضهم انه كان يكتب الخليفة في أعماله مباشرة معرضا عن جانب موسى وهذا كان يشكو الى أمير المؤمنين عضيان طارق وتبذيره ومخالفته لاصول الحرب فمن أجل ذلك دعا الخليفة الوليد بن عبد الملك القائدين اليه فأرسل اليهما مغيثا الروحي الذي كان جاء الى دمشق لتبليغ الخليفة تفصيل نصرات طارق الاولى في الاندلس — أما طارق فقد أجاب دعوة أمير المؤمنين بدون

توقف وأما موسى فتلكاً وأخذ يستعد لغزو القوط الملتجئين الى  
جبال غليسية واستوريا فجاءه رسول آخر وهو أبو نصر بن جيشه في  
لوغو وأخذ بعنان فرسه وذكره بطاعة أمير الخليفة فلم يسعه الا الانقياد  
ويروى أنه كان في نية موسى أن يفتح أوروبا بتمامها ويعمل الى  
الشام من شواطئ البحر الاسود فأخذ يستعد لهذا المشروع العظيم  
ولكن حال دون ذلك أن دعاه الخليفة اليه في يوليو سنة ٧١٣م  
فأجاب الدعوة ومعه طارق وأقام ابنه عبد العزيز بن موسى حاكماً على  
إسبانيا وجعل دار حكمه مدينة اشبيلية.

(١٢) جمع موسى غنائمه الواسعة وعبر المجر الى المغرب في ذي  
الحجة سنة ٩٥ للهجرة ومعه ثلاثون ألف نسمة من السبي من بينهم  
اربع مائة فتى من أسر القوط الملوكية وقفل الى المشرق بعد أن  
استخلف على إقليم طنجة ابنه عبد الملك وعلى إفريقية أكبر أولاده  
عبد الله .

سأل موسى مغيثاً أن يسلم اليه علاج قرطبة الذي كان في أساره  
فامتنع فانتزعه منه قسراً ثم خطر له أن يضرب عنقه مخافة أن يدعيه  
مغيث لدى الخليفة . تألب طارق ومغيث على موسى وسبقا الى دمشق  
وشكوا الى سليمان بن عبد الملك منه ورعيه بالخيانة واخبراه بما صنع  
بهما من خبر المائدة والعلاج . قبل وصول موسى الى دمشق بأيام طرأ  
على الوليد مرض ثقیل وكان وليّ عهده أخوه سليمان بن عبد الملك

فأراد هذا أن يؤجل الاحتفال بدخول فاتح اسبانيا الى أول خلافته  
فكتب اليه أن يقف حيث يجيئه كتابه وأن يؤخر وصوله الى دمشق  
أياماً ف جاءه الكتاب في طبرية فاسطين فلم يعمل بما فيه امّا صداقة الوليد  
وامّا ظنا منه انه لا يموت قريباً فكان هذا سبب حقد سليمان على موسى  
(١٣) (حضور موسى وطارق مجلس سليمان) مات الوليد وخلفه  
سليمان ويروى ان القائدين حضرا مجاسه فأخذ موسى يغالى في قيمة  
مائدة الزمرد التي مر ذكرها فقال طارق « يا أمير المؤمنين انا الذي  
أحرزتها وأعطيته اياها في طليطله » فرد موسى وقال « انها من غنائمي »  
قال طارق انها تنقص رجلا فأين هذه الرجل - أجاب موسى بأنه  
وجدها هكذا - قال طارق متعباً « بن هذه يحكم بصدق موسى »  
وأظهر الرجل الناقصة التي كان نزعها من المائدة وحافظ عليها - فبهت  
عند ذلك والى أفريقية وعاقبه سليمان بالوقوف في الشمس المحرقة  
يوماً كاملاً

موسى وان كان أساء معاملة طارق الا انه كان شهماً شجاعاً  
ذكي القريحة فهو الذي فتح اقاليم المغرب واسبانيا وكان يجب على  
الخليفة الاموى أن يشكر له من أجل اعماله الجليلة ويتقاضى عن  
حبه الاستئثار بالفخر في فتوح الاندلس

قال ابن خلدون نهض موسى من القيروان سنة ٩٣ للهجرة في عسكر  
ضخم من وجوه العرب والموالى وعرفاء البربر وافي خليج الزقاق ما بين

طنجة والجزيرة الخضراء فأجاز الاندلس وتلقاه طارق وتميم موسى  
الفتح وتوغل في البلاد الى برشلونة في جهة الشرق واربونه (١) في  
الجوف وصنم قادس في المغرب ودوخ أقطارها وجمع غنائمها واجمع (٢)  
ان يأتى المشرق على القسطنطينية ويخوض بلاد الاعاجم مجاهداً في أمم  
النصرانية مستاحها لهم الى أن ياحق بدار الخلافة ونهى الخبر الى الوليد  
فاشدد قلعه بمكان المسلمين من دار الحرب ورأى أن ما هم به موسى  
غَرَّر (٣) بالمسلمين فبعث اليه بالتوبيخ والانصراف وأُسر الى سفيته  
أن يرجع بالمسلمين ان لم يرجع هو وكتب له بذلك عهده ففَتَّ ذلك  
في عزم موسى وقفل عن الاندلس بعد أن أنزل الرابطة والحامية  
بشغورها واستعمل ابنه عبد العزيز لغزوها وجهاد أعدائها وأثرله بقرطبة  
(٤) فاتخذها دار امارة واحتل موسى بالقيروان سنة ٩٥ وارتحل  
الى المشرق سنة ٩٦ بما كان معه من الغنائم والذخائر والاموال على  
العجل والظهور وولى على أفريقية ابنه عبد الله وقدم على سليمان  
فسخطه ونكبه»

(١٤) (عبد العزيز) استخلفه ابوه موسى على اسبانيا كما ذكرنا  
عند قفوله الى المشرق سنة ٩٥ للهجرة (٧١٣ للميلاد) وجعل مقره  
اشبيلية فساس البلاد أحسن سياسة :

١ فيه نظر ٢ اجمت المسير وعليه عزمت عليه ٣ الفر الحظر  
٤ في غيره اشبيلية وهو الصحيح

( ولى ) عمّالاً على أقاليمها يديرون شؤونها المدنية وكانوا يسمون بالقواد وكانوا حكامها العظام

( وأقام ) حسّابين كانوا يسمونهم بالمحتسبين يجبون الخراج من البلاد بطرق نظامية وكان مقداره خمس الأموال المتحصلة وأحياناً كان يخفض الى العشر فى بعض الجهات

( ورفع ) عن الاسبانين اصر الاستعباد القوطى الرومانى فكانوا فى عهده آمنين على أنفسهم وأهولهم ودينهم وحرّيتهم وعاداتهم يحكمون أنفسهم بأنفسهم فيفصل بينهم فى المنازعات قضاة منهم وفى أحوالهم الشخصية قسوسهم لا تكافهم حكومة الفاتحين الاذفع الخراج فابذا ألفوا حكم العرب

لما ولى عبد العزيز جزيرة الاندلس تزوج أيلة ( اچلا EGILA ) أرملة الملك رذريق وهى احدى الرهائن التى انتقاها موسى من اشراف ماردة وبقيت على دينها وسماها زوجها أم العصم أى القلائد ( ١ ) ويقول بعض المؤرخين ان هذا الزواج أثر فى اخلاق الوالى فعامل نصارى اسبانيا بالحسنى وان ايلة قبل الزواج كان لها رأى فى عقد الصلح بين عبد العزيز وتدمير وان اعداء عبد العزيز

---

١ ككتب جهم عصمة وهى القلادة كذا يقول بعض المؤرخين وفيه مناسبة ظاهرة وفى نفع الطيب انه سماها أم عاصم وغير ظاهر لهذه التسمية مناسبة وقيل انه سماها ايضا زهرة بنت عيسى يريد انها وردة المسيحيين

من العرب نقموا عايد المغالاة في استرضاء النصارى المغلوبين وعدوا  
سكوتهم عن اخضاع الملتجئين منهم الى استوريا نحو الشمال تشيحا  
اليهم فانه بعد ان فتح لوزيتانيا LUSITANIE ( المعروفة الآن  
بالبرتغال ) لم يتجاوز نهر دويرة بل رجع الى اشبيلية واقام فيها يدير  
دولاب الحكومة وما زال عماله يفتحون الشمال الشرقي حتى استولوا  
على مدينة پنلونه PAMPELUNE ومارجبال البشكنس وبالغوا  
في التنديد به حتى رموه بالتنصر وهو براء مما يفترون اذ لم يقيم على  
دعواهم دليل

بلغوا مثالب افتروها على عبد العزيز الى الخليفة سليمان بن عبد  
الملك فدفعه سخطه على موسى ان اتخذ رسالتهم حجة للامر بقتل  
ابنه والى الاندلس . جاء هذا الامر الى خمسة من رؤساء الجيش المحتل  
اسبانيا فضربوا عبد العزيز بالسيوف ضربة واحدة وهو يصلى في  
المسجد صلاة الصبح وقتلوا رأسه ووضعوه في علبة ملئت عنبرا وارسلوه  
الى الخليفة ودفنوا جثته في داره سنة ٩٧ للهجرة ( ٧١٥ للميلاد ) وكانت  
مدة حكمه نحو ثمانية عشر شهرا

عرض سليمان الرأس على موسى فتجلى للصية وساءت ايامه  
الاخيرة حتى مات في وادي القرى حزنا على ابنه سنة ٩٧ للهجرة  
( ٧١٦ للميلاد )

تجاوز سليمان حدود الانسانية والدين واتبع هواه في الانتقام

من مسمى وفي قتل ابنه عبد العزيز وهي إحدى زلاته  
طارق ويوليان وأيلة أيامهم الأخيرة مجبولة لم يذكر المؤرخون  
عنها شيئاً

(١٥) جاء في نفتح الطيب أن أولاد غيطشه سألوا طارقاً بعد  
الفتح أنت أمير نفسك أم فوقك أمير فقال بل على رأسي أمير وفوق  
ذلك الأمير أمير عظيم فاستأذنوه في اللحاق بموسى بن نصير بأفريقية  
فأذن وعرفه بشأنهم وما أعطاهم من عهده وهذا أنفذهم إلى أمير  
المؤمنين الوليد بدمشق وكتب إليه بما عرفه به طارق من جميل آثرهم  
فلما وصلوا إلى الوليد أكرمهم وأنفذ لهم عهد طارق في ضياع والدهم  
وعقد لكل واحد منهم سجلاً فقدموا إلى اندلس وحازوا الضياع  
أجمع واقتسموها على موافقة منهم فصار منها لكبيرهم (المند) ألف  
ضيعة في غرب الاندلس فسكن من أجلاها اشبيلية وصار لأرطباش  
ألف ضيعة في الوسط فسكن من أجلاها قرطبة وصار لرملة ألف ضيعة  
في شرق الاندلس وجهة الثغر فسكن من أجلاها طليطلة فكانوا على  
هذه الحال صدر الدولة العربية إلى أن هلك المند وخلف ابنته ساره  
وابنين فبسط يده (ارطباش) على ضياعهم فسارت ساره إلى الخليفة  
هشام بدمشق فشكت ظلامتها من عمها فكتب إلى حنظلة بن  
صفوان عامله بأفريقية بانصافها من عمها وامضائها واخويها على سنة  
الميراث فيما كان في يد والدهم اه من حديث طويل صحيفة ١٢٦



(١) مات سليمان في ٣١ صفر سنة ٩٩ - ٣ أكتوبر سنة ٧١٧  
بعد أن حكم سنتين وثمانية أشهر وفي عهده غزا أخوهم مسامة بن عبد  
الملك أرض الروم وحاصر القسطنطينية وفتح يزيد بن المهلب عامل  
خراسان جرجان وطبرستان

## امراء اسبانيا بعد عبد العزيز

(١٦) (ايوب بن حبيب) بعد قتل عبد العزيز اقام الجنود  
مكانه شجاعا اشتهر في حروب افرريقية وهو ايوب بن حبيب اللخمي  
ابن اخت موسى (٧١٥ للميلاد) فكان من اعماله ان جعل قرطبة  
كرسى الامارة بدل اشبيلية وزار اسبانيا كلها ونشر لواء العدل بين  
أرجائها وعاقب القضاة الظالمين واخذ يرتق فتوق الحروب الماضية  
وبنى فوق آثار مدينة بلبليلس BILBILIS مدينة سميت باسمه (قلعة  
أيوب) ولم تطل مدته فان والى افرريقية محمد بن يزيد عزله بعد ان حكم

١ في تاريخ رومي مترجمته (قال بعض المؤرخين ان اولاد غيطشة قتلوا في  
واقعة وادى اليك وقال آخرون انهم عاشوا واغلب المؤرخين لا يسمون لغيطشة  
بلا ولدين ايوان EVAN وسزبوت SISEBUTHI وزعم مؤرخ شرقي  
ان له ثلاثة اولاد ألد ALMONDO ورملة ROMLAH وارمباش  
ARTHABAS وانهم اسلموا وقطفوا باسبانيا وكان لهم ذرية فيها - وليس  
من السهل اثبات هذا الزعم الصادر من كاتب متأخر عدة قرون لم يذكر مصدر  
مازعمه) اه

سنة اشهر حين جاء أمر الخليفة سليمان بعزل الاعميين ( قبيلة موسى )  
 ( ١٦ ) ( الحرب بن عبد الرحمن ) وولى مكانه الحرب بن عبد الرحمن  
 الثقفي في ذي الحجة سنة ٩٧ للهجرة فحكم سنتين وثمانية اشهر — يعزو  
 اليه بنسب المؤرخين فتح اقليم أربونة ( نربونه NARBONNE )  
 من بلاد الغال لكن المحققين منهم ينسبون ذلك الى خلفه ويقولون  
 « انما كان يتأهب لفتح (سبانيا) اذ ثارت ثورة نصارى ( استوريا )  
 في الشمال الشرق فشغلته عن مأربه » كان قاسيا في أحكامه يعاقب  
 عقاباً صارماً على أقل الهفوات فكثرت شكاوى الاهلين منه الى  
 الخليفة عمر بن عبد العزيز فعزله وأقام مقامه ( ١٨ ) السمع بن مالك  
 الخولاني سنة ١٠٠ للهجرة ( ٧١٥ للميلاد ) فأول أمر عني به أن نظم  
 ادارة البلاد وزار أقاليم اسبانيا وتفقد أحوالها وأحصى الاهلين  
 واملاكهم في سجل ارسله الى الخليفة ووصف له مدائن الاندلس  
 وأنهارها وثغورها وتجارها ثم تأهب لفتح سبانيا فجاوز جبال  
 البرت نحو الشمال الشرق واستولى على أربونة ( نربونة ) بعد حصار  
 ٢٨ يوما فخضعت له المدن التابعة لها ثم أوغل في الدخول في أرض  
 الفرنج حيث امتد الفرع الى ما فوق نهر الرون واستولى على مدائن  
 كثيرة وعاد الى نربونه مثقلاً بالغنائم ومعه عدد عظيم من السبي ثم  
 أعاد الكرة مسرعاً وصعد الى ( وادي اود AUDE ) وحاصر  
 مدينة طلوشه وكادت المدينة أن تسلم اليه قيادها لولا أن أنجدها  
 ( ٣ — تاريخ العرب في اسبانيا )

( الدوق اودس LE DUC EUDES ) بجيش جرّار يسد غباره عنان السماء فلما رأى المسلمون كثرة عدد الاعداء هالهم الامر فشحهم السمح وقال لهم « لاتهولنكم كثرة العدد فان الله معنا » . اصطدم الجيشان كأنهما جبلان وحمى الوطيس واحتدمت نار القتال وسالت دماء الابطال على ظلمات السيوف حتى خجل منها وجه الصحصخان واستمر الحال طويلا دون أن يظفر أحد الفريقين بالآخر والسمح يصول على صفوف العدو كالاسد الغضبان فيبدد عقد نظامها والدم يسيل من سيفه على ذراعيه الى جسمه وكانت أعماله الخارقة للعادة تشد عزائم جنده ولكن قل أن ينجو قائد يقاوم بشخصه جيشا فقد أصابه عدة طعنات خرّ منها صريعا فعندئذ خارت عزائم اصحابه ثم ثابت اليهم شجاعتهم واجتهدوا في صد هجمات الاعداء ولكنهم تكاثروا عليهم حتى أفنوا ثلثيهم ولكثرة قتلى المسلمين امام طولوشه سموا مكان الملاحمة بلاط الشهداء وتاريخ هذه الواقعة ٩ ذى القعدة سنة ١٠٢ ( ١١ مايو سنة ٧٢١ )

ثم اجتمع الباقون من الجيش تحت قيادة عبد الرحمن الغافقي تذبذ الشاطئء الشرقى من الجزيرة فانه امتاز في هذه المعركة عن اقرانه بالشجاعة والفتك بالعدو فارتد بهم الى اربونة سالمين من جنود اودس التي كانت اقتفت آثارهم

لما بلغ عنبسه الذى اقامه السمح مقامه فى ادارة الحكومة عند توجهه للغزو

هزيمة الجند في طلوشه اسرع في تجهيز فرقة وارسلها لتتجد اربونه  
فساعدت عبد الرحمن على اطفاء نار الثائرين من نصارى القوطيين  
ومن نصارى سكان جبال البرانس في مدينة ياقا YACCA

١٤ ( عبد الرحمن الغافقى ) عند وصول المنهزمين الى اربونه  
انتخب المسلمون عبد الرحمن اميرا على اسبانيا لما عهدوا فيه من  
السماحة والكرم والنبيل والشهامة والشجاعة ومحبة الجند اياه وقدرضيت  
اسبانيا الشرقية عن هذا الانتخاب ولكن عنيسة وضع عقبات في  
طريقه فباغ الامر الى ولاية افريقية لكنها اقرت انتخاب عبد الرحمن  
في هذه الاثناء مات الخليفة يزيد بن عبد الملك في دمشق  
في ٢٥ شعبان سنة ١٠٥ للهجرة ( ٢٧ يونيو سنة ٧٢٤ ) وخلفه  
اخوه هشام

اغضبت حكومة عبد الرحمن في اسبانيا بعض الرؤساء ولم يياس  
عنيسة من نيل الامارة فكتبوا الى والى افريقية بشر بن حنظلة بن  
صفو ان يتنمرون من امارة عبد الرحمن : ما بخسوه قدره فيما كتبوه  
ولكن رموه بالاهمال في ادارة البلاد وبالتبذير في الأعطية التي  
لا تلائم ( على زعمهم ) أخلاق الزهد والقناعة في المسلمين

٢٠ ( عنيسة بن سحيم ) أدى ذلك كله الى عزل عبد الرحمن  
واستعاضته بعنيسة بن سحيم وهو جدير بأن يخلف سلفه لذكائه  
واستعداده - ما أغضب عبد الرحمن أن عزل بل رجع هادئا كأن لم

يكن في الامر شىء الى ادارة اقليم الشرق من اسبانيا ومن كرم اخلاقه  
ان هنا الامير الجديد بعبارات تشف عن اخلاص وتوطد دعائم الوفاق  
توجهت عزيمة عنيسة الى أن يتم المقصد الذي فتح باب السمع  
فبعث البعوث الى سبانيا فاجتهدوا في أن يستردوا المواقع التي اضطار  
المسلمون الى الجلاء عنها فلم يستطيعوا الا أنهم حافظوا على تربونه التي  
كانت مركز أعمالهم الحربية فرأس بنفسه تجريدة قويتسار بها حتى هجم  
على قرقشونه CARCASSONNE وفتحها عنوة وكانت لم تؤخذ قبل  
ثم اتجه نحو الشرق فخضعت له البلاد التي بين قرقشونه ونيموسة أو  
( نيمة ) NIMES صلحا وكان يأخذ من أهلها رهائن للبقاء على  
الطاعة ويترك لهم حرية الدين — ثم توجه نحو الشمال حتى بلغ وادي  
الرون RHONE ( ١ ) وأخذ مدينة ليون ثم توغل في الدخول مقتفيا  
مجرى السون SAONE الى أن بلغ برجنديا BURGUNDIE  
وأخذ أوتون AUTUN وعاد مثقلا بالغنائم لكن هجم عليه أعداؤه  
فاصابوه بجروح أودت بحياته بالقرب من تربونه في شهر شعبان سنة  
١٠٧ للهجرة ( آخر سنة ٧٢٥ للميلاد ) . قائد عنيسة قبل موته ( ٢٤ ) عذرة بن  
عبد الله ( ٢ ) امرأة الجيش ولكن الأهلين استدعوا من وإلى افريقية بشر  
ابن صفوان أميرا آخر فانفذ اليهم ( ٢٣ ) يحيى بن سلامة الكلبي في

---

١ في التواريخ العربية يسمون وادي الرن ( وادي رودنة ) ومدينة ليون  
( مدينة لورون )

شوال سنة ١٠٧ وكان شهما شجاعا عادلا لكن قسوته هيجت عليه  
 شيوخ القبائل فطلبوا من عبدة بن عبد الرحمن السلمي استرداد يحيى  
 فاجاب طلبهم وأرسل اليهم ( ٢٣ ) حذيفة بن الاحوص القيسى  
 ولكن هذا كان غير كف فلم يحفظ مركزه الا شهرا وعزل ( ٢٤ )  
 وخلفه عثمان بن ابي نسعة فلم يستقر في الامارة حتى كثر شاكوه فخلع  
 وولى الخليفة بدله ( ٢٥ ) الهيثم بن عدى الكلابي في المحرم سنة ١١١  
 ( افريل سنة ٧٢٩ ) فقسا على الأهلين وظلمهم فمقتوه وشكوه الى الخليفة  
 فأرسل هذا ( ٢٦ ) محمد بن عبد الله ( ١ ) لينظر في ظلاماتهم  
 ويعزل الهيثم اذا وجد مجرما ففعل وعزله وبقي في اسبانيا يدير شؤونها  
 بالحكمة والسداد نحو شهرين .

( ٢٧ ) عبد الرحمن الغافقي ( ولايته الثانية ) . ثم اتى مقاليد  
 الحكومة الى عبد الرحمن الغافقي بأمر الخليفة هشام بن عبد الملك سنة  
 ١١٣ للهجرة فسرت عودته هذا الامير الجند والاهلين لما عهدوه فيه من  
 الحكم بين الناس بالعدل لكن البربر نظروا ذلك بعين الحسد .  
 لما تقلد عبد الرحمن ولاية اسبانيا ثانية زار أقاليمها ووطد دعائم النظام  
 في انحاءها وجعل السكان سواء في الحقوق والمزايا وان اختلفوا في الدين  
 ثم شرع يتأهب لفتح بلاد الغال GAULE أو غاليا GALLIA التي  
 خلف جبال البرانس من الشمال وكانت تعرف بالارض الكبيرة وهي  
 بعض المؤرخين بسقط محمد بن عبد الله من امراء الأندلس وبعضهم يشبهه

## فرنسا الآن

كانت تقسم هذه البلاد حين قصدها عبد الرحمن الى اقاليم (١) اقليم سبانيا في الجنوب الشرقى وقصبتها نربونه (أربونه) وكان قد دخل في حيازة المسلمين من جبال البرت الى نهر الرون (٢) واطليم اكيثانه AQUITAINE على شمال وغرب سبانيا وفي جنوبه جبال البرانس وشماله نهر اللوار LOIRE وشرقه نهر الرون وغربه البحر المحيط وقصبتها طلوشه يحكمه أمير من الفرنك أو الفرنج يسمى اللوق أودس (٣) واطليم نوستريا NEUSTRIE في شمال نهر اللوار من الغرب (٤) واطليم أوستازيا AUSTRASIE في شمال هذا النهر من الشرق وكان يحكمه أمير من الفرنج ايضا يسمى (شارل) أوقارله أو قلدوس . CHARLES . أودس وشارل كلاهما كان يخشى الآخر ويحذر بطشه والغاليون يكرهونهما معا لانهما من الفرنج الذين جاؤا من جرمانيا وتغلبوا على بلادهم

دعا عبد الرحمن المسلمين من اليمن والشام ومصر وأفريقية الى غزو الفرنج والتغلب على غاليا فلبى دعوته أقوام لا يحصون عددا فغبي منهم جيشا جارا وقصد ان يستولى أولا على اكيثانه ثم نوستريا فان من ملك بردو وپواتيه وطورس وباريس فمن السهل عليه أن يدفع الاوستازيين الى اوطانهم القديمة خلف نهر الرين RHIN فلو تم ذلك لعبد الرحمن لا أصبح أهل فرنسا وان شئت قلت أهل أوروبا

من المسلمين

بينما عبد الرحمن على قدم الرحيل اذ بلغه أن أوامره غير مطاعة لدى محافظ التخوم الشرقيه . هذا المحافظ هو عثمان بن ابي نسعة - كان بربريا وسبق أن تولى امارة الجزيرة وكانت نفسه تواقفة الى أن تعود اليه الامارة فرأى بعين السخط والكراهة ارتقاء عبد الرحمن الى هذا المنصب الذي كان يبتغيه لنفسه وكان له نفوذ قوى في الاقاليم التي كان يحكمها وكان من بينها سردانية CERDAGNE (١) وجميع ماوراء جبال البرانس الى وادي أودس فانه أسكن في هذه الاقاليم عدة قبائل من البربر وكون له فيها حزبا قويا - وفوق ذلك عاهد (٢) دوق اكيثاند الذي كان يهدد بلاده عبد الرحمن ولتوطيد دعائم هذه المعاهدة تزوج عثمان ابنة الدوق المسماة لمياچه LAMPAGIE - اضطر الدوق الى هذه المعاهدة ان قارله كان يهدده من الشمال وعبد الرحمن

---

١ سردانية بلاد على سفحي جبال البرانس قسم منها في اسبانيا والآخر في فرنسا

٢ في تاريخ رومي وكندي ان الذي عاهد اودس هو عثمان بن ابي نسعة كما ذكرنا وقال بعض معاصرينا « انه المنيذر فان ايزيدور سماه MUNUZA وان هذا تحريف منيذر والمنيذر افريقي وابو نسعة لحمي أي من العرب » . من المشكل أن جعل رومي عثمان بن ابي نسعة جنيا في صفحة ٩٥ من الجزء الثالث من تاريخه ( أي من قبيلة جيئة احدى قبائل العرب ) وبربريا في صفحة ٩٩ أي من بربر افريقية الشمالية ) وجعله ذلك البعض لحما وفي فتح الطيب صفحة ٦٩٦ انه خشمي



من الجنوب ومن أجل هذه المعاهدة عزم ابن ابي نسعة أن يقاوم  
عبد الرحمن ويصدّه عن اكيثانة ولكن هذا ما امهله حتى يتأهب  
للمقاومة بل أسرع وأرسل اليه تجريدة قوية تحت امره ابن زياد  
وأمره أن يجيء به حيا أو ميتا فباغته في عاصمته المسماة مدينة الباب  
قبل أن يستعد للدفاع فأسرع الى الفرار هو وزوجته وبعض خدمه  
فاقتفى ابن زياد بدون ريث آثاره في مضائق الجبال حتى أدركه. قيل  
انه القى بنفسه في هاوية لثلا يقع حيا في أيدي اعدائه وقيل انه قاتلهم  
حتى قتله طعنا بالرمح وقطعوا رأسه وقبضوا على لمباچه وأرسلوها  
والرأس الى الامير عبد الرحمن فاطمان اذن على داخل الجزيرة واتجه  
بجيشه الجراراة تخفق فوق رؤسهم الاعلام البيض (١) الى اقليم ياقه  
واجتازوا جبال البرانس وأغاروا على (نوفمبولاني  
NOVEMPOPULANI) وأوغلوا في الدخول في اكيثانه حتى  
وصلوا الى مدينة بوردو فاجتهدت في ان تقاومهم فما افلحت بل  
سقطت في ايديهم ونهبوها

الى هنا كانت الشؤون ميسرة للعرب وحظهم قائما لانهم كانوا  
ينفرون الى كفاح العدو خفافا لكن بعد ذلك ابتداء قيام عقبات في  
سبلهم فان اتقاهم من الامتعة والغنائم الواسعة جعلتهم يثاقلون عن

---

١ بنو أمية كانوا يتخذون الاعلام البيض وبنو العباس الاعلام السود  
والفاطميون الاعلام الخضراء

السمى فى اتمام المأرب الذى وجهوا اليه فعبروا بمشقة نهر جارون ثم  
نهر دوردونيا حتى تقابلوا أخيرا مع الدوق اودس وقد جاءهم بجيش  
عمرم فى مكان يسمى (جيرونده GIRONDE) فاقتتل الفريقان  
ودارت الدائرة على الدوق فقتل من جيشه كثير وأنهزم الباقون  
وخلصت ا كيتانة للمسلمين فاستولوا على مدائنها وقراها وغنمو اغنائهم  
لا تحصى يقال انه كان فى نصيب كل جندي من الذهب والزمرد  
والسوسن والياقوت ما كاد ينوء بحمله خلا طعامه وعدته التى يقاتل  
بها ثم ساروا الى الأمام بدون ان يعارضهم معارض حتى ظهر وا أمام  
مدينة (بواتيه) فاخذت فى مقاومتهم لكن أحد ارباضها كان غير  
حصين فاخذوه واحرقوه وكان فيه كنيسة القديس ( هيلار  
HILAIRE ) فصارت رمادا تذروه الرياح ومع هذا ثبتت المدينة  
على المقاومة

عندئذ استولى على عبد الرحمن التردد بين ان يثبت على حصارها  
أو أن يسير الى مدينة طورس حيث توجد الاعلاق النفيسة والاموال  
الطائلة فى دير القديس ( مرتين MARTINE ) رسول الغاليين لكن  
لما بلغه أن اودس اضطر بعد هزيمة بوردو الى ان يطلب من عدوه  
قارله المساعدة على صد العرب وانهما اتحدا بعد ان استحکم النفور  
بينهما زمنا وجاءا بجيش ذى بأس شديد كثير العدد والعُدَد ان هذا  
الجيش عبر نهر اللوار زال ترده ورحل عن بواتيه . تقابل العرب

وجموع الجرمان عند نهر اللوار بالقرب من طورس في اكتوبر سنة ٧٣٢ ب م ودارت رحى الحرب بين الفريقين وكانت معركة هائلة تعد من المعارك التي لها شهرة في تاريخ العالم بأسره استمر القتال فيها يومين بدون ان يظهر أحد الجيشين على الآخر ولكن الامير عبد الرحمن قتل في حومة الوغى وفي ليلة اليوم الثالث انسحل الحرب سرا مع أنهم لم يقهروا راغبين أن يحفظوا ما بأيديهم من الغنائم التي جمعوها وان لا يعرضوها لخطر هذه الحرب الشواء ورؤساء الفرق كانوا يتوقعون عصيان جنودهم واتباعهم

هذه الواقعة وضعت حدا لامتداد الاسلام في اوروب الغربية. يظهر ان جيش عبد الرحمن لم يسلك طريق السياسة التي اتبعها طارق وهوسى وابنه عبد العزيز وغيرهم ممن حدا حذوهم في فتح البلاد فان هؤلاء كانوا اذا رأوا الطاعة من الاهلين آمنوهم على ارواحهم واموالهم واكتفوا منهم بالجزى ولا يمسون دينهم ولا قضاءهم لكن يضعون دساتير تدور عليها الشؤون الاهلية تحت سلطان قادة من المسلمين فبهذا كان الاهلون يخلدون الى حكمهم

كان يمكن عبد الرحمن ان يتخذ معاهدة عمان واودس وقيام الشحاء بين هذا وقارله وبنقض الخالين لها لانهم من الجرمان ذرائع للاستيلاء على اكيثانه وأسترازيا لكنه اقترب قتل عثمان وحزبه من البربر قوى ساكن في الشرق والشمال الشرقى وكان لا يعدم وسيلة

الى استمالته وتوجيهه الى مشاركة اودس فى قتال خصمه قارله فاذا  
قهره زاد نفوذ العرب فى ارض الغال وعرفوا دخائنها واستطلعوا احوالها  
وعندئذ تنضج البلاد لتؤكل سائفة

بعد ان عبر جنود عبد الرحمن المختلفة الطوائف جبال البرانس  
يؤخذ من سير حوادثهم أنهم ما وجهوا عزائمهم الا الى النهب والسلب  
والفتك بالارواح وتخريب البلاد واحراقها وتركها يباباً لا الى فتحها  
وادخالها فى طاعة المساهين وحكمهم واقامة حاميات تحفظ الامن  
فى ارجائها وتولية ولاية يديرون شؤنها بالقسطاس المستقيم كما كان  
الحال فى فتح اسبانيا

لو كان هذا لكان من الميسر للجنود أن يودعوا أنفسهم من  
غنائم الحرب فى البلاد المفتوحة لانهم ينشرون بحماها فى ميادين  
القتال فصرهم عليها كان سبب فشائهم وضياعها . وما ادى ايضا الى  
فشل جيش عبد الرحمن (١) وقوع النفور بين العرب والبربر الذين هم  
من حزب ابن ابي نسعة المقتول (٢) وكذا تتابع القتال وقتل الرجال  
بدون ملء يد لخلل (٣) والتمادى فى الغزو بدون توطيد دعائم  
السلطان والحكم والامن فيما تركوه خلف ظهورهم من البلاد التى  
اغاروا عليها وتنص علاف الخيل الذى ادى الى فيض كثير منها .

لما بلغ والى افرريقية موت عبد الرحمن ولى (٣٨) (عبد الملك بن  
قطن الفهري) اماره الجيش فى اسبانيا واقره الخليفة وامره ان يأخذ

بالتار من الافرنج فوعظ المسلمين وحرّضهم على نجدة عمالاتهم  
المهددة خلف جبال الابواب وارسل عدة تجريدات تحت امرة قوّاد  
ماهرين وتخلّف هو في قرطبة لادارة البلاد التي كانت اختلت  
ولكن جاءه امر الخليفة بان يقوم ويترك كرسى الامارة ويحارب  
الافرنج بنفسه فلما وصل الى مضائق السفح الشمالى وقد حان فصل  
الامطار بَعَثَ نصارى الجبال بالهجوم وكانوا يترقبونه في الممرّ فاضطر  
الى التقهقر وتبدد شمل جيشه — هذه الهزيمة اضعفت ثقة قبائل  
اسبانيا فيه وعزله الى افريقية في الحال وولّى مكانه اخاه (٢٤) (عقبة بن  
الحجاج) لما أظهره في محاربة الثائرين من بربر افريقية من القدرة والشجاعة.  
بمجرد وصوله الى الأندلس عزل القواد المغلوبين والعمال الذين  
استأثروا بمال الحكومة واكلوا أموال الاهلين ظلما ثم عني بادارة البلاد  
فأقام في المدن والقرى قضاة وفي الاقاليم ولاة وعيّن مع كل والى اقليم  
شرطة أى جيشا مسلحا يحفظ الامن في البلاد ويبقى ثابتا فيها وكان  
الشرطيون يسمون كشافا لانه كان من عملهم كشف الاشرار أى  
الوقوف عليهم وأمر باحصاء عدد الاهلين ووضع نظاما عادلا للخراج  
واشتهر عصره بانشاء مساجد كثيرة بجوانبها مدارس فانه كان من  
عادة العرب ان يبنوا بجانب كل مسجد مدرسة وكان لهذه المساجد  
خطباء ومدرسون يعلمون الناس الدين  
وعُرف عقبة بين الناس بالزاهية والاستقامة والعدل والتمسك

الشديد بالمحافظة على الحق وبأنه صعب المراس فيه فلا يثنيه عنه ثان .  
لما ظهر له براءة عبد الملك مما اتهم به اعاده الى المناصب العامة فقلده  
ولاية التخوم الشمالية أى ( نقارة ) و ( ارجونه ) وجعل مقره ( بنپاونه )  
بعد ان تم الاصلاح فى اسبانيا جاء كتاب من الخليفة هشام  
يأمر فيه عقبة بغزو الفرنجة ( بلاد الغال ) فتهباً لان يجتاز جبال البرانس  
فوصل الى سرقسطة وعزم على أن يجعلها مركز أعماله وأمر الى  
سبتمانيا يوسف الفهرى أن يهاجم شواطئ نهر الرون اثناء ما يغير  
هو على اكيثانة لكن لم تنفذ هذه العزيمة فان اخاه الى افريقية  
دعاه اليها لاطفاء ثورة البربر التى أبادت قوة الخليفة هناك فعاد الى  
قرطبة ثم اجتاز النهر وأسرع الى افريقية ومعه فرقة من الفرسان  
( سنة ١١٩ للهجرة — ٧٣٧ للميلاد ) وعند وصوله الى طنجة اتحد  
هو والقواد وساروا نحو البربر فبددوا شملهم وسكنت الفتنة لكن  
عقبة اضطر الى البقاء فى افريقية زمنا ولم يعد الى اسبانيا فورا خشية  
أن يتجدد عصيان البربر — بلغه ان قارلة حاصر نرپونه فأرسل  
جيشا فى السفن تحت امرة عمر بن خالد لا نقاذها فلما وصلوا الى  
ساحل سبتمانيا أوقع بهم قارلة الذى كان متوقفاً وصولهم ثم انهمل من  
طول زمن الحصار فترك نرپونه ورجع الى نوستريا والذى يظهر ان  
المدد هو الذى انقذ المدينة واضطر قارلة الى العودة  
عاد عقبة الى اسبانيا فوجدها مختلة النظام وعمالها على غير وئام

الا انه رأى عبد الملك ساعيا في خير رعيته موظدا دعائم الامن في  
أقاليم الشمال محافظا على التخوم فكتب اليه يشكره على حميته وجايل  
أعماله وأرسل اليه مدد ابرين فرسان ومشاة

في سنة ١٢٢ للهجرة ( ٧٤٠ للميلاد ) مرض عقبة ومات اثر  
مرضه ( ١ ) خلفه في الامارة ( ٣٠ ) ( عبد الملك ) فكانت ولايته الثانية  
وكان وقتئذ في سرقسطة فاقام ابنه أمية حاكما في طليطلة وعبد الرحمن  
ابن عقبة عاملا على قرطبة

بعد موت عقبة ثارت قبائل البربر في أفريقية مجتمعة تحت لواء  
خالد الزناتي فحاربهم الامير كلثوم بن عياض فهزموا جيشه وقتلوه وقيل  
جرحوه وفرّ الى سبتة

لما وصل خبر هذه الهزيمة الى الخليفة هشام قلّد حنظلة بن صفوان  
والي مصر ولاية أفريقية وأمره بكمج جماع البربر فأسرع الى المغرب  
يقود جيشا عرمرما فوصل في رجب سنة ١٢٥ للهجرة ( مايو  
سنة ٧٤٣ للميلاد )

يؤخذ من ( تاريخ رومي ) « ان الجيش كان مركبا من أمم

---

١ وفي رواية ان عقبة حكم خمس سنين يصحبه المجد الى ان تار عليه عبد  
الملك وخلصه وقتله أو طرده من اسبانيا - وقيل ان الشعب الاسباني هو الذي  
تار على عقبة في صفر سنة ١٢٣ ( ديسمبر سنة ٧٤٠ ) في السنة السابعة من  
حكمه وأقام مقامه عبد الملك وانه مات في الشهر الذي خلع فيه في قرطشونة

مختلفة فكان فيه العرب والشاميون تحت قيادة ثعلبة بن سلامة  
والمصريون وسكان برقة تحت امرة بلج بن بشر وسكان المغرب  
الذين هم من ذراري فاتحي البلاد تحت قيادة حنظلة نفسه وانه لما  
التحم الفريقان وحى الوطيس واشتدت سورة الغيظ اضطر فرسان  
المصريين والشاميين الى ان يتركوا ميدان القتال تسيل فيه الدماء  
وتغويه اشلاء القتلى الى المغاربة ذوى الصبر والجلد ولجؤا الى الفرار  
ولا ذوا بسبته ومعهم القائدان بلج وثعلبة وقيل ان بلجا لاذ بسبته مع  
عمه كلثوم والى افريقية قبل حنظله بن صفوان

اقر الخليفة هشام عبد الملك بن قطن في اماره اسبانيا سنة ١٢٥

للهجرة (١)

قال روى المؤرخ « لما بلغ عبد الملك وهو في سرقسطة التجاء  
جنود المصريين والشاميين الى سبته تحت قيادة بلج وثعلبة خشي  
ان يحدثوا قلاقل في اسبانيا فمنعهم من الدخول فيها (٢) لكن نشأ  
عن هذا المنع ان حنق أعداء عبد الملك عليه ورثوا لهؤلاء الجنود  
البائسين وعزموا على ان يستقبلوهم في اسبانيا رغما عنه وعلى ان يخلعوه

---

١ في السادس عشر من ربيع الثاني من هذه السنة مات الخليفة هشام في  
الرصافة بعد ان حكم تسع عشرة سنة وسبعة أشهر وأحد عشر يوما وكان عمره  
٥٣ سنة ٢ قال كندي المؤرخ ( ان عبد الملك أسف من جهة على هزيمتهم  
لكنه خشي من أخري ان يحدثوا قلاقل في اسبانيا فكتب اليهم ان لا يتجاوزوا  
الشاطيء وان يعودوا سريعا الى افريقية



فاجتاز بشر وثعلبة بمعونتهم المجاز في أواسط سنة ١٢٥ (٧٤٣)  
لما بلغ بربر أسبانيا خبر انتصار اخوانهم في افريقية ملئوا فرحا  
وحماسة وهبوا لأن يلقوا نير حكم العرب عن كاهلهم فتأروا في ثلاث  
نقط : فرقة منهم اتجهت الى طليطلة التي كان حاكمها أمية بن عبد  
الملك وأخرى جاءت على قرطبة وعاملها عبد الرحمن بن عقبة  
وثالثها اتجهت نحو الشاطئ ليمنعوا جنود بلج وثلعة من العبور الى  
الأندلس فخاب أمل البربر في النقاط الثلاث : فان فرقة طليطلة قاومه  
أمية وفرق شملها وفرقة قرطبة دفعها عبد الرحمن والفرقة الثالثة انقضت  
عاليها جنود سبته ومن انضموا اليهم من العرب واثنخوا فيها ثم اتجهوا  
الى قرطبة ناقين على عبد الملك لرفضه قبولهم في أسبانيا  
حينئذ قرر أهل قرطبة ان يسلموا أميرهم إماماً لانهم يكرهونه وإماماً  
خشية من قساوة بلج وحزبه فربطوه في قنطرة بين خنير وكلب  
الى ان جاء بلج وقطع راسه وعلقوه على باب المدينة سنة ١٢٥  
(٧٤٣) اهـ

صرح رومي في عبارته هذه بان فرقة من البربر اتجهت نحو مجاز  
طارق لتنع جنود بلج وثلعة من اجتيازه وبان هؤلاء الجنود قاتلوا  
البربر بعد أن عبروا المجاز لكن لم ينجى في تاريخ كندى (CONDÉ)  
ان فرقة من تأثرى البربر اتجهت لصد العرب القادمين بل ذكر  
« ان المنهزمين من طليطلة وقرطبة انضموا الى جيش بلج وثلعه

فاجتمعت لهما بهم قوة كثيرة العدد فخاربا جنود عبد الملك وهم من العرب حتى ان هذا الامير كتب اليهما وهو في قرطبة أنه ليس من الحكمة ضم جنودها الى ثاثرى الاندلس وأنه كان الاجدر بهم ان ينضموا الى جيش العرب للاتحاد في الاصل واللغة وان بعضد بعضهم البعض بدل أن يجعلوا بربر المغرب والاندلس يحنون الثمرات من وراء شقاقهم واهلاك بعضهم بعضاً ذكرهم بان الاندلسيين ما خضعوا الا بالسلاح ويخشى ان يهبوا لاختد الثار ويستردوا حريتهم وأشار على بلج وثعلبة أن يحتلا جزيرة شطيش SALTIS الى أن يعود النظام وتجري المياه في مجاريها ويرجعا الى افرريقية فان في هذا سلامتهما وان بلجا وثعلبة لم يعيرا هذه المعقولات آذانا واعية بل اتخذها دليلا على ضعف وخوف عبد الملك

وأن أهل قرطبة هلعوا من زوبعة الثورة وذعروا من قساوة البربر فأرادوا أن يخدموا نار هيجان الثائرين بتسليم أميرهم عبد الملك فر بطرا هذا الرجل الصالح وكان مجروحا جرحا بليغا... الخ»

(٣٢) عندئذ اعلنت المدينة والجند امارة بلج بن بشر على اسبانيا ولكن ثعلبة بن سلامة الذي جاء معه من افرريقية لم يعترف له بهذه الامارة قائلا « ان تولية ولاية اسبانيا من حقوق الخليفة ووالى افرريقية لا من حقوق الاهلين والجند » وانضم لرأيه أغلب قبائل اسبانيا ثم توجه هو وحزبه الى ماردة

( ٤ - تاريخ العرب في اسبانيا )

في هذا الحين كان يتنازع سلطان الجزيرة ثلاث قوى : بلج في قرطبة و ثعلبة في ماردة وقطن وامية ابنا عبد الملك في طليطلة وانضم اليهما عبد الرحمن بن عقبة وكان فارسا مغوارا وتبعهم العرب الحقيقيون وبقايا البربر فجمعوا جنودا كثيرة وأقبلوا نحو بلج وكان لم يبق معه الا اثناعشر الفا فتقابل الجيشان في سهل قاعة الرحبة CALATRAVA وجرت دماء الفريقين على الصصححان . في اثناء القتال ألقى بلج بفروسه وسط المعركة ونادى أين ابن عقبة فأسرع اليه هذا مجيبا ( هأنذا ) وهجم أحدهما على الآخر ولكن كانت طعنة ابن عقبة سابقة فخر خصمه ابن بشر صريعاً وأمهزم اتباعه الشاميون

في هذه الاثناء كانت رحى الحرب دائرة بين بربر افريقية وحنظلة بن صفوان واليها فخذ لهم أخيرا وأطفأ نار ثورتهم وعاد غانما منصورا وثاب أهل المغرب جميعا الى الطاعة

بلغ حنظلة حينئذ ما هو حاصل في اسبانيا من المعارك الاموية والاختلال العام في انحاءها فولّى عليها واليا جديدا رأى فيه ان يرتق فتوقها وهو أبو الخطار

( ٣٣ ) قبل وصوله الى اسبانيا صار ( ثعلبة بن سلامة ) حاكم ماردة وقد فتحت له قرطبة أبوابها بعد أن أسر ألف رجل من البربر وجردهم من السلاح وشدّ وثاقهم وأمر بضرب اعناقهم يوم الجمعة على مرأى من الأمة

كاد أمره هذا ينفذ لولا أن رأى الناس مجيء (٣٣) أبي الخطار في  
موكب حافل ففكوا أسرهم . لم يسع ثعابة إلا الخضوع إلى الوالي الجديد  
وهذا أرسله إلى أفريقية ليسأله وإليها عما جناه

بعد هذا توجه أبو الخطار من قرطبة إلى طليطلة حيث كان فيها  
عبد الرحمن بن حبيب موالى ومحارب ثعابة فطرده منها ثم جاءه محاربو  
أبناء قطن وحيث بالسالم باعتبار أنه أميرهم الشرعى ثم أخذ يوطد  
دعائم النظام في الجزيرة بالسياسة والحزم أكثر من القوة إلى أن  
دخلت كلها في دائرة سلطانه واعترف أهلها جميعا له بالامارة العامة .  
كان شيخا شهيا حذكته التجارب في الحروب ذا حمية في العمل الصالح  
لما رأى أن الحروب الأهلية الأخيرة أفضت إلى أن أصبح كثير من  
القبائل بدون مأوى وأنه جاء أيضا لاستيطان إسبانيا عدد عظيم من  
اليمن والشام ومصر والمغرب أحصى عدد القبائل وحصر الاصقاع  
الخالية واسكن كل قبيلة صقعا فأسكن اليمانيين والشاميين المدن  
والمصريين وبعض عرب الجزيرة الأقدمين الأندلس والساحل والبربر  
أقاليم المغرب والشمال ( ١ ) ومن هذا الحين زالت ولاية تدمير التي

---

١ قال ابن خلدون « كان أبو الخطار شجاعا كريما ذا رأى وحزم وكثر  
أهل الشام عنده ولم تجعلهم قرطبة فقرعهم في البلاد وأنزل أهل دمشق البيرة  
لشبهها بها وسماها دمشق وأنزل أهل حمص اشبيلية وسماها حمص لشبهها بها وأهل  
قنسرين جيان وسماها قنسرين وأهل الأردن ربة وهي ماقعة وسماها الأردن وأهل  
فلسطين شدونة وهي شريش وسماها فلسطين وأهل مصر تدمير وسماها مدمر

عاهده عليها عبدالعزيز

لم يدم استتباب الأمن في الجزيرة زمنا طويلا فان أبا الخطار  
عند قسمة الارض بين القبائل مال الي جانب اليمانيين فغني من ذلك  
المصريون وأيضا لم يرض أن يولي الصميل بن حاتم العراق ( ١ )  
حكومة سرقسطة مع أن بلج بن بشر وعده بها اذ جاء في جنده الي  
اسبانيا وكان ذا ذرعة على الحروب وقيادة الجنود واتصل به ثوبة بن  
سلامة أخو ثعلبة المنفي الي أفريقية فألبا على الوالي اعداءه وثاروا جميعا  
الي أن التقوا بجيش ابي الخطار بالقرب من شدونة على وادي السكك  
فهمزموه وأخذوه أسيرا ( في رجب سنة ١٢٧ — افريل سنة ٧٤٥ )  
وحبسوه في قلعة في قرطبة

( ٣٤ ) عندئذ اعلن الصميل وحزبه امارة ( ثوبة بن سلامة ) على اسبانيا  
فكر أمية بن عبد الملك وعبد الرحمن بن عقبة اللذان كان لهما  
قيادة الشمال الشرقي من الجزيرة في اعادة الامارة الي ابي الخطار  
فارسلا جاسوسا الي قرطبة سرا فهجم ومعه ثلاثون فارسا من شجعان  
المدينة على أحراس السجن فأطلقوا سبيل المسجون وفي اليوم التالي  
علم أهل المدينة بما جرى فقاموا لنصرته واعتقل شبانهم السلاح من

( ١ ) كان جد الصميل شعر من اشراف الكوفة وهو أحد قتلة الحسين —

دخل الصميل الاندلس حين دخل كنفوم بن عياض المغرب نازيا وساد بها وكان  
شاعرا كثير السكر أميا لا يكتب ومع ذلك انتهت اليه رئاسة العرب بالاندلس  
وكان أميرها يوسف القهري كالمناوب معه .

أجله ومن فرّوا من القلعة أخبروا الصميل فجاء وحاصر قرطبة فأخذ  
الاهلون في الدفاع عن حوزتهم والدود عن حوزتهم منتظرين النجدة  
من أمية فمهمضوا تحت أمرة أبي الخطار ليزقوا سياج الحصار فجازوا  
بعض الفوز على جيش الصميل ولكن بعد أيام أعادوا الكرة فدارت  
عليهم الدائرة وقتل أبو الخطار ( في ذى الحجة سنة ١٢٧ — سبتمبر  
سنة ٧٤٥ )

حينئذ بقى لقب أمارة اسبانيا لثوابة واكتفى الصميل بأن يشاركه  
في حكم الجزيرة واختص بالاقاليم الشرقية ولقب بوالى سرقسطة  
فأساء التصرف وظالما الأهلين ومات ثوابة في الشهر الاخير من سنة  
(١٢٨) فاضطر رؤساء المسلمين الى ان اجتمعوا في قرطبة وتشاوروا فيمن  
يخلفه فأجمعوا أمرهم على ان يقيموا واليا يكون له السلطان العام على  
جميع الامراء فاختروا لهذا المنصب الخطير رجلا شهما فطنا على القدر  
( ٣٥ ) لم يدخل في ثورات الاحزاب الاخيرة وهو (يوسف بن  
عبد الرحمن الفهرى) ( ١ ) أمير سبانيا ( ربيع الثانى سنة ١٢٩ —  
بين ١٩ ديسمبر سنة ٧٤٦ و ١٦ يناير سنة ٧٤٧ ) وهذا الانتخاب قبلته  
الامة بفرح عظيم اكثر من فرحها بموت ثوابة  
زار هذا الامير اقاليم اسبانيا كلها وأزال المظالم وأصلح الطرق

---

١ جده العالي عقبة بن نافع فاتح افريقية وباني مدينة القيروان — وكان  
عمر يوسف وقتئذ ٥٧ سنة

والقناطر وبنى جوامع عديدة واحصى امم اسبانيا فى الدفاتر وقسم البلاد الى خمسة أقاليم .

الأول اقليم الأندلس ويسقيه النهر الكبير ونهريانه وقاعدته قرطبة ومن مدنه اشبيلية وقرمونه واستجة وطالقة وشدونه وأركش ARCOS ولبله ومالقة والبيرة وجيآن

الثانى اقليم طليطلة ومن مدنه الشهيرة طليطلة وباجة ووادى آش ومرسية ومولة MOULA ولورقة وأريولة والش ELICHE (١) وشاطبة ودانية ولقنت وقرطاجنة وبلنسية ووادى الحجارة

والثالث اقليم ماردة وكان يتركب من أقليم لوزيتانيا ( المعروفة الآن بالبرتغال ) واقليم جليقية GALICE ومن مدنه ماردة واشبونة ( ويقال لها أيضا لشبونة ) وبرتقال ولك LEK ( ويقال لها أيضا لوغو LUGO ) واسترقة ASTARGA وبطليوس والبورة

والرابع اقليم سر قسطة وهو قسم طر كونة ويشتمل على المدن الشرقية من قطالونية الجديدة CATALOGNE وهى سر قسطة وطر كونة وجيرونده ( ويقال لها أيضا جيرونه GIRONNE ) وبرشاونه ولا رده وطرطوشه ووشقة وتطيله TUDELA وبنبلونة وبر بشتّر

---

١ فى دائرة المعارف انها يقال لها أيضا آليش وفى تاريخ رومي ان العرب تسميها ELDJEH الجة

ودياقة DIAKA ويقال لها أيضا جاقه JACCA  
والخامس اقليم سبانيا وهو في الجنوب الشرقى من بلاد الغال  
بعد جبال البرت ومدنه الشهيرة أربونه وقرقشونه وبطيراس  
BATIERAS وأغاده AGADA ومغلونه MAGUELONNE  
ونيموسة NÉMOUSA ونوطبه LOTUBA وكانت سلطة العرب  
في هذا الاقليم الاخير تمتد الى نهر الرون

في عهد ما كان يوسف الفهرى يسوس اسبانيا بالحكمة كان  
بنو العباس في الشرق يزعجون روح الخلافة من بنى أمية في دمشق  
سنة ٧٥٠ للميلاد فسمع دوى الشقاق بين العباسيين والامويين في  
اسبانيا وتكانت الحروب الداخلية فيها بددت شمل العرب وأضعفت  
قواهم وكاد عز الاسلام يتقلص ظله في هذه الديار حتى نزع الامارة  
من يوسف الفهرى عبد الرحمن الداخل وجلس على كرسى ملك  
اسبانيا سنة ٧٥٦ للميلاد

وبهذا انقرضت امارة الامراء ومدتها من دخول طارق الى  
انقراض حكم يوسف نحو ٤٥ سنة ميلادية وما كانت اسبانيا في  
عهدهم الا ولاية تتبع والى افريقية ومع هذا كان امرؤها المقامون  
من قبل الجند يتصرفون في ادارة البلاد تصرف المستقلين



## دولة بني أمية في اسبانيا

### ١ - عبد الرحمن الداخل

أراد الله ان يكون لبني أمية دولة بالمغرب بعد انقراض دولتهم بالمشرق فان بنى العباس لما فتكوا بهم وانتزعوا منهم الخلافة واستباحوا دماءهم كي يستأصلوا شأفتهم ويصفو لهم الجو فر من وجوههم عبد الرحمن ابن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان وابن عشرين سنة (١) اذا أمر السفاح أول الخلفاء العباسيين ان يقتل هو وابن عمه في دمشق حيث كانا يسكنانها لكن من حسن حظ عبد الرحمن ان كان غائبا في ذات الزيتون فلما بلغه الخبر فر الى فلسطين واقام هو وخادمه بدر يتجسس الاخبار

تربى عبد الرحمن في بيت الخلافة الاموية يتيم فقد مات أبوه معاوية سنة ١١٨ وهو ابن خمس سنين فكفله واخوته جدّهم هشام عاشر الخلفاء الامويين وكان يقطعه الخماس الاندلس فلها كانت انظار عبد الرحمن ترمى الى اسبانيا

جدّ بنو العباس في طلبه ففرّ منهم الى أفريقية وكان حاكما بركة وقتئذ ابن حبيب الفهرى وهذا وان كان صنيعة الامويين ولكنه دار

---

١ ولد في ارباض دمشق سنة ١١٣ للهجرة. في تنسح الطيب انه ولد بدير حنام من أرض دمشق وقيل بالعلياء من تدمير

مع الدهر ونسى احسانهم القديم فارسل جنود الشرطة في الانحاء والطرق ليرقبوا عبد الرحمن ويأتوا به في الاصفاد قائلا لهم « ان اعظم خدمة نؤديها الى الخليفة هي القبض على هذا الآبق » جاب عبد الرحمن بلاد برقة على غير هدى بل راكبا التعاسيف ولكنه كان يلقي في كل بلد حل فيه كراما يكرمون مشواه وكان يدعو القلوب الى محبته شبابه وجمال روائه وسيا الملك في حياه ودمائة أخلاقه

ذات ليلة فاجأت الشرطة قوما نزل بهم وسألهم « هل نظرتم شابا سوريا صفاته كيت وكيت » فأجابوها « انه بكر لصيد الأسد ومعه عصا به من الفتيان يبيتون الليلة في وادي كذا » لما سمع السائلون هذا الجواب أرخوا أعنة خيلهم الى الوادى ثم دخل المضيفون الى عبد الرحمن وبلغوه الخبر وأمدوه بعشرة شبان أشداء هرب معهم تحت جناح الظلام يقطعون السهول والجزون حتى أبعدها المفتر في الصحارى وآووا الى مأوى بعيد عن حبال ابن حبيب ماراعهم فيه ان سمعوا زئير السباع ثم تابعوا السير نحو الغرب عدة أيام حتى وصلوا الى مدينة تاهرت ( ١ ) حيث تقيم قبيلة زناتة ( ٢ ) فاستقبلوا

١ يقال لها أيضا تيرت وكانت عاصمة البربر وبينها وبين تلمسان والبحر أيام قلائل

٢ كانت قبيلة زناتة من القبائل المشهورة بين البربر وهي قبيلة طارق بن زياد وكانت منتشرة في جزء عظيم من ساحل افريقية وكان هذا الجزء يسمى بالمغرب الاقصى ويشغل أرضه الآن ولاية الجزائر وجزء من اقاليم قسطنطينية

فيها استقبالا عظيما فان الزناتيين كانوا خؤولة عبد الرحمن لأن أمه (راح) كانت تنسب الى هذه القبيلة .

في هذه الاثناء كانت الحروب الاهلية قائمة في اسبانيا بين يوسف الفهرى أمير قرطبة وطلحة وعامر بن عمرو العبدري أمير سرقسطة ومن أجل ذلك ساد الاختلال في انحاء البلاد .

علم عبد الرحمن طريد العباسيين بأحوال اسبانيا فسنحت له الفرصة أن يثب على كرسى حكومتها ويرفع قدر أمية فأرسل بدرا خادمه الصادق عتيق ابيه الى اسبانيا ليمهد له طريق ذلك باستالته العقول اليه فكان من المصادفات الغريبة وسعد طالع عبد الرحمن أن رأى بدر عند وصوله الى قرطبة ثمانين شيخا من رؤساء القبائل مجتمعين فيها والامير يوسف غائب يتشاورون في نزع الامارة منه محتجين بانه لا يستعملها الا في منافع الفهريين قبياته والقيسين قبيلة الصميل رفيقه وبانه أخذ في سلاح الجزيرة عن خلافة آسيا وقد اتفقوا جميعا على نزعها ولكن كان من الصعب عليهم أن يجدوا أميرا يجمع الصفات التي تقتضيها الحالة الساخرة .

كاشف بدر بعضهم بمقصد ففرض ذلك البعض على مجتمعهم اسم عبد الرحمن قائلا لهم انه فتي سرري من بيت خلافة بني أمية فر من فتك بني العباس ونجاته تحسب من المعجزات الباهرة وقد التجأ الآن الى قبيلة زناتة « فلما سمعوا اسم أمية ههشوا جميعا اليه

لا سيما السوريون وقرروا باجماع الاصوات انتخابه أميراً لاسبانيا  
كانت رئاسة المجتمعين تنتهى الى أبى عثمان عبيد الله وعبد الله  
ابن خالد صهره فوجهوا الى الامير المنتخب مركبا فيه تمام بن علقمة  
أبو غالب ووهب بن الاصفر وشاكر بن أبى الاسمط فعبروا المجاز  
ومعهم بدر ووصلوا الى تاهرت فتقدم تمام الى عبد الرحمن وعرض  
عليه امارة الاندلس باسم المجتمع قائلا « اجمع المسلمون الصادقون  
على انتخابك أمير الجزيرة فيسعدك أن تبني فيها ملكا مشيدا الأركان  
موطد الدعائم على أساس أقوى من الجبال مهتدا على عزائم القوية  
وطاعتهم الصادقة . لا ريب أن ستجد مقاومة وبعض خطر ولاكنك  
لست وحدك بل بجانبك فتيان أشداء من أبناء من فتحوا الغرب  
ومشوب ترغب فيك وتدعوك اليها ونحن جميعا نهب الى الوشى ونبذل  
الأرواح فى سبيل ارتقائك الى عرش الامارة التى نلقى مقاليدها  
اليك ونحفظ بنيانها من ان يثلم »

سكت عبد الرحمن هنيهة يترقع أن يتمم تمام خطابه لكنه أحس  
ان الوفد ينتظر اجابته فقال « أيها السراة الاجناد اجابة لرغائبكم  
وسمعا وراء أمانيتكم فى اصلاح شؤون مسلمى اسبانيا اذهب معكم باذلا  
النفوس فى سبيل الدفاع عن هذه الغاية الحميدة فاذا صدقت عزائمكم  
ودامت طاعتكم وفتح الله لنا باب الفوز رأيتم منى اخا ثقة يقاسمكم  
الشقاء والهناء . يعلم الله انى لا أخشى الشدائد ولا أهوال الحروب

ولا أُرهب الموت الأحمر فقد عر كنى الدهر وعركته وكثيرا ما ركبت  
متون الاخطار على حداثة سنى واذا ما كان ما يدعوننى اليه هو  
رغبة مسلمى الاندلس الاشراف فانا البى نداءهم وأقبل ان اكون  
أميرهم وحامى ذمارهم ان شاء الله »

لما قبل عبد الرحمن من الوافدين اليه اماراة الاندلس هتأه  
شيوخ زناته بهذا المنصب الخطير وأمدّوه بسبعائه وخمسين فارسا من  
تاهرت ومكناسة وقيل بألف فمبر بهم البحر حتى نزل حصن المنكب  
على ساحل كورة البيرة (١) فى ربيع الآخر سنة ١٣٨ (٢) فى خلافة  
ابى جعفر المنصور العباسى

فى ذلك الحين انسلخ اقليم سبانيا من حكومة المسلمين وسببه  
هبوب عواصف الثورات وتأجج نيران الفتن فى اسبانيا  
فى غضون ما كانت سفينة عبد الرحمن تسوقها ريح رخاء الى  
الاندلس وشيعته المنبشون فى الجبهات يرتقبون وصوله ليستقبلوه ويشهروا  
امارته على الجزيرة انتصر يوسف الفهرى على عامر وابنه وأخذ منهما  
سرقسطة فى آخر سنة ١٣٧ للهجرة (٧٥٥) ورجع بهما وبهاجبهما  
الحباب الزهرى مصفدين فى الاغالل وبينما هو جدلان من انتصاره

#### ١ مملكة غرناطة

٢ فى ابن الاثير ونفع الطيب وكندى ان عبد الرحمن نزل حصن المنكب  
فى شهر ربيع الآخر من سنة ١٣٨ وخطأ رومى شهر التاريخ وقال ان عبد  
الرحمن نزل هذا الحصن فى ثالث ذى القعدة من هذه السنة

اذ فاجأ خبر دخول عبد الرحمن الاندلس فانقلب فرحه ترحاً وكان وقتئذ في وادي نهر الرمل على بعد خمسين ميلاً من طليطلة عندئذ قتل الثلاثة المصفدين طعنا بالرماح وكان في قتلهم أقول نجم سعدة وبزوغ شمس سعادة خصمه عبد الرحمن قال يوسف للصميل ما الرأي فأشار عليه ان يلف له ويخفيه زواج ابنته ويهديه ولا يعاديه وبدا يتحكم فيه وفيمن سعوا له فبعث يوسف كاتبه خالداً بكتاب وكسوتين ومطيتين وخمسمائة دينار وقال له اعرف امره وأمر من حوله فخرج في الليل ومعه صاحب وأصبحوا على ابن معاوية بالكتاب والهدية فقبل الهدية وابى الزوج فأغاظ خالد القول فامر ابن معاوية بوثاقه وردّ غيره الى يوسف ولم يردّ عليه جواباً. ومن كتاب يوسف الى ابن معاوية « أما بعد فقد انتهى إلينا نزولك بساحل المنكب وتأنّس من تأنّس اليك ونزع نحوك من السراق واهل الخثر والغدر وتقض الايمان الموكدة التي كذبوا الله فيها وكذبونا وبه جل وعلا نستعين عليهم ولقد كانوا معنا في ذرى كنف ورفاهية عيش حتى غمضوا ذلك واستبدلوا بالامن خوفاً وجنحوا الى النقض والله من وراءهم محيط فان كنت تريد المال وسعة الجنب فاننا أولى بك ممن لجأت اليه أكنفك وأصل رحمك وانزلك معي ان أردت أو بحيث تريد ثم لك عهد الله وذمته بي ألا اغدرك ولا أمكن منك ابن عمي صاحب افريقية ولا غيره (١) »

## هذا بعض فصول الكتاب

لما لم يرد ابن معاوية على يوسف جدّ هذا وصاحب الصميل في المسير  
وأرسلا أوامر بحشد الجنود في اقرب وقت وأمر يوسف ابنه عبد  
الرحمن بان يدافع عن كورة قرطبة حتى يصل اليه  
لما نزل عبد الرحمن من السفينة الى حصن المنكب ومعه نحو  
الف فارس من زناته بادر رؤساء الاندلس الى استقباله وحلفوا له  
يمين الطاعة وكان في مقدمتهم أبو عثمان وابن خالد رئيسا قبائل البيرة  
فركبوا الى قرية طرُش TARRX منزل ابى عثمان  
انتشر خبر دخول عبد الرحمن الاندلس بسرعة في جميع انحاء  
اسبانيا الجنوبية فكان يجيئه وجوه القبائل ويبايعونه ويلقبونه بالداخل  
وفي أيام قلائل جمعوا له عشرين الف جندي من كور البيرة والمرية  
ومالقه وشريش وأركش وشدونة . كان ينتقل من كورة الى اخرى  
قاصدا قرطبة ورؤساء اليمانية ينضمون اليه اثناء المسير فانضم اليه في  
رية عيسى بن مساور (١) وفي شدونة غياث (٢) بن علقمة وفي  
مورور أبو الصباح .

يرى ان مسير عبد الرحمن الى قرطبة ما كان في طريقها السلوك

---

١ في ابن الاثير عيسى بن مساور وفي ابن خلدون عيسى بن مسور  
٢ في ابن الاثير غياث بالغين المعجمة والطاء المتلثة وفي ابن خلدون عتاب  
بالغين المهملة والباء الموحدة

فانه سار من الشرق الى الغرب فى الارض التى يستكنها المصريون  
والسوريون المتخلصون فى ولائهم فكانت المدن تفتح له أبوابها ولما  
قرب من اشيلية سارع أهلها وهم من قریش الى استقباله ثم صعد  
منها مسرعا الى النهر الكبير قاصدا قرطبة حيث كان ابن يوسف  
مستعدا للقتال فخرج للقائه يقود جيشا قويا على الشاطئ الايسر  
من النهر فتقابلوا ودارت رحى الحرب بين الفريقين بدون ابطاء :  
حمل جيش الفهرى على اعدائه ببسالة ولكن ما أمكنه ان يثبت  
أمام شجاعة فرسان زناته بل انقلب على عقبه فارا الى قرطبة واقتفى  
أثره عبد الرحمن حتى وصل الى أسوار المدينة وحاصرها

لما بلغ يوسف خبر هزيمة ابنه وقع الرعب فى قلبه وجدّ هو والصميل  
فى المسير ليرفعا الحصار عن قرطبة وعزما أن يفاجئامعسكر عدوهما  
الخبث في السهل المنحصر بين النهر الكبير وجزء نهر يانہ المحاذى لمدينة  
بطلوس ويفتكاه

أدرك عبد الرحمن خطة سيرهما فبادر الى لقاءهما وأخذ معه عشرة  
آلاف من جيشه وترك مثلها تحاصر المدينة تحت قيادة تمام بن علقمة  
وأقدم بشهامة على مقابلتهما مع أن عدد جنودهما يزيد عن ضعف  
جنوده فتلاقى الجيشان فى صحراء المصارة غربى قرطبة فى التاسع من  
ذى الحجة سنة ١٣٨ ودارت رحى الحرب بينهما فى العاشر منه أى  
يوم عيد الاضحى وكان يوم الجمعة ( ١٥ مايو سنة ٧٥٦ )



تفأل عبد الرحمن بالفوز لمشابهة هذا اليوم بيوم مرج راهط  
الذي كانت فيه الواقعة بين جده مروان بن الحكم والضحك بن  
قيس الفهري فدارت الدائرة على الأخير

أراد الداخل أن يشدّ عزائم جنوده فقال لهم يوم التلاقي « أي  
يوم هذا » فقالوا « الخميس يوم عرفة » فصاح قاتلا « فالأصحى  
غدا يوم الجمعة والمتزاحفان أموى وفهري والجنندان قيس ويمن قد  
تقابل الاشكال جدا وأرجو أنه أخو يوم مرج راهط فابشروا  
وجدوا » (١) فلما سمعوا ذلك قويت عزائمهم ووثقوا بالنصر وباتوا  
يأخذون أهبتهم للقتال وبات جيش يوسف يعدّ الضحايا للذبح واشيع  
فيه قبل الفجر حديث مشابهة يوم مرج راهط بيوم الغد فتشاءموا  
وخابت قواهم .

لما تنفس الصبح هجم فرسان عبد الرحمن على فرسان يوسف  
بغثة فترزع هؤلاء وارتدوا على أعقابهم بدون نظام حتى اختلطوا  
مع المشاة وساد الفشل فيهم وفي منتصف اليوم تبدّد شمل الفهريين  
وتفرقوا أيدي سبا تاركين معسكرهم مغطى بأشلاء القتلى وأسلابهم  
وأسلحتهم وافترق يوسف والصميل فالأول فرّ نحو ماردة والثاني نحو جيبان

١ كذا في نفح الطيب صحيفة ٧١٤ وما بعدها وفي تقييدات رومي صحيفة  
١٩١ من الجزء الثالث ( أن هذا اليوم كان في سنة ٢ للهجرة وأن الواقعة كانت  
بين مروان وأحزاب خصمه الزبير في شرق غوطة دمشق ) وأقول أن هسده  
الواقعة كانت في سنة ٦٤ لا ٢٤

هذه الواقعة رفعت شأن عبد الرحمن وأيدت سلطانه  
 روى أن ابا الصباح رئيس اليمانية قال لهم بعد هزيمة يوسف  
 والصميل « يامشريمن هل لكم الى فتحين في يوم قد فرغنا من  
 يوسف والصميل فلنقتل هذا الفتى ابن معاوية فيصير الامر لنا  
 نقدّم رجلا منا ونحمل عنه المضريبة » فلم يجبه أحد لذلك فان شهامة  
 عبد الرحمن في الواقعة ملكت قلوبهم .

بلغه الخبر فأسرّها في نفسه الى ان اغتاله بعد عام قتلته .  
 رجع عبد الرحمن الى قرطبة وقد فزع اهلها ففتحوا له أبوابها  
 على شرط أن يدخل من باب القنطرة الغربى وأسرة يوسف وأتباعه  
 تخرج من الباب الشرقى

فلما دخلها لم يستقرّ به قرار بل أقام عليها أبا عثمان محافظا (١)  
 ونهض في طلب يوسف فعلم هذا بأمره وبأن حامية قرطبة عددها  
 قليل فانتظر حتى جاوز خصمه جبال مورين SIERRA MORENA  
 فخالفه في الطريق وانتقض على المدينة فلم يسع ابا عثمان وجنده القليل  
 العدد الا الفرار الى حصن مدور من كورة غرناطة (٢) وقيل ان  
 يوسف امر ابنه أبا زيد ان ينقض على المدينة ففعل وحاصر عبيد الله

١ كذا في تاريخ روي والتواريخ العربية لكن في تاريخ كندى انه أقام  
 حسام بن عبد الملك محافظا على قرطبة صحيفة ١٧٨ ( جزء أول )  
 ٢ كندى

في منارة الجامع الكبير حتى الجاء الى التسليم وأخذه أسيراً وأخذ  
جاريتهين كاتبا في القصر لعبد الرحمن (١)

عاد عبد الرحمن على الفير واسترد المدينة لكنه لم يجد يوسف  
فاقتفى أثره حتى لحقه في أرض المنكب وكان قد اجتمع به جماعة  
الصُميل وناجزها القتال بدون ديث حتى مرق جيشها كل مرق  
فالتجأ الى جبال البيرة فتبعها فزل يوسف وادى شليل حيث توجد  
جملة بيوت من انشاء العرب يكتنفها حصون منيعة على مسافة غير  
بعيدة من البيرة القديمة وآل أمر هذه البيوت بعد عدة قرون الى أن  
صارت مدينة غرناطة الشهيرة وهي آخر مدينة كان بها عز واطمان  
للمسلمين في اسبانيا . وبعدئذ أحس يوسف انه لا يمكنه المقاومة  
زمتا طويلا وأشار عليه الصميل ان يخبر عبد الرحمن في الصالح ففعل  
وتم بينهما في صفر سنة ١٣٩ (٢) على ان يكون للأمير الامارة  
والسلطان على جميع البلاد والفير امالة خاصة وان يستن بلاط  
المر ( منزلة بشرق قرطبة ) وان يعطيه رعيمة على ذلك ولديه أبا  
الاسود وأبا زيد يبقيان في قصر الفسرة مكرمين الى ان تهبط الجزيرة  
فيرداهما الى والدهما . وفي اثناء مخابرات الصالح رد خالد الاسباني  
اسير عبد الرحمن الى يوسف وهذا رد اليه اسيره عميد الله وبعد

---

١ دوزى ٢ في القرء ان عقد الصلح تم في صفر سنة ١٣٩ كما ذكرنا وفي  
روى وكندى انه تم في ٢٨ ربيع الثاني سنة ١٣٩ - ٢٩ سبتمبر سنة ٧٥٦

الصالح عاد عبد الرحمن الى قرطبة ويوسف على يمينه والصميل على يساره في ( يوليو سنة ٧٥٦ ) ( ١ )

يؤخذ من كندى وروى أن عبد الرحمن عهد في هذه السنة الى الصميل بإمارة الحدود الشرقية نحو جبال البرانس المشتملة على وادي ابره من سرقة سطة الى طرطوشه جزاء نصائحهم التي سست الخلاف وعقدت الصلح بين الفريقين

لما ذاع خبر الصلح في اسبانيا خضع الى عبد الرحمن شيوخ القبائل من اليمانية والمصرية في الجنوب والغرب وجاءت اليه وفود الجهات ترى لتعربته عن طاعتها وانخلاصها فأكرم مشواهم واحتفى بهم وابقى القادة منهم في قياداتهم والعمال في عمالاتهم فخرجوا من عنده فرحين شاكرين وعادوا الى مدنهم وأستقروا نظري مدحه وتردد الثناء عليه . ثم انهزار المدن الشهيرة من الاندلس والاسترامادورة *ASTRAMADURE* . توجه الى ماردة في طنطنة مسموعة وأبهة مرموقة يصحبه كثير من اصدقائه وكوكبة من فرسان زناته فدخلها في يوم مشهود واخترق شوارعها شتطياً جواداً نهذاً منظمًا تحفه تهايلات الفرح والسرور من الاهالين . وفي هذه المدينة استقبل مبعوثي البرتغال ( لوزيتانية ) والقنطرة وبطليوس وغيرها وقد موأله مراسيم الطاعة بالنيابة عن بلادهم

عاد عبد الرحمن الى قرطبة بهجاء من نجاح سياحته السياسية وصفا  
لهجوا الخلد ثان زهنا رزق فيه بمولود سماء هشام في رابع شهر السنة ١٣٩٩  
(أول مارث سنة ٧٥٧) أى في السنة المجرية التي تولى فيها .  
وفي هذه السنة ابتنى الأمير منية الرصافة تشبيها برصافة جده  
هشام في الشام فأخذ بها قصرًا عاليًا يشرف على جميع الجهات يرى  
منه الرائي مناظر على مسافات شاسعة ودحا حول حدائق واسعة تنقل  
اليها غرائب الغروس واكارم الشجر من كل جهة وغرس بيده فيها  
نخلة احضرها من الشام والنخل ما كان معروفًا عند الاسبانيين في  
ذلك الوقت فكانت هي أول نخلة غرست في أرض اسبانيا ومنها تولد  
النخل الاسباني . ويروى أن الامير كان يراقب نماء هذه النخلة من  
قصره وينشد

تبدت لنا وسط الرصافة نخلة

تناءت بارض الغرب عن بلد النخل

فقلت شبيهي في الغرب والنوى

وطول اكتئابى عن بنى وعن أهلى

نشأت بأرض أنت فيها غريبة

فمثلك فى الاقصاء والمنتأى مثلى

سقتك غواذى المزن فى المنتأى الذى

يسحّ ويستمرى المساكين بالويل

قال ابن سعيد والرومان السفري (١) الذي فاض على ارجاء  
الاندلس وصار لا يفضلون عليه سواه أصله من هذه الرصافة  
كان الامير كثير الحنين نحو الشرق موطنه القديم دائم التفكير  
في بقايا الامويين المضطهدين المشتتين في العراق ومصر وبرقة حتى  
بعث معاوية بن صالح الحضرمي رسولا الى الشرق يدعوه من شاء  
منهم الى التوجه الى الاندلس وانشد يتشوق الى معاهده بالشام  
مخاطبا الرسول

أيها الراكب الميتم أرضي	أقر من بسضى السلام لبضى
ان جسمي كما علمت بارض	وفؤادى ومالكيه بارض
قدّر البين بيننا فافترقنا	وطوى البين عن جفوني غمضى
قد قضى الله بالفراق علينا	فمسي باجتماعنا سوف يقضى

ففي أوائل سنة ١٤٠ عاد الرسول الى اسبانيا ومعه كثير منهم  
وكان من بينهم عبد الملك بن عمر المرواني وابناؤه فعقد له الامير على  
اشبيلية (٢) ولابنه عمر على المدور ونصب معاوية قاضي القضاة

١ قيل سبب تسميته بذلك أن الامير أرسل رسولا يحضر اخته من الشام  
الى الاندلس فغلب طرائف من رمان رصافة هشام فأعطى جزءا منه الى سفرين  
زيد من جند الاردن ففرس عجمه فأينع وأثمروا وجاء بجناد الى الامير فأغترس  
منه بجنان الرصافة فانتشر نوعه

٢ في نفح الطيب صحيفة (١٥٦) ان عبد الملك بن عمر المرواني وفد  
على عبد الرحمن من المشرق في عشرة رجال من قومه مشهورين بالبأس والنجدة

في أثناء ما كان عبد الرحمن يصرف السنين الأولى من حكمه في إصلاح شؤون إسبانيا وتوطيد دعائم ملكه فيها كان يوسف يصرف ثروته الواسعة في تأليف حزب له سرًا

ففي أوائل سنة ١٤٢ ظهر له أن حان الوقت المناسب ليقاد نار الثورة وردّ ماسلب منه فثار واستولى على حصن المدور وما جاوره في غرب قرطبة وقام معه نحو ٢٠ ألف ثائر وأخذ يجمّد سلطانه على الأقاليم حينئذ بادر عبد الملك وابنه وتحت إمرتهم جنودهم إلى كشف وشدونة واشبيلية إلى ردّ هذا الحصن وغيره من المدن المجاورة (١) فإن سكانها انقلبوا ينادون باسم يوسف فهاجمهم حتى هزمهم

وأخذ عبد الملك يطارد المهزمين نحو أرض تدمير حيث كان فيها العدو قوى الجانب كثير العدد بعد أن كتب إلى عبد الرحمن يخبره بالنصر وأن يمدّه بمدد عظيم يحجى من طريقتين كي يفرّق قوى يوسف المجمعّة ويشغلها فلاحقهم في برارى لورقة LORCA (٢) ودارت رحى الحرب بين الفريقين وانجالت عن تبديد شمل الفهريين واصابة يوسف بعدة جراحات أودت بحياته فقطع رأسه وأرسل إلى عبد الرحمن (٣) وروى أن هذه الملاحمة وقعت بين ماردة وطليطلة وأن

سنة ١٤٠ قعقله على الشبيلية ولايته عمر بن عبد الملك على موردر (١) كذا يؤخذ من كندى وروى (٢) كذا في روى. وفي كندى لوشة LOXA (٣) كذا يؤخذ من روى وكندى. وفي التواريخ العربية ما يخالف ذلك

يوسف اغتاله بعض جنده اثناء هزيمته وأرسلوا رأسه الى قرطبة دليلاً على طاعتهم وكانت مدة حكم يوسف ٩ سنين و ٩ أشهر

وأما أولاد يوسف الثلاثة فأكبرهم أبو زيد اقتفى اثره والى طليطلة تمام وقتله وأرسل رأسه الى قرطبة فعلق بجانب رأس أبيه وأوسطهم أبو الاسود حبسه بدر في طليطلة في ٩ ذي القعدة سنة ١٤٢ ( ٢ مارث سنة ٧٦٠ ) ومن عليه بحياته على شرط ان يسجن في إحدى قلاع قرطبة الحصينة طول عمره وأصغرهم قاسم بن يوسف نجا بنفسه والتجأ الى الجزيرة الخضراء عند عاملها رزق بن النعمان الغساني فأجاره وجيّر جيشاً هاجم به شدونة واشبيلية (١) ولكن تمام توجه اليه وردّه الى ارضه وأخذ قاسماً وساقه الى قرطبة مغلولاً فلم يقتله عبد الرحمن بل أرسله الى طليطلة تحت قيادة بدر ليسجنه في قلعة تاجه كافأ عبد الرحمن تماماً بتوليته منصب الحجابة وهي تقابل في زماننا رئاسة الوزراء

واقفى بدر خطوات الصميل وراقبه الى ان جاء به من شقندة الى قرطبة وزجّه في السجن حتى مات خنقاً بمجل وقيل قطع رأسه بسكين

---

١ كذا يؤخذ من روي وفي ابن الامير ان رزق بن النعمان الغساني وكان على الجزيرة الخضراء ثار بالاندلس على عبد الرحمن في سنة ١٤٣ فاجتمع اليه خلق عظيم فسار الي شدونة فلما دخل مدينة اشبيلية وعاجله عبد الرحمن فحصره فيها وصيق على من بها فتقربوا اليه بتسليمهم رزقاً فقتله فامتهم ورجع عنهم



الآن بلغ عبد الرحمن ما كان مطمح انظاره فقد تبوأ عرش  
مملكة اسبانيا الواسعة الارجاء بحكمته وشهامته ودهائه بعد ان اهلك  
عتاة اعدائه المنازعين له في سلطانيها ومن العجب العجائب ان بلغ هذا  
المرق بعد ان طُلّ دمه وفرّ من وطنه اتقاء الفتك به وقاسى الشدائد  
وتجشم الاخطار ضالا في صحارى افريقية بين قبائل المغرب خمس  
سنوات ومع هذا الرقى ما صفت له الايام ولم يهنأ بما أتاه له القدر  
من الملك والسيطان فانه حكم اسبانيا ٣٣ سنة هجرية لم يكن فيها لواء  
السلم منشورا بل نازعه في الامارة الفهريون واليانيون والافارقة ونصارى  
الشمال والفرننج

ففى سنة ١٤٤ للهجرة بلغ الامير أن قبيلة قوية تحت أمره هشام  
ابن عذرة الفهرى قامت على وزيره فى طليطلة واخذت منه القصر  
وطردته وفكّت اسار قاسم بن يوسف الفهرى من السجن واجتمع  
تحت لوائها عشرة آلاف رجل فصار اليهم عبد الرحمن بنفسه وحاصروهم  
فى طليطلة وشدّد الحصار عليهم طويلا حتى اضطر غير الفهريين من  
المحاصرين الى ان يتذمروا على هشام بن عذرة وفى ذلك الحين جاء  
الامير خبر ثورة اشدّ خطرا من هذه فاضطر الى ان يصالح هشاما  
على شرط ان يفتح المدينة بدين ريث وان يسلم ابنه محمدا رهينة على  
الصالح وان يردّ قاسما الى السجن فخضع ابن عذرة لهذه الشروط كرها  
وألقى مقاليد المدينة الى الامير فى ( آخر سنة ١٤٥ للهجرة — اقريل

( سنة ٧٦٣ )

وفي سنة ١٤٥ ارسل الخليفة العباسي ابو جعفر المنصور الى والي  
القيروان العلاء بن مغيث ان يزرع اسبانيا من ابن معاوية ويردّها  
الى خلافة بني السباس فاستعدّ هذا الوالى لما دعاه اليه الخليفة فبذل  
شيخ تاهرت عاصمة زناته خبر الاستعداد الى عبد الرحمن اثناء ما كان  
يحاصر طليطلة وهذا ما حمله على عقد الصلح مع ابن عذرة في شهر  
( افريل سنة ٧٦٣ ) وفي هذا الشهر نفسه أغار العلاء على شواطئ  
الاندلس وجاء نبؤه الى طليطلة فقدم هشام على الصلح ودعا حزبه  
الى السلاح ونزعوا الى الثورة ثانية وهاجموا القصر وقتلوا جميع من  
كانوا يدافعون عنه ومن بينهم سعيد بن المسيّب والى طليطلة واستولوا  
على ابواب وحصون المدينة ودعوا الى ( المنصور الخليفة العباسي )  
فلغت الانباء الى قرطبة فأمر الامير قائد بدرّا بجمع جيش من قلعة  
رباح وطليطلة وغيرها وان يحاصر طليطلة آخذاً معه محمد بن هشام  
الرهين وأن يمنع ابن عذرة من أن ينضم الى ابن مغيث ولكن بدرّا  
قد فاتته الفرصة وحاصر المدينة بعد أن خرج منها هشام فأصدا العلاء  
وهذا الاخير أوغل في اقليم باجة من جهة الغرب فأصدا قرطبة  
محرضاً الامة على اشهار السلاح في وجه ( الداخل ) قائلاً « انه  
أبقّ شقي من قوم اخني عليهم الدهر ملفونين على منابر الشرق  
مفضوب عليه من خلافة الاسلام الشرعية » حاملاً اللواء الاسود

شعار بنى العباس ليستميل القلوب اليه مدّعيًا انه استلمه من الخليفة نفسه وان من يتبعه فجزاؤه الجنة فاتبعه ناس كثيرون تزعزعت أفكارهم من زخرف قوله — وفوق ذلك كان يكثر العطايا لتابعيه ويعدّهم باضعافها عند الفوز

في هذه الاثناء جمع عبد الرحمن جنودا من انحاء شتى ورتّبها ثلاث فرق كانت ثالثها أشد بأسا لأنها كانت مؤلفة من فرسان قرطبة واشبيلية وشريش ثم قدّم سرازم من جيشه تناوش العدو فلما صارت على صرأى من معسكر العلاء الكثير العدد خرج عساكره عن متاريسهم ووقعت بين الفريقين مناوشات غير كبيرة الجدوى وكان هشام وقتئذ وصل الى هذا المعسكر ليدعو والى القيروان الى الاسراع فى الاستيلاء على طليطلة عاصمة الأندلس القيصرية

ولما طلع فجر اليوم التالى زحف العسكر ان للقتال فبدأت عسكر ابن مغيث بالهجوم فكانت ملحمة شديدة استمرت بدون رجحان فريق على آخر الى منتصف النهار ثم هجم فرسان الاندلسيين بحمّة شديدة على الافارقة فبدّوا شملهم وحلّوا عقد نظامهم وقتلوا العلاء قائدهم

قال روى ما معناه تقدم عبد الرحمن الى العلاء وقابله فى أرض بطليوس وتقاتلا أياما بدون ان يظهر فريق على آخر ولكن آل الامر الى ان لا يحتمل العباسيون هجمات فرسان الامويين

وان يسقط لواء الخليفة في يد الامير والى قتل العلاء وسبعة  
آلاف من جيشه والى انهزام باقيه الى افريقية - وبعد أن  
فُضَّت هذه المعركة الشعواء سنة ١٤٦ قطع ابن معاوية رأس  
ابن مغيث ويديه ورجليه وأرسل هذه الاشلاء سرّاً الى القيروان  
ومعها هذه الكتابة « هكذا يقتصّ عبد الرحمن بن معاوية بن أمية  
من المعتدين عليه كالعلاء بن مغيث والى القيروان » و يروى ان العلاء  
ابن مغيث ثار بباجة سنة ١٤٦ ودعا الى طاعة المنصور فاتبعه الناس  
الى ان كادت دولة الامير تنصرم فخرج اليه من قرطبة وصار  
بقرمونة فتحصن بها مع مواليه وثقاة رجاله فنارله العلاء وحاصره  
بها نحو شهرين فلما طال الحصار ملّ عسكر العلاء الانتظار وعلم عبد  
الرحمن ما هم عليه فأمر بنار فأوقدت بالقرب من باب المدينة وقال  
لاصحابه وكانوا نحو سبعمائة من أبطال الرجال « لنلق اغناد سيوفنا  
في هذه النار ونحلف على الموت كراما في ساحة الوغى اذا لم يكتب  
لنا النصر » فكلهم القوا الاغناد في اللهب وخرجوا من المدينة  
والشجاعة تغلى في صدورهم وانقضوا على المحاصرين انقضاض الثقبان  
على الغربان فبددوا شملهم وقتلوا العلاء رئيسهم وسبعة آلاف منهم  
ثم ان الامير أمر بجزّ رأس العلاء ورؤس اشراف اصحابه وقُرِطَتْ  
في آذانها صكوك باسمائهم وأودعت اسفاطا وأنفذ الامير قوما توجهوا  
بها الى القيروان فطرحوها في الليل في الاسواق فتسمّع الناس أمرها

واتصل الامر بابي جعفر فانكسرت حدته وقيل ان رأس ابن مغيث  
حملت في سَفَطٍ ومعها اللواء الاسود الى مكة ليقع عليها نظر المنصور  
وهو حاج فلما رآها ارتاع وقال ما هذا الا شيطان (يعني عبدالرحمن)  
الحمد لله الذي جعل بيننا وبينه بحرا (١)

لم تكن هذه الهزيمة حاسمة للنزاع لان هشام بن عذرة قاوم  
زمنًا ومحت رايته بقايا الفهريين والعباسيين فانه لما لم تمكنه العودة الى  
طليطلة التي كان بدر يحاصرها توجه الى شذونة فاستولى عليها ثم  
فاجأ اشبيلية وخرّب فيها دار الصناعة والقصر فعادت الجنود الاموية  
اليه ففرّ الى شذونة حيث تجمعت احزابه ولكن عبد الملك بن عمر  
حاصرهم فيها وضيق عليهم دائرة الحصار فلم يبق لهم الا أحد أمرين  
أما أن يسلموا البلد وأما أن يخرجوا ويختاروا معسكر العدو وقد عوّلوا  
على الامر الاخير ففي ليلة ليلا خرجوا من بابين من أبواب المدينة  
وفاز عدد عظيم منهم بالنجاة الى جبال رندة وجاز بعضهم البحر الى  
أفريقية ولكن هشام ما أمكنه الفرار معهم لشيخوخته فأدركته خيل  
الامويين وأصيب فرسه بضربة فسقط ووقع في قبضة عبد الملك  
فجعل بقتله سنة ٧٦٥ م

لنعد الى حصار طليطلة . ابتداء حصارها سنة ٧٦٣ م ومكث  
الى سنة ٧٦٦ وسبب طول الحصار انها كانت ذات حصون

قوية وأهلها وإن كانوا اخلاطا من المسلمين والنصارى المستعربين لم ينشقوا في الرأي بل أجمعوا أمرهم على خطة واحدة في السياسة وهي أن لا ينقادوا لامير قرطبة ضاربين صفحا عن اختلافهم في الدين ، وصدقهم في الدفاع عن المدينة ثبّط عزائم المحاصرين فبنوا مساكن وقتية أمام طليطلة ووطدوا أنفسهم على سكنها واكتفوا بأن يقلتوا أحيانا أحراس أبواب المدينة وينهبوا الاطعمة التي كانت تصل اليها عادة بدون كبير مانع ومن طول المقام ضاعت هميتهم فتراخوا في الحصار الى أن صار كدنة بينهم وبين أهل المدينة فما كانوا يهاجمونها ولا يمسكون الطرق عليها بل آل الامر الى تبادل الروحات والجيئات بين المعسكر والمدينة والتساهل في دخول سفن النهر حاملة الاقوات اليها وإن سكان ضواحيها يزرعون ويحصدون ويدخلون المحصود اليها بدون كبير مشقة

استببط الامير بدرا فأرسل اليه تَمَاماً ليُجهز معا على طليطلة سريعا فلما وصل تَمَام تغيّرت الشؤون الى شدة ومضاء عزيمة وتيقظ واقدام فتوالى الهجوم على المدينة وتسلق الجند جدرانها الواطئة فدعر أهلها ورضخوا الى التسليم بعد أن نَجَّوْا قاسم بن يوسف الفهري فعبر النهر سبعا وولّى الفرار وفتحوا أبواب المدينة على أمان من تَمَام سنة ١٤٩ (١) (٧٦٦)

١ في كندى ان فتح المدينة كان في آخر سنة ١٤٨ وما ذكرناه مأخوذ من روى

وفي سنة ١٤٩ ( ١ ) ( ٧٦٦ ) ثار سعيد المحضبي المعروف بالمطاري بكورة لبلة طالبا بثار من قتل من اليمانية مع العلاء وتغاب على اشبيلية فسار اليه عبد الرحمن ففرّوا متنج بقاعة رعوان ( ٢ ) فحاصره وكان قد واقفه على الخلف غياث بن علقمة اللخمي بمدينة شدونة فأمن فبعث عبد الرحمن بدرا فالح دون المدد ودون المطاري ثم طال عليه الحصار فخرج من القاعة وقاتل وقتل فقتلهم أهل القاعة عليهم خليفة بن مروان فدام الحصار ثم استأمنوا الى عبد الرحمن وسلموا اليه الحصن فخرّبه وقتل خليفة ومن معه ثم سار الى غياث فحاصره بشدونة حتى استأمن فأمنه وعاد الى قرطبة ( ٣ )

يؤرخ ابن الاثير وابن عذاري ودوزي « ان عبد الرحمن عزل في هذه السنة أبا الصباح رئيس اليمانية عن اشبيلية » فانه كان يوجس خيفة منه من يوم واقعة المصارة حين اشار على قبياته بقتله ) فأنزع الي الخلف ودعا اليمانيين الي السلاح فوجه اليه الامير حاجبه تماما فأمنه ولاطفه حتى جاء به قرطبة فقدر به عبد الرحمن ( ٤ ) ويروي بعضهم أن أبا الصباح قدم قرطبة في أربع مائة فارس على غير عهد فأوصله تمام الى الامير فقاتله فأغلظ له أبو الصباح في

---

١ في ابن الاثير أن ثورة المطاري كانت في سنة ١٤٨ وفي غيره أنها كانت في سنة ١٤٩ والظاهر أنها طالبت في غضون السنين ٢ وقبل زعزاق ٣ ابن خلدون وابن عذاري ٤ ابن الاثير

الجواب فأمر بقتله (١) وقيل أن الأئير حاول قتل أبي الصباح بمخنهجر  
فقاوم فاستعان عليه بحرسه فقتلوه ثم أمر عبد الرحمن بطمس آثار  
الدم وتغطية الجثة بغطاء ثم أحضر وزراءه وقال لهم أن أبا الصباح  
محبوس في القصر واستشارهم في قتله فاشاروا عليه بأن لا يفعل خشية  
من خطر يتوقع من فرسان أبي الصباح الذين هم بباب القصر  
وخالفهم في الرأي أحد أقارب الأمير. حينئذ قال عبد الرحمن « قد  
قتلته » وكشف الغطاء وأرسل من أخبر الفرسان بأن صاحبهم قضى  
نحبه فلينصرفوا فانصرفوا بسلام

ولم يذكر حادثة أبي الصباح هذه في سنة ١٤٩ ابن خلدون ولا  
المقري ولا روى ولا كندى والظاهر أنها وقعت قبل هذه السنة  
فقد ذكروا عقب واقعة المصارقة سنة ١٣٨ أن عبد الرحمن اغتال أبا  
الصباح بعد عام --- وتقدم أيضا أن عبد الرحمن ولي عبد الملك اشبيلية  
حين قدومه من الشرق سنة ١٤٠

ويروى أن عبد الرحمن غزا في هذه السنة جبال جالقية  
GALICE وجبال البشكنس في شمال اسبانيا فاختضع الثائرين  
الذين كانوا نبذوا الطاعة وعاد جنده الى قرطبة مثقلا بالغنائم الواسعة  
يقود كثيرا من الاسرى ومن قطعان الماشية



وفي سنة ١٥١ (١) ثار في شرق الأندلس رجل من بربر مكناسة يعرف بشقنا (٢) بن عبد الواحد كان يعلمهم الصبيان وادعى انه من ولد فاطمة والحسين عليهما السلام وتسمى بعبد الله بن مقدوس كن شنتبرية واجتمع اليه خلق من البربر فسار اليه عبد الرحمن فهرب في الجبال واعتصم بها فرجع وولى على طليطلة حبيب بن عبد الملك فولى هذا على شنتبرية سليمان بن عثمان فنزل اليه شقنا واخذوه وقتلوه وغاب على ناحية قورية وأفسد في الارض فعاد اليه عبد الرحمن سنة ١٥٢ وأعياء أمره وصار ينتقل في البلاد ويهزم العساكر وسكن حصن شيطران (٣) من جبال بلنسية ثم سار اليه عبد الرحمن سنة ١٥٦ واستخلف على قرطبة ابنه سليمان فأتاه الخبر بزحف أهل غرب الأندلس من اليمانية نحو قرطبة (٤) تحت قيادة عبد الغفار بن حميد اليحصبي زعيم لبلة وحياة بن ملابس زعيم اشبيلية فرجع عن شقنا وانهض عبد الملك في معظم الجيش لقتالهم فسار اليهم ولما قرب منهم قدم ابنه أمية في أكثر العساكر فخالطهم فوجد فيهم قوة فخاف الفضيحة معهم فانسحار منهزما

١ كندا في ابن الأثير - وفي ابن خلدون سنة ١٥٠ - وفي ابن عذارى سنة ١٥٢

٢ بالنون بعد القاف كما في ابن الأثير وابن خلدون وفي دوزى *Chak ya* (شقياً) بالياء ولم يذكر اسمه المقرئ ولا ابن عذارى

٣ وقيل شطران وسيطران

٤ المقرئ صحيفة ٧١٨ طبع بولاق

الى أبيه فلما جاء سقط في يده وقال له ما حملك على ان استخفنت  
بى وجرأت الناس والعدو على ان كنت فررت من الموت فقد جئت  
اليه وضرب عنقه ثم لقيهم مستميتا فبرزهم وأثنى فيهم حتى جرح  
ولحق بعبد الرحمن فشكرها له وجزاه خيرا ووصله بالصهر وولاه الوزارة  
ونجا عبد الغفار وحياة بن ملابس الى اشبيلية فسار عبد الرحمن اليها  
سنة ١٥٧ وقتل خلقا كثيرا من أهلها ممن كانوا مع عبد الغفار وحياة  
واستراب من يومئذ بالعرب وعلم أنهم على دغل وحقد فانحرف عنهم  
الى اتخاذ الموالى فابتاع كثيرا منهم فى كل ناحية حتى بلغ من قى  
قبضته منهم اربعين الف رجل صار بهم غالبا على اهل الاندلس من  
العرب فاستقامت مملكته وتوطدت

وفى سنة ١٥٨ غزا عبد الرحمن مدينة قورية وقتك بالبربر الذين  
كانوا أسلموا عامله الى شقنا  
وفى سنة ١٦٠ وقيل التى بعدها غدر بشقنا رجلان من اصحابه  
وجاءا برأسه الى عبد الرحمن

وفى سنة ١٦١ وقيل التى قبلها سار عبد الرحمن بن حبيب الفهرى  
المعروف بالصقلي (١) من أفريقية الى الاندلس مظهرا الدعوة العباسية  
وتزل بتدمير فاجتمع اليه البربر وكان سليمان بن يقطان عاملا على

١ انما سمي بذلك لاهوله وزرقته وشقرته — كذا فى ابن الاثير فى حوادث  
سنة ١٦١

برشلونة فكتب اليه يدعو الى امره فلم يجبه فصار اليه فلقبه سليمان  
قهرمه وعاد الى تدمير وزحف اليه عبد الرحمن من قرطبة وأحرق  
سفنه قضيقا عليه في الحرب فاعتصم بجبل بلنسية فبذل فيه عبد الرحمن  
الاموال فانتكاه رجل من اصحابه البربر وحمل رأسه الى الامير  
سنة ١٦٢ فأعطاه الف دينار

ما ذكرناه من تاريخ الفاطمي وابن حبيب مرجعنا فيه الى ابن  
الاثير وابن خلدون والمقري وابن عذاري

وجاء في كندى وروى في هذا الموضع ما يخالف ذلك وهما  
تعريب ما جاء فيهما مخلصاً « ان من فروا من شدونة الى جبال  
رندة ثم الى أفريقية التجؤا الى والي مكناسة واستشاروه وأن هذا  
الوالي كان يسمى عبد الغافر ( كذا ) وأنه كان شابا عالى القدر يستخر  
بأنه من سلالة فاطمة بنت النج محمد ( صلى الله عليه وسلم ) وزوج  
علي ( عليه السلام ) ففرغ الى الثورة وأخذ يعدّ معدّات القتال وقبيل  
دخوله اسبانيا اذاعوا فضله وعظامته في الجزيرة وأنه سيمجوز اليها  
البحر في جيش جرّار وثروة واسعة وأنه سيمهّب أموالا طائلة للمسلمين  
المخلصين الذين يشهرون السلاح في وجهه الداخلى الجائر الغاصب  
امارة الاندلس

ولما لم يملك عبد الرحمن أمر سكان البيرة بصدّ الثائرين  
ووضع حامية قوية في المنكب وأمر بالتيقظ ومراقبة السفن التي ترسو

في الثغور وأعان بانه يجزل العطاء لكل من يأتيه برأس من رؤساء  
من يشورون مع الفاطمي وهذا الاعلان جعل من كانت نفسا تجيش  
الى الثورة ينفذ الى السكون التام فانه كان لا يثق بعضهم ببعض الا  
القائل ونجم عن ذلك ان عبد الله بن حارث ذبحه حرسه في مدينة  
جيان وأرسلوا رأسه الى الامير في قرطبة سنة ١٤٩

هذا ولما أتم الكنايس ممداته جاز البحر الى الاندلس ومعه  
كل من في افريقية من الشيعة وأغلب فرسان البربر ونزلوا المنكب  
والمرية واحداثوا هرجا وازعجوا هاتين الكورتين فبلغ خبرهم الى  
البيرة اسعد بن عبد الرحمن الشيباني فتوجه اليهم واقتفى آثارهم  
وقاتلهم قتالا شديدا وانقصر عليهم حتى اجلأهم الى الفرار نحو جبال  
رندة فانضموا الى ثائريها لكنه اصاب بحرج بليغ اضطره الى العودة  
الي البيرة حيث مات سنة ١٥٠ للهجرة (مارث أو افريل سنة ٧٦٧)  
فحزن عليه الامير حزنا شديدا لأنه كان فارسا مغوارا ذا رأى سديد وقد  
دلّت الآثار العربية في (الاسكوريال ESCURIAL) (١) على ان  
هذا الوالى هو الذى انشئت تحت رعايته مباني غرناطة وحصونها  
الجديدة وأن عبد الرحمن أقام مكانه عبد السلام بن ابراهيم (كذا)  
وأما الافريق فقد تبعه الشرذ والاصوص واءتصموا جميعا بجبال

١ برج في اسبانيا في سفح جبال نهر راعة على بعد ٤ كيلو مترا من  
مديريد نحو الغرب

رندة فكانت هذه الجبال بورة تأنب الصاقة وقد رافى مبدأ الأمر  
 ينهبون ويخربون القرى المتاخمة لأواهم ثم استفحل أمرهم فخذلوا  
 يشتمون الغارات على أرقش وشدونة وكثيرا ما كانوا يدفعون عمسا باتهم  
 الى برارى اشيلية فيسلمون مكان الاطراف وكان يطاردهم والى المدينة  
 بفروسانه كي يلحقهم فى السهل ولكنهم كانوا ياجئون سريعا الى  
 الجبال حيث لا تقدر خيل الوالى أن تصيب رماهم بضرر وكانوا  
 يجتنبون المعارك الحقيقية الحاسمة للأزاع جاعلين اعداءهم فى فزع دائم  
 مدّخرين من المؤن ما يقوم باحتياجهم وبذلك اقلقوا زمنا طويلا  
 راحة والى اشيلية وقواد قرمونة وبيانة وأرقش وشدونة

وفى سنة ١٥١ (كذا) رسا فى طرطوشة عشرة سفن ثقيل  
 عساكر من البربر تحت قيادة عبد الله (كذا) بن حبيب الصقالى  
 جاءوا لاعانة المكناسى ولكن مرساهم كان بعيدا عن جبال رندة  
 وكانوا يظنون ان سكان اسبانيا الشرقية يساعدونهم على ابن معاوية  
 ولكن خاب ظنهم ولما بلغ الامير نزولهم جهّز جيشا وسار بنفسه الى  
 ابن حبيب ولكنه لما وصل الى بلنسية جاءه الخبر من والى طرطوشة  
 بانه بدّد شمل الافريقيين وان سفن ترجونة الحربية احرقت بعض  
 مراكب العدو والجأت البعض الآخر الى الفرار ففرح عبد الرحمن  
 بذلك لكنه لم يعد الى قرطبة بل تابع السير ليزور مدائن شرق  
 اسبانيا فانه لم يزرها مع انها جزء من مملكته فزار طرطوشة وبرشلونة

وطرجونة ووشقة وسرقسطة ثم عاد الى قرطبة من طريق طليطلة -  
وأما ابن حبيب نفسه فقد قتل لانه لم يجي له ذكر في كلام  
المؤرخين ( كذا )

وأما عساكره الذين تفرقوا فانهم تمكنوا من الانضمام الى  
عصابات المكناسي في جبال رندة فتقوت عزائمهم وتعددت غاراتهم  
فجازوا في استبة ASTAPA على فرقة من الجنود التي جاءت من اشبيلية  
لتعترضهم وهزموا عساكر بيانة وقرمونة وخيم معسكرهم على اميال من  
اشبيلية ولما علم اهايا بفوز الفاطمي نزح الساخطون منهم الي الثورة وأخبر  
كبيرهم وهو حيون بن سامي ( كذا ) KAYOUN BEN SALEMA  
سرا عبد الغافر ( كذا ) بانه يساعده على أخذ المدينة اذا هجم عليها  
ولما بلغ والي اشبيلية وهو عبد الملك بن عمر ( ١ ) اقتراب  
عبد الغافر منها بعث طليعة تستكشف أمره تحت قيادة ابنه الصغير  
قاسم ( كذا ) فلما رأى قوتهم عاد مدعورا الي أبيه فقتله لجنبه  
ثم دارت رحى الحرب بين عبد الملك وعبد الغافر نهارا كاملا  
فانهزمت عساكر المكناسي ولكن انهزمهم كان نحو اشبيلية ولم  
يقتف أثرهم عبد الملك لما حل به من تعب النهار بل صرف الليل  
مستريحا في ميدان القتال وأما المهزومون فباتوا على بعد رمية سهم

من المدينة ولم يجرؤوا على أن ينجسوا خلالها وفي صباح اليوم التالي وقع المرح في المدينة فان الشيخ حيون وحزبه أرادوا أن يفروا بوعدهم المكناسى فاجتهدوا في أن يستولوا على أبواب المدينة ويسلموها اليه وبينما هو عازم على أن يمد اليهم يد المساعدة اذ فاجأه عبد الملك فلم يتقهقر ووقعت بينهما واقعة دموية ضاللة لم تقف رحاما الا حين أدنى الليل استاره وقد جرح فيها عبد الملك - وأما عبد الناصر فلمكانه ان يدخل المدينة بمساعدة حيون فجهبا ايلا وفرّ فبرا الى تشالة

CASCHTALA (كذا) (١)

ولما بلغ خبر ذلك الى الامير ضاق صدره وأخذ يستدقش الجرش من السكور لمطاردة عبد الناصر حتى حصره جيشان من قرطانية والبيدة نحو رابية استعج على شواطئ نهر شليل وقتل والى البيدة عبد السلام ابن ابراهيم (كذا) في سنة ١٥٦ للهجرة (١٧٧٣) وقتل ابن سلمى (كذا) ونحو خمسين من الرزاة الافريقيين وأصاب قبيلة مكناسة .

وبعد هذه الواقعة توجه عبد الرحمن الى اشبيلية ليزور واليها عبد الملك بن عمر ويمزّيه على ما أصابه من فقد ابنته وجرحه البليغ في واقعة المكناسى على ابواب هذه المدينة وكان من تهزية الامير له ان ولاء سرقسطة واسبانيا الشرقية كلها « اه

فإذا قابلنا بين الروايتين العربية والافرنجية نرى بينهما اختلافا كثيرا  
(١) ففي الاولى ان الفاطمي كان معلّم صبيان وأنه كان يعرف بشقنا  
ابن عبد الواحد وتسمى بعبد الله بن محمد . وفي الثانية انه كان والى  
مكناسة في افريقية وأنه كان يسمى عبد الغافر

( ٢ ) وفي الاولى ان ابن حبيب الصقلبي يسمى عبد الرحمن وأنه  
جاء اسبانيا سنة ١٦١ أو التي قبلها بعد قتل الفاطمي . وفي الثانية  
انه يسمى عبد الله وأنه جاء اسبانيا سنة ١٥١ ليشد ازر الفاطمي  
( ٣ ) وفي الاولى ان الفاطمي غدر به رجالان من اصحابه سنة ١٦٠  
أو التي بعدها وفي الثانية ان قتل سنة ١٥٦ في واقعة استجة وان الذي  
قتله هو والى البيرة عبد السالم بن ابراهيم

( ٤ ) وفي الاولى ان عبد الفتار زعيم ابلّة وحياة بن ملابس زعيم  
اشبيلية زحفا لأخذ قرطبة حينما توجه الأмир نحو الشرق لقتال شقنا  
الفاطمي . وفي الثانية ان عبد الغافر هو المكناسي الفاطمي وأنه جاء من  
الشرق لاختد اشبيلية بايعاز من حيون بن سلمى

( ٥ ) وفي الثانية ان الاميرعين عبد الملك والى سرقسطة  
واسبانيا الشرقية ولا أثر لذلك في الاولى وغير ذلك كثير والصحيح  
ما في التواريخ العربية فان التواريخ الافرنجية تستمد منها وتنقل عنها  
ولكنها عند النقل قد تكون كحاطب ليل

وفي سنة ١٦٣ ( كما يؤخذ من ابن الاثير ) عزم عبد الرحمن



على غزو بني العباس وأخذ ثاره منهم فعصى عليه سليمان بن يقظان  
والحسين بن يحيى بسرقسطة فسير اليهما ثعلبة بن عبيد في عسكر  
كثيف فقاتلها قتالا شديدا حتى أخذ أسيرا وتفرق عسكره واستدعى  
سليمان قارله ملك الافرنج ووعده بتسليم المدينة وثعلبة اليه فلما وصل  
اليها اخفق مسعاها في حصارها فعاد الى بلاده ومعه ثعلبة وهو يظن  
انه يأخذ به عظيم الفداء فاهمله عبد الرحمن مدة ثم طلبه من الافرنج  
فأطلقوه

وفي سنة ١٦٤ سار الامير الى سرقسطة وفرق اولاده في  
الجهات ليدفعوا كل مخالف ثم يدركونه فسبقهم اليها وكان الحسين  
قد قتل سليمان وانفرد بالمدينة فوافاه عبد الرحمن على اثر ذلك وضيق  
على أهلها تضيقا شديدا فرغب الحسين في الصلح وأذعن للطاعة  
فأجابه عبد الرحمن وصالحه وأخذ ابنه سعيدا رهينة ورجع عنها وغزا  
بلاد الافرنج فدوّخها ونهب وسلب وبلغ قلهرّة ثم سار الى بلاد  
البشكنس فقاتلهم وفتح بعض حصونهم ثم رجع الى قرطبة ثم ان  
الحسين نقض العهد فعاد الامير سنة ١٦٦ الى سرقسطة وحصرها  
وهذايقها ونصب عليها المجانيق فلما عثوة وقتل الحسين اقبح قتلة  
ونفى اهل سرقسطة منها ليمين تقدمت منه ثم ردّهم اليها

وفي سنة ١٦٨ ثار محمد بن يوسف الفهرى الملقب بابي الاسود  
فلقبه الامير على الوادي الاحمر بقسطالونة وهزمه وأثنى في اصحابه

حتى قتل منهم اربعة آلاف سوى من تردى فى النهر ولم يزل يقتل  
آثار المنهزمين حتى جاوز قلعة رباح ثم لقيه ثانية سنة ١٦٩ وهزمه  
ثم هلك الفهرى سنة ١٧٠ بقرية من أعمال طليطلة وقام مكانه اخوه  
قاسم فغزاه الامير فجاءه بغير امان فقتله  
ويؤخذ من دوزى ما تعرييه مع تصرف

« تعاهد محافظ برشلونة سليمان بن يقظان الاعرابى وعبدالرحمن  
ابن حبيب الفهرى المعروف بالصقابي وأبو الاسود بن يوسف الذى  
كان عاقبه الامير بالسجن الدائم وتعاين حتى فرّ على ان يكونوا يدا  
واحدة على عبد الرحمن الاموى وان يطلبوا مساعدة شرلمان الذى  
اشتهر فى العالم بفتوحاته فتوجهوا فى سنة ٧٧٧ للميلاد الى پَدِرْبُرن  
PADERBORN حيث يعقد شرلمان الجمعية العمومية واستنجدوه  
على أمير اسبانيا فأجاب طابهم واتفقوا على ان الاعرابى وحلفاءه فى شمال  
نهر ابرة يساعدون شرلمان بعد أن يجوز جبال البرانس ويعترفون  
بسلطانه عليهم وان الصقابي يجند البربر من افريقية ويقودهم الى اقليم  
تدمير (هرسية) كي يساعدوا الحركات التى تقع فى الشمال رافعين  
لواء الخليفة العباسى حليف شرلمان - هذه المؤامرة لو نفذت لكانت  
أشدّ وقعا على عبد الرحمن من الحوادث السابقة ولكن من سعد  
طالعه أن طرأ عليها ما أوقف حركتها فان الصقابي أبحر حقيقة بجيش  
من البربر الى كورة هرسية ولكن وصل قبل أن يجوز شرلمان جبال

الأبواب فطلب مساعدة الاعرابي فأجابه ان الخطة المتفق عليها في (پدر برن) أن ابقى في الشمال لا ساعد جيش شلمان فأحفظ هذا الجواب الفهرى فوجه جيشه اليه ليقا تل فصدّه الاعرابي واعاده الى تدمير ففتك به بربرى (١) يظن انه سفير ارسله الامير عبد الرحمن لهذا الغرض. هذا ما كان من أمر ابن حبيب وأما أبو الاسود فلم يذكر لنا مؤرخ من الفرنج أو العرب ما فعل (كذا) فلم يبق من أعضاء مؤامرة (پدر برن) الا الاعرابي وحليفاه أبو ثور محافظ وشقة وجاندو ككرنت سردانية فلما تجاوز جيش شلمان جبال البرانس (١٦١ الهجرة - ٧٧٨ للميلاد) استولى على پيلونه ووصل الى أبواب سرقسطة فتقدم دخوله فيها أميرها حسين بن يحيى من سلالة سعد بن عبادة الانصارى الذى طمح نظره الى الخلافة بعد موت النبي (صلى الله عليه وسلم) وكان حسين سلطان على قلوب أهل المدينة لنفسه هذا فكبّر عليهم أن يدخل مدينتهم ملك الفرنج ولما لم يستطع الاعرابي أن يقتلهم وخشى ان شلمان يسيء الظن فيه القى بنفسه بين يديه وبينما الملك آخذ فى حصار المدينة اذ جاءه خبر أن البشكنس (٢) اغتتموا فرصة غيبتهم عن بلاده وسطوا عليها وأحرقوا وخرّبوا وذبحوا فاضطار أن يترك سريها

١ فى تاريخ ابن عذارى ان قاتل ابن حبيب اسمه مشكار البيرى  
٢ الافرنج يسمونهم بسكس BASQUES أو فكونس VACONS  
الظاهر ان الاسم العربى منحوت من هذين اللفظين ويؤخذ أيضا من كتاب  
(مسالك الممالك) للاصطخرى صحيفة ٤١ أنه يقال (بسكونس)

شواطئ نهر ابره ويرجع الى شواطئ نهر رين RHIN وعند رجوعه انقضوا على مؤخرة جيشه عند مضائق جبال البرانس فزقوها كل ممزق وقتلوا الكونت روتلند قائد حدة بريطانيا وسهروا أمتعتها وفرّوا سراعا وقد أرخى الليل سدوله وعقب ذلك عاد الاعراب الى سرقسطة فعندة حسين خائنا لا دينه فقتله في المسجد ثم جاء عبد الرحمن وحصر المدينة فاطاعه حسين لكنه فيما بعد رفع لواء الثورة فأسله سكان المدينة المحصورون الى عبد الرحمن فقتله شرقتاة ثم أن الأمير غزا البشاش وأخضع كونت سردانيه الى دفع الجزية ثم ثار أبو الاسود على الأمير فالتقى في الوادي الأحمر GUADALIMAR وكانت بينهما معركة دموية قتل فيها من اصحاب الفهري أربعة آلاف كانت اشلائهم اقواتا للرباع والنسور والسبب في انخدال الفهريين خيانة قائد الجناح الايمن من جيش ابي الاسود (١)

لم يكن تتابع ثورات الثأرين على الأمير خائلا دون سعيه في ارتقاء بلاد الجزيرة في الزراعة والحجارة والمعارف فقد بلغت قرطبة في عهده شأوا بعيدا في العمران والحضارة والعلم والفلسفة حتى صارت نبراس الاندلس وكنبة الاسلام في الغرب — كان يرى فيها شوارع متسعة ومبان ضخمة وقصور مشيدة على طراز العمارات الشرقية الجميلة وحمامات

---

١ في ابن عذاري أن هذه الواقعة كانت يوم الاربعاء مستهل ربيع الاول

وفنادق و بساتين على طول ضفة الوادى الكبير وجوامع ومعاهد للصلاة والتعليم - كان يهرع اليها من اسبانيا ومصر والشام والعراقيين العلماء والشعراء والاطباء والفلاسفة. وقصارى القول انها كانت تضارع بغداد في العظمة والشهرة (١)

وفي سنة ١٧٠ (٧٨٦) أمر الامير عبد الرحمن ببناء جامع قرطبة الشهير الذى تضل العين في بدائعه وأخرج عليه مائة الف دينار. قيل أن هذا سوى ثمانين الف دينار دفعت ثمن الكنيسة التى كانت مكانه ومات قبل تمامه

ذكر بعض المؤرخين ان فى الجامع أشياء غريبة من الصنائع العجيبة يعجز عن وصفها الواصفون. قيل من بدائعه أن فيه ثمانية ونحو ستين طاقا على عدد أيام السنة وأن الشمس تدخل كل يوم من طاق الى أن يتم الدور ثم تعود وان فيه تنورا من نحاس أصفر يحمل الف مصباح وان فيه مصحفا من القرآن كتبه عثمان بن عفان ثالث الخلفاء الراشدين وقفه الامير على الجامع وفي آخر سنة ١٧١ (٧٨٨) لما أحس عبد الرحمن بقرب منيته دعا الى حضرته الحاجب وقاضى القضاة ووزراء وولاة الاقاليم وعمال الامصار واشهدهم على أنه عهد الى ابنه هشام بالولاية العامة على اسبانيا وأمرهم أن يعترفوا له بذلك فطاعوا أمره ووعدوه بالاخلاص والطاعة لولى عهده حين يقوم

بأعباء الامارة وصافحوا هذا يبدأ بيد دليلا على رضاهم وخضوعهم  
واختار عبد الرحمن ابنه هشما خليفة له في الامارة مع انه كان  
أصغر من أخيه سليمان لانه كان يرى فيه فطنة واستقامة ودينا  
ودمثة أخلاق وأساء معروف دونه ويروى أن أم هشلم المسماة  
حوراء (١) كان لها ضلع في هذا الاختيار وقد حضر سليمان مجلس  
تولية العهد لهشام فاستاء سراً من تفضيل أخيه الأصغر عليه  
وفي سنة ١٧٢ مات الامام عبد الرحمن يوم الثلاثاء لست بقين  
من ربيع الآخر ( ٣٠ سبتمبر سنة ٧٨٨ ) بعد أن حكم ٣٣ سنة  
هجرية ( ٣٢ سنة ميلادية )

## ذنا بات

الاولى — يحكى عن كيفية فرار عبد الرحمن الداخل من المشرق  
الى المغرب انه قال بينما أنا جالس يوما في قرية على الفرات ذات  
شجر وغياض في ظلمة بيت تواريت فيه لرمد ألمّ بى اذ دخل من  
باب البيت ابنى سليمان وهو ابن أربع سنين فزعا باكيا وهوى الى  
حجرى فجعلت أدفعه لما كان بى ويأبى الا التعلق وهو دهش يقول  
ما يقوله الصبيان عند الفرع فخرجت لأنظر فاذا بالروع قد نزل  
بالقرية ونظرت واذا بالرايات السود عليها منحة وأنخ لى حدث

---

( او قيل اسمها ( جمال ) وقيل ( حل ) )

السن كان معي يشتد هاربا ويقول لي النجاة يا أخى فهذه رايات  
المسودة فضربت بيدي على دنائير تناولتها ونجوت وأخى يتبعني  
وأعلمت اخواتي بمخرجي وأمرتهن أن يلاحقنني ومولاى بدر معهن  
وخرجت وكنت فى موضع ناء عن القرية فما كانت ساعة حتى  
أقبات الخيل وأحاطت بالدار فلم تجد أثرا ومضيت فأتيت رجلا من  
معارفى بشطّ الفرات وأمرته أن يبتاع لي دواب وما يصلح لسفري  
فدلّ على عبد سوء له العامل فما راعنا إلا جابة الخيل تحفزنا فاشتدنا  
فى الحرب فسبقناهما الى الفرات ورمينا فيه بأنفسنا والخيل تنادينا من  
الشطّ ارجسا لا بأس عليكما فسبحت وكنت أحسن السبح وسبح  
الغلام أخى فلما قطعنا نصف الفرات قصّر أخى ودهش فالتفت  
اليه لأقوى من قلبه فاذا هو قد أصغى اليهم وهم يندعونه فناديته  
تقتل يا أخى الى الى فلم يسمعنى واغتر بأمانهم وخشى الغرق وانقلب  
نحوهم وقطعت أنا الفرات وبعضهم قد همّ بالتجرد للسباحة فى أثرى  
فاستكفّه أصحابه عن ذلك فتركونى ثم قدّموا الصبيّ أخى الذى  
عاد اليهم بالامان فضربوا عنقه ومضوا برأسه وأنا أنظر اليه وهو ابن  
ثلاث عشرة سنة فاحتملت فيه شكلا ملائى تخافه ومضيت الى وجهى  
أحسب انى طائر وأنا سائر على قدميّ فليجأت الى غيضة أشبه فتواريت  
فيها حتى انقطع الطلب ثم خرجت هاربا أوّمّ المغرب حتى وصلت  
الى افريقية

الثانية - يصفه بعض المؤرخين بأنه كان أصهب خفيف العارضين طويل القامة نحيف الجسم له ضفيران قصيصا لسانا شاعرا حليما عالما حازما سريع النهضة في طلب الخارجين عليه لا يتخذ الى راحة ولا يسكن الى دعة ولا يكل الامور الى غيره ولا ينفرد في الامور برأيه شجاعا مقداما بعيد الغور شديد الخسر سخيا جوادا يكثر لبس البياض وكان يقاس بالمنصور في حرمة وشدة وضبط المملكة

الثالثة - قال ابن حيان وقع الى سليمان بن يقظان الاعرابي على كتاب منه سلك به «بيل الخداع» «أما بعد فدعني من معاريض المعاذير والتسفف عن جادة الطريق لتمدّن يدا الى الطاغ والاعتصام بحبل الجماعة أو لا تقين بنائها على رصف المعصية نكالا بما قدّمت يدك وما الله بظلام للعبيد»

الرابعة - ذكر ان أبا جعفر المنصور قال يوما لبعض جلسائه أخبروني من صقر قریش من الملوك قالوا ذاك أمير المؤمنين الذي راض الملوك وسّن الزلازل وأباد الأعداء وحسم الادواء قال ما قلتم شيئا قالوا فمعاوية قال لا قالوا فعبد الملك بن مروان قال ما قلتم شيئا قالوا يا أمير المؤمنين فمن هو قال صقر قریش عبده الرحمن بن معاوية الذي عبر البحر وقطع القفر ودخل بلدا اعجميا منفردا بنفسه فحصر الامصار وجنّد الأجناد ودوّن الدواوين وأقام ملكا عظيما بعد انقطاعه بحسن تدبيره وشدة شكيمة ان معاوية نهض بمركب



حمله عليه ر عثمان وذئلا له صعبه وعبد الملك بيضة أبرم مقدها  
الخامسة - قيل لما خرج من البحر أول قدومه على الأندلس  
أثوه بخمر فقال انى محتاج لما يزيد فى عقلى لا لما ينقصه فمرفوا بذلك قدره  
ثم أهديت اليه جارية جميلة فنظر اليها وقال ان هذه من القلب والعين  
بمكان وان انا اشتغلت عنها بهمتي فيما اطلبه ظلمتها وان اشتغلت بها  
عما اطلبه ظلمت همتي ولا حاجة لى بها الا ان وردّها على صاحبها

## ❖ ٢ - هشام بن عبد الرحمن ❖

لما توفى الامير عبد الرحمن يوم الثلاثاء ٢٣ ربيع الثاني سنة ١٧٢  
( ٣٠ سبتمبر ٧٨٨ ) ( ١ ) كان ابنه الاكبر سليمان واليا على طليطلة  
وابنه هشام على ماردة وابنه عبد الله هو الذى حضر وفاته بقرطبة ( ١ ) وصلى

١ يقول رومي ان تاريخ الوفاة كان يوم الثلاثاء ٣٠ سبتمبر سنة ٧٨٨  
وفي تقييده ان هذا التاريخ يوافق ٢٤ ربيع الثاني سنة ١٧٢ للهجرة وفي  
كندى ان تاريخ الوفاة كان في ٢٣ ربيع الثاني سنة ١٧١ وخطأ رومي في  
اليوم والسنة - وفي التواريخ العربية انه مات يوم الثلاثاء لست بقين من ربيع  
الثاني سنة ١٧٢ وهذا هو الصحيح لانه يؤخذ من تقويم مقارنات السنين الهجرية  
بالسنين الميلادية ان شهر ربيع الثاني من سنة ١٧٢ - ٢٩ يوما وان اوله يوم  
الاثنين الموافق ٨ سبتمبر من سنة ٧٨٨ فيلزم ان يكون يوم الثلاثاء لست بقين  
من الشهر العربي هو يوم ٢٣ منه الموافق ٣٠ سبتمبر

عليه (١) ثم ذهب الى قصر الامارة مؤملاً ان يقبل عليه كبراء المدينة ويحيوه بتحيات أمير جديد فلم يحم حول القصر منهم أحد (٢) ولم يتحقق ان رغبات الاهلين منصرفه عنه الى أخيه هشام ولي العهد رأى من الحكمة أن لا يركب هواه فجدد البيعة لأخيه هذا وكتب اليه بنعى أبيه وبالامارة (٣) وبأن يحضر قرطبة ليذهب هو الى ماردة فسار هشام من ساعته الى قرطبة فدخلها بعد يوم الوفاة بستة أيام فقابله أهلها بفرح وسرور وبايمه الخاصة والعامة يوم الاحد مستهل جمادى الاولى سنة ١٧٢ وكان عمره وقتئذ فوق الثلاثين (٤) وكان مهيئاً شهماً تقيماً كريماً عادلاً وكانوا يلقبونه بالعدل والرفق

---

١ ابن الاثير ويؤخذ من روى ان عبد الرحمن بعد ان عهد الى ابنه هشام بالامارة في محفل حافل توجه الى ماردة حيث تنازل فيها عن الحكم الى ابنه هشام الذي كان معه وان عبد الله بقي في قرطبة — ولم يذكر لنا التاريخ ما كان قائماً به من الاعمال — وان سليمان توجه الى طليطلة — واستمرت اقامة عبد الرحمن في ماردة الى اواخر ربيع الثاني سنة ١٧٢ للهجرة وفيها مرض ومات ثم شمرت اماره هشام في هذه المدينة في ٢٤ هذا الشهر (أول اكتوبر سنة ٧٨٨) وهتف الخطباء باسمه على المنابر

٢ كندى (٣) ابن الاثير (٤) قال كندى ان عمره ٣٠ سنة وخطأه رومى وقال ان هشام ولد في أول مارث سنة ٧٥٧ فيكون عمره في أول اكتوبر سنة ٧٨٨ أخذى وثلاثين سنة وسبعة أشهر وأقول ان كندى جعل اماره هشام في سنة ١٧٢ لا في سنة ١٧٢ واغفل للشهور التي أقل من خمسة

وأما عبد الله فرحل الى ماردة بأذن من أخيه (١)

ولما علم سليمان ببيعة هشام غصّ بها فانه كان يروم الأمر لنفسه  
ويحسد أخاه هشاما على تقديم والده له عليه وكتب الى أخيه عبد الله  
يستقدمه من ماردة الى طليطلة فجاءها بدون ان يعلم الامير ولكن  
وزير ماردة أعلمه ذلك

فاتفق الاخوان سليمان وعبد الله ان يستقلا في اقليميهما ويتصرفا  
تصرف الحاكم المطلق بدون ارتباط بالامير فعارضهما وزير طليطلة  
غالب بن تمام فيما اتفقا عليه فسجنه سليمان فارسل الامير رسولا  
يسأله عن سب سجن الوزير فكان جواب سليمان ان جاء بالمسجون  
وخزقه أمام الرسول وقال له « قل لمولاك يدعنا نحكم في اقليمينا أحراراً  
جزاء ما ألمّ بنا من الضرر من امارته التي سبقت ابائنا »

هذا الجواب أحفظ هشاما فكتب الى ولاة الاقاليم وقضاةها  
بأن سليمان وأخاه عبد الله شقّا عصا الطاعة فليحافظوا على مدائنهم  
وخصوتهم من اعتدائهما ولا يطيعوا لهما أمرا ولا يسمحوا لهما بالايواء  
اليهم - وجهاز عشرين الف جندي وتوجه الى طليطلة فلما علم بذلك سليمان جهّز  
خمسة عشر الفا وسار الى قرطبة تاركا ابنه وأخاه يحفظان المدينة فالتقى الجيشان

(١) كندى ورومى - وفي ابن الاثير في سنة ١٧٣ ان عبد الله خاف من أخيه هشام  
فخفى هاربا الى أخيه سليمان وهو بطليطلة فأرسل هشام جمعا لي اترده ليردوه  
بالحقوة فلم

بالقرب من حصن بلخ BOULCHE OU BOULKH ودارت رحى الحرب كأنها بين خصمين اختلفا في الدين واللغة وكانت المعركة هائلة سالت فيها الدماء على الصمصحان ولم يحل دون منايا القتال إلا أن أرخى الليل سدوله فتمزق جيش سليمان وأوى إلى الجبال تحت أستار الظلام سنة ١٧٣ وفي صبيحة اليوم التالي لما لم ير الجيش الغالب أثرا للمغلوب تابع سيره نحو طليطلة حتى حاصرها وكانت منيعة الأركان لحصانة موقعها من جهة ولعناية عبد الله وشهامته من أخرى وأما سليمان فإنه جمع قوته ونزل من الجبال إلى برارى قرطبة فاحتل قلعة شقندة فخرج إليه عبد الله بن عبد الملك المرواني من قرطبة وقاتله حتى أخرجه من شقندة وجاء إلى الجبال ثانية فاستنجد بوزير ماردة وبشيوخ هذه الكورة فقاموا لكن لا انجذته بل لقهره وطرده إلى أرض تدمير

لما رأى عبد الله أن أخاه سليمان لا يمكنه أن يفلح في أن ينضم إليه وأن مؤن المدينة نفدت وأن الأهلى عيل صبرهم وضعفت عزائمهم سأل قواد الجيش في أن يسمحوا بجواز رسولين إلى الأمير ليفاوضاه بالنيابة عن أهل المدينة في الصلح فجاز متكررا هو ووزيره وتوجهوا إلى قرطبة فقابله هشام بصدر رحيب وعفا عما سلف ووعده بالعفو عن أخيه سليمان إذا جاء معتذرا ثم عادا إلى طليطلة ففتحت أبوابها وقوبل فيها الأمير على الرحب والسعة ودخل قصر الإمارة هو وأخوه وابن

أخيه وأقام أحد أقارب الوزير غالب بن تمام الذي خزقه سليمان عاملاً على طليطلة وأسكن أخاه قصراً في ضواحيها ثم عاد إلى قرطبة مفكراً في الوسائل التي تخضع أخاه الثاني سليمان

ولما علم هذا بتسليم طليطلة حزن كثيراً ولكنه لم ييأس وأخذ يحول في أنحاء كورة تدمير مستنزاً الأهليين إلى الثورة وأبشروا أزره فقاد إليه هشام جيشاً كانت مقدمته مؤلفة من نخبة فرسان الأندلس تحت إمرة ابنه الحكم وكان شاباً لم يرأس فرقة قبل هذه المرة فبدت هذه المقدمة في المسير حتى لاقت عساكر سليمان في براري لورقة وكانت تنتظر قائدها الذي كان يجمع مدداً من البلاد المجاورة فشباب الحكم دفعه إلى أن يهجم عليها بدون ريث ولا إمهال ولا سماع نصيحة سوى صوت هيمته فبدد شملها وفرق جمعها تاركة ميدان الحرب مغفلاً بأشلاء قتلاها فلما حضر جيش هشام لم ير من يقاتله ففرح الأمير بنصر ابنه نصرًا مبيناً واثني على شجاعة فرسانه ثناء حسناً ولكنه عاتب الحكم على عجلته وإقدامه بدون نظر في العواقب ونصحه بأن يقدم الرأي قبل الشجاعة

ولما وصل المنهزمون إلى سليمان ندب حفظه ثم توجه ومعه شرذمة من فرسانه إلى أرض بلنسية ومرّ بالقرب من دانية ولم يرل مرتكباً العاصف وجيش هشام يقتفي أثره حتى ألقي بنفسه في جزيرة شقر XUCAR وهي محل حصين يكتنفه النهر وهناك كتب إلى أخيه يائس

الصالح فأجابه بان يترك اسبانيا ويأخذ ماله و٦٠ الف دينار مصالحة على تركته أبيه فرضخ سليمان الى ذلك ورحل قاصدا عدوة المغرب ليسكن طنجة وكان ذلك في الاشهر الاولى من سنة ١٧٤ للهجرة (٧٩٠) وأما عبد الله فمات في اسبانيا وقيل انه لم يبق بأخيه

في أثناء قيام الشجار بين هشام وأخويه ثار سعيد بن الحسين بن يحيى الانصارى بشاغخت من اقليم طرطوشة في شرق الاندلس واجتمع له خاق كثير وملك مدينة طرطوشة وأخرج غامابا يوسف القيسى (١) فجاء الى والى بلنسية موسى (٢) أمر من الأمير هشام بان يجمع العصابة فلما قرب من طرطوشة قابله سعيد بن الحسين ووقع بين الخصمين معركة انهزم فيها سعيد وقتل (٣) وسار موسى الى طرطوشة فلما كانا فخرج عليه مولى للحسين بن يحيى اسمه جعادر في جمع كثير فقاتله وقتل موسى (٤) وانهزم اصحابه في أواخر سنة ١٧٢ للهجرة (٧٨٩) (٥)

في هذه الاثناء أيضا ثار مطروح بن ساجان بن يقطان بمدينة برشلونه وخرج معه جمع كثير فملك مدينة سرقسطة ومدينة وشقة وتغلب

---

١ ابن الاثير ( ٢ ) ابن الاثير يسميه موسى بن فرتون وكندى ورومي  
يسميانه موسى بن حذيرة HODHEIRAH ( ٣ ) ابن الاثير  
( ٤ ) كندى ابن الاثير وفي رومي ان الذي قتل سعيدا هو ابو عثمان الذي  
خلف موسى في ولاية بلنسية ( ٥ ) كندى ورومي

على الثغركاه (١) فكأن الأمير هشام أبا عثمان وإلى بلنسية الجديد  
الذي خلف موسى بن يظفريء نار هذه الثورة فتوجه إلى إسبانيا  
الشرقية في أوائل سنة ٧٩٠ للميلاد وسار إلى مطروح بن سليمان وهو  
في سرقسطة فحصره فلم يظفر بدفرجع أبو عثمان ونزل حصن طرطوشة  
بالقرب من سرقسطة وبث سراياه على أهل سرقسطة يغيرون ويمنعون  
عنهم الميرة ثم إن مطروحاً خرج يوماً يتصيد فأرسل البازي على طائر فاقتنصه  
فقتل مطروحاً ليذبحه بيده ومعه صاحبان له قد انفرد بهما عن أصحابه  
فتماورا به سيوفهما حتى قتلاه واحتزا رأسه وتقدمابه إلى أبي عثمان فسار  
إلى سرقسطة ونزلها بدون مناع وبعث برأس مطروح إلى الأمير هشام  
لما سكنت زوابع الثورات في إسبانيا باخضاع أخرى الأمير  
وقع الثائرين في شرقها وعم السلام البلاد صرف هشام عزيمته إلى  
غزو الفرنج في الشرق الأعلى والبشكنس والاستوريين والجلالقة  
في شمالها.

ففي مبدأ سنة ١٧٥ للهجرة أرسل كتباً إلى البلاد كافة يستنفرهم  
إلى الجهاد بخيلهم ورجلهم وسلاحهم وما لهم وخطب الخطباء بذلك في  
جميع المساجد فلبوا دعوته العامة وصار يرسل الجيوش المؤلفة منهم تبعاً

---

١ ابن الأثير وابن عسكاري وفي كندى ورومي أن يهلون بن مخلوق أبا  
الحجاج استولى على سرقسطة ووضع هو وولاءه برتلونه وطرجونه حدوداً  
للأرض التي أرادوا أن يستقلوها بها

في هذه السنة والسنين التالية بعضها الى الحدود ولدت البلاد التي  
غصبها هؤلاء الاقوام وبعضها الى داخل بلادهم للاستيلاء عليها  
قال ابن عذارى نقلا عن الرازي وغيره ان الامير هشاما أغزى  
في سنة ١٧٦ ابا عثمان الى ألبه (١) والقلاع فلقى الاعداء فهزمهم  
وقتل منهم كثيرا وأغزى يوسف بن نخت جليقية فلقى ملكهم برمودة  
BERMOUDE (٢) وواضعه الحرب فانهزم الجلالقة اه

وفي سنة ١٧٧ لما فطن الامير هشام الى ان اقليم سبمانية خال  
من الحامية بسبب اشتغال شرلمان وابنه لويز ملك اقليمه باطقاء  
ثورة الثائرين على ابنه الثاني ملك ايطاليا ITALIE وجه جيشا  
عمرهما تحت امره وزيره عبد الملك بن عبد الواحد الى أرض الفرنج  
(الفرنك FRANK) فدخلها حتى بلغ جرنده (٣) فقتل رجالها  
وهدم أوارها وأبراجها وفتحها ثم رحل عنها الى أربونه (نربونة)

١ تراها في التواريخ العربية بالباء الموحدة وقد رأيتها مضبوطة بالتحريك  
في تاريخ ابن عذارى وقد بحثت عنها في معجم باقوت وغيره فلم أرها ثم رأيت  
ما يقابلها في تاريخ رومى مرسوما هكذا ILIA ألبا وهذا يدل على انها بالياء  
المتناه لا بالوحدة فحرر

٢ أو (برمند VERMENDUS) يروي انها التقي في محل يسمى  
(بريا) فوكت بينهما معركة كان الفوز فيها للعرب ورجع جيش المساميين مثقلا  
بالغنائم والاسلاب

٣ كذا في ابن الاثير وفي كسندى جيرونه GERONA



ففعل بها مثل ذلك حتى استولى عايتها (١) ثم جاس البلاد شهورا  
يخرب الحصون ويحرق ويتغنى والسكان يفرّون من بين يديه طالبين  
النجاة ثم رجع ومعه غنائم واسعة من الذهب والفضة والانسجة  
النفيسة وبلغ خمس هذه الغنائم الذي كان باسم الامير ٤٥ الف  
مثقال من الذهب العين وقد فرح اهل قرطبة بهذا الفوز المبين وحبس  
الامير اثس على بناء الجامع الكبير في قرطبة وهذه الغزوة من أشهر  
غزوات المسلمين

وأمر الامير هشام عبد الله بن عبد الملك والى سرقسطة بان  
يقيم على الحدود

وفي سنة (١٧٨) أغار عبد الكريم بن عبد الواحد ثانية على بلاد  
إيليا ILIA والاع فغنم وسلم

وفي ابن الاثير في حوادث سنة ١٧٩ أن هشام صاحب الاندلس  
سير جيشا كشيفا عليهم عبد الملك بن عبد الواحد بن مغيث الى جليقية  
فساروا حتى انتهوا الى استرقه ASTORGE وكان أذفونش ملك  
الجلالة قد جمع وحشد وامتده ملك البشكنس وهم جيرانه فصار في  
جمع عظيم فأقدم عليه عبد الملك فرجع أذفونش هيبته وتبعهم عبد الملك  
يقفوا أثرهم ويهلك كل من تخلف منهم فدوخ بلادهم وأوغل فيها يغتم

---

(١) في كندى ان العرب أخذوا مدينتي جيرونه وزيرونه بالقوة ووضعوا السيف  
في رؤس اهلهم ما عدا ابن الاثير تفيد أنهم اشرفوا على فتحهما

ويقتل ويخرب ورجع سالماً  
وكان قد سار هشام جيشاً آخر من ناحية أخرى فدخلوا أيضاً على  
ميعاد من عبد الملك فاخربوا ونهبوا وغنموا فلما ارادوا الخروج من  
بلاد العدو اعترضهم عسكر الفرنج فمالوا منهم وقتلوا نفراً من المسلمين  
وعاد الباقون سالمين اهـ

وفي روى « في سنة ١٧٨ (٧٩٤) اغار عبد الكريم بن عبد الواحد  
ثانية على بلاد ايايا ILIA والتصور . وفي الوقت عينه زحف أخوه  
عبد الملك من طريق آخر على أرض النصارى فلقى في استرقه  
ASTORGA ملك جليقية وملك البشكنس فلم يجرأ على مهاجمته  
فتوغل عبد الملك في بلادهم لكن عند رجوعه مثملاً بالغنائم كن له  
العدو في الطريق ففسر المسلمون خسارة تذكر وقتل منهم شجعانهم  
ومن بينهم يوسف بن بخت الذي كان قائداً فرقة منهم وردت منهم  
الغنائم والاسرى » — يظهر ان هذه الغزوة ابتدأت في أواخر سنة  
١٧٨ وانتهت في سنة ١٧٩ وهي آخر غزوة غزاها هشام

ما كان غزو هشام صارفاً له عن تحسين قرطبة فقد أنشأ فيها  
كثيراً من المباني والمساجد التي كانت تتخذ مدارس لتعليم الفقه  
واللسان العربي ويروى أنه منع النصارى أن يتكلموا بغير هذا  
اللسان وان يكتبوا بلسانهم اللاتيني — وكان شغف المسلمين في  
عهده بعد الغزوة بهندسة الأبنية وقرض الشعر وبقية الدين

واشتهر بالشعر في عصره عامر بن أبي جعفر وكان قِيَمًا في  
طائفة على التركات التي لا وارث لها الآية إلى بيت مال المسلمين  
واشتهر بالفقه زياد بن عبد الرحمن الذي رحل إلى الشرق  
ليتلقى الموطأ عن مالك بن أنس ثم عاد إلى الأندلس فدخل مذهبها  
وفي سنة ١٧٩ للهجرة (٧٩٥ للميلاد) جمع هشام في القصر  
الحاجب والوزراء وقاضى القضاة والولاة والخطباء وأعانهم بأن ابنه  
الحكم هو ولي العهد بعده وكان عمره وقتئذ ٢٢ سنة ثم مرض هشام  
في أوائل صفر سنة ١٨٠ للهجرة ومات في ثاني عشر هذا الشهر (٢٦  
أبريل سنة ٧٩٦) بعد أن حكم سبع سنين قمرية وتسعة أشهر كذلك  
وثمانية عشر يوما أو سبع سنين أفرنجية وستة أشهر كذلك وستة  
وعشرين يوما (١)

### ٣ - الحكم

( من ٧٩٦ إلى ٨٢٢ )

بعد وفاة هشام ولي الأمر بعده ابنه الحكم بعهد منه وشهرت

امارته في موكب حافل يوم ١٤ صفر سنة ١٨٠ ( ٢٨ ابريل سنة ٧٩٦ ) وفي الجمعة الاولى ( ١٥ صفر ) من حكمه حضر الصلاة في جامع قرطبة الكبير وخطب الخطيب باسمه على المنبر وكان وقتئذ ابن خمس وعشرين سنة ( ١ ) وكان الناس يأملون فيه أن يكون خير خلف لأبيه وجدّه فان سيّاه السامية كانت تنبئ بذلك وتربّيته من شأنها أن تهدي الى الصراط المستقيم ولكن لا يعلم الباطن الا الله . يصفه بعض المؤرخين بانه كان عالما فطنا فصيحاً شاعراً صارماً حازماً لكنّه متكبر قاسى القلب سريع الغضب ويصفه البعض بانه كان طامعاً مسرفاً له آثار سوء قبيحة امه ام ولد اسمها زخرف اه راعماله الآتية تنبئك عن صفاته فانها أكبر شاهد

لما ولى الامارة الحكم اختار عبد الكريم بن عبد الواحد ( ٢ ) حاجباً له فانه تربى معه في الصغر وكان أمين كتبه وكان الامير يعجب بعلمه وقريضة وامانته وشجاعته

وقد نازعه في الامارة عمّاه سليمان وعبد الله : فالاول كان يعيش في طنجة من ابتداء سنة ٧٩٠ ولثروته واخلاقه كثرت أشياعه والثاني لم يترك اسبانيا ( على قول ) بل أقام في القصر الذي في ضاحية طليطلة

١ في كثير من التواريخ ومنها كندي انه ابن ٢٢ سنة ولكن في رومي

انه كان ابن ٢٥ سنة وهو الصحيح

٢ يقول كندي عبد الكريم بن عبد الوليد

لا يحرك ساكنا مدة حكم أخيه هشام للمعاهدة التي بينهما ولجئنا في هذه الاثناء كَوْن لهزبا قويا من قواد أعمال طليطلة كبيرهم عبيد الله ابن حمزة — فلما جاء عبد الله النبا بموت أخيه وولاية الحكم نزعت نفسه الى الثورة لكنه رغب أن يتفاوض مع سليمان في الأمر أولا فرحل هو وأسرته الى طنجة بعد أن عهد الى ابن حمزة بزعامه حزبه. هنا لا ينص التاريخ على ما اتفق عليه الاخوان سليمان وعبيد الله لكن الحوادث الالمانية تسرب عن هذا الاتفاق فان عبد الله بعد أن أقام مدة قصيرة في افريقية ذهب سرا الى (شرلمان) ملك الفرنج (الفرنك) فاستقبل في قصره في مدينة (اكس لاشيال) *AX-LA CHAPELLE* سنة ٧٩٧ وعقب ذلك دعا شرلمان ابنه لويس من اقليمه وقابل نائب (ألفونس) ملك استوريا وجالقية ويظهر أنهم اتفقوا على أن يشلوا نيران الثورة في عدة جهات من اسبانيا في آن واحد كي يزلعوا الامارة من الحكم فقد عاد لويس الى اقليمه ومعه عبد الله وقصد هذا اسبانيا ولوى على طليطلة فرجد عبيد بن حمزة (١) ومعه قواد حصون اقش (٢) *JCLIS* وهله (٣)

١ كذا في كندى وروى في ابن الاثير عبيد بن حميد وقبل أيضا ابن عمير فرج

٢ قال ياقوت اقلش مدينة بالاندلس من اعمال شات مرية وقال الحميدي بليدة من أعمال طليطلة

٣ كذا في كندى وروى هباده *HURÉDA*

HUELDE وشتت برية مستعدين له استعدادا تاما فأماطوا جميعا لثام الاستتار ورفعوا لواء العصيان واستولوا على أبواب وقصر طليطلة في خريف سنة ١٨١ (٧٩٧) ولم يبق على طاعة الحكم من قواد ضواحي طليطلة الا عمروس قائد طليطلة وفي الوقت عينه جاز سايان بجيش جرار من افريقية الى اسبانيا فلغ الحكم قيام عميه فمضى بجيوشه ووجه فرسان أرقش وشرش وشدونه واشبيلية لصد سايان ومنع اتصال جيشه بجيش أخيه عبد الله وتوجه هو الى طليطلة

وفي هذه الاثناء أرسل لويس ا كيتانه جيشا اجتاز الثغور واستولى على نربونه وجيرونه سنة ٧٩٧ للميلاد وهدد مدن الحد الشرقي وخضعت له مدن پنداونه وشقة ولاردة ونجم عن ذلك ان قامت ثورة في برشلونه أعقبها سقوط المدينة في يد من أهداها الى برلمان .

دعت هذه الكوارث قاضي وشقة المسمى عبد السلام بن عبد الوليد الى ان يكتب الي الحكم بان الافرنج شنوا الغارة الشعواء على البلاد وان سقطت في أيديهم بعض المدن وان ولاية الحدود مالوا اليهم وأن والى وشقة سلم المدينة بشروط معينة فلما قرأ ذلك الحكم ترك ثورة طليطلة الى القائد عمروس وتوجه في الحال الى الحدود يقود جيشا عظيما فاسترد وشقة ولاردة وبرشلونه وجيرونه ثم زحف على أرض افرنجة فدخل نربونه وفنك بالافرنج فتكا ذريعا وسبى نساءهم

وأولادهم وغنم غنائم واسعة رجع منصورا ولذا لقبوه بالمظفر (١) وأقام على الحدود عبد الكريم بن عبد الواحد وقطيس بن سليمان وأسرع هو إلى طليطلة وحارب عمّيه في عدة وقائع كان له فيها الغلب عليهما حتى الجأهما في سنة ٨٣٣ هـ إلى أرض تدمير

ودارت رحى الحرب دورات بين الحكم وجيش عمّيه كان فيها الغلب له عليهما وفي الواقعة الأخيرة حتى الوطيس بين الجيشين وكلاهما يكرّ على الآخر كرّ من يشق أن الفوز له وقد أظهر سليمان وأخوه عبد الله شجاعة ليس فوقها شجاعة حتى خال الرأي وقتئذ أن سيكون لهما الغلب ولكن قدر الله أصابة سليمان بسهم في نحره فستط مريعا ووصلته سنايك الخيل فلما رأى عبد الله ما أصاب أخاه اخذ في الهزيمة وقد خيم الظلام إلى أن التجأ إلى بلنسية ثم جرى بمحنة سليمان إلى ابن أخيه الحكم فبكاه وشيخ جنازته باجلال واحترام سنة ١٨٤ (٢)

١ كندى وروى ولم أر في التواريخ العربية اثرا لهذه الواقعة في السنين الأولى من حكم الحكم وبعد أن يرى الحكم قيام الثورات في الجنوب والجنوب من عمه ويتركهما فاصدا الحدود قبل أن يعطى نيرانا إلا أن ابن الأمير وتبعه غيره ذكر أن الحكم سار في سنة ١٨٠ هـ جيشا مع عبد الكريم بن مفيك إلى بلاد الفرنج فدخل البلاد وبث سرايا يهيمون ويقتلون ويحرقون حتى غشوا مال الفرنج واسروا رجالهم وسبوا مريهم وعادوا سالمين .... اه بتصرف وتاريخ هذه الواقعة سابق تاريخ قيام سليمان وعبد الله على الحكم ٢ كذا يؤخذ من كندى - وفي ابن الأمير في حوادث سنة ١٨٥ أن سليمان انهزم وقصد ماردة فقبه طائفة من عسكر الحكم فأسروه فلما حضر عند

بعدئذ لم يسع عبد الله الا ان يطلب الصلح من الحكم فأجابه اليه على ان يجعل أولاده نزلاء عنده في قرطبة فذهب عبد الله الى طنجة وأرسل ولديه الى الحكم فقابلهما بحفاوة واجلال ورتب لهما كل شهر الف دينار وفوق ذلك خمسة آلاف في كل سنة وأباح له السكنى في قصور ضاحية بالنسيئة وعفا عن القواد الذين كانوا معه وزوج اخته المسماة (كثراً) لأكبر ولدى عمه المسمى أصبغ وكان بذلك حسم النزاع سنة ١٨٦ (١)

وفي سنة ١٨٤ التي قامت فيها المعركة الاخيرة بين الحكم وعميه سلمت طليطلة لزعيم الثورة عبدة بن حمزة الى القائد عمروس فقطع رأسه وأرسله الى قرطبة ودخل المدينة وأقام ابنه يوسف محافطاً عليها وأسرع في الاتحاق بالامير ومعه القوي التي أمكنه أن يعدها ولم يترك حامية في طليطلة فأدركه في معسكره في جنجيلة (٢) يؤخذ من روى ان الفرنج انتهزوا فرصة قيام الخصام بين الحكم

---

= الحكم قتله وبعث برأسه الى قرطبة وكتب الى أولاد سليمان وهم بسرقة كتاب أمان واستدعاهم فحضر واعنده بقرطبة

١ في ابن الاثير وغيره ان الصلح تم في سنة ١٨٦ وفي كندى وثبته روى انه كان في سنة ١٨٤ والتبادر ان الواقعة الاخيرة هي التي كانت في سنة ١٨٤ (٨٠٠) وأما الصلح فكانت خاتمة في سنة ١٨٦

٢ قال ياقوت جنجيلة مدينة بالاندلس بين شاطبة وينشبة



وعظمته في السنين ٧٩٨ و ٧٩٩ و ٨٠٠

١ — فاغاروا على اسبانيا الشرقية وأوغلوا فيها وسبب ذلك أنهم بعد أن ضربهم الحكم في آخر سنة ٧٩٧ وأخرجهم من الأنحاء التي فتحوها وطردهم من اسبانيا الشرقية ومن جزء من سبانية ماضية ماضدّهم ذلك كله عن مقصدهم نحو اسبانيا ففي أوائل سنة ٧٩٨ اجتمع بمجلس أمّتهم PLAIDE في طلوثة وقرّر ارسال تجريدة الى اسبانيا وفي ذلك الوقت كان بهلول يحكم البلاد الجبلية التي تناخم ا كيتانه وقد ضربه الفرنج في السنة الماضية فأرسل مبعوثين ليقدموا الي المجلس هدايا ويلتمسوا الصلح فأكرم لويس وفادتهم وأجاب ملتئمهم وربما كان ارسال التجريدة الي اسبانيا من ملتزمات بهلول من المجلس وقد استولت هذه التجريدة على جرونة وروذة وأمير ياس

٢ — واقاموا قلاعاً قوية على الحدود وقد شغلهم اقامة هذه القلاع عن ارسال بعثة حربية في سنة ٧٩٩ الى ماوراء جبال الالباب ولكنهم لما كانت في السنة الاولى من القرن التاسع ورأى لويس حصانتها على طول جبال البرانس اجتاز الحدود الى اسبانيا وكان مقصده الوحيد على ما يظهر أن يتحقق من صحة الوعود والقيود التي ارتبط بها زيد محافظ برشلونه وحسن محافظ وشقة فان الاول اطاع شرلمان طاعة اسمية سنة ٧٩٧ ولما قرب الملك من برشلونه جاء اليه

زيد واستقبله باجلال وتظيم ولكن لم يسلمه المدينة فتقدم الملك الى لاردة وهاجمها فأخذها ثم خربها وخرّب عدة قصور وقلاع على الطريق الذي بين لاردة ووشقة ووالى هذه المدينة رفض ان يسلمها وكانت حصينة فاكتفى لويس باتلاف مزرعات قمحها وباحراق ما كان خارجا عن أسوارها ولما جاء الشتاء عاد هو وجيشه الى اkitane

وفي ربيع السنة التالية عقدت الجمعية الصومانية للملكة اkitane في طلوشه وقررت أخذ برشلونه فجمعت الجنود من أربع امم تابعة لهذه المملكة: من الفرنك والبشكنس والقوط والاكتان وجازت حدود جبال البرانس حتى وصلت الى اسوار برشلونه وحاصرتها وكان أميرها يسمى زيدون فأثار حمية سكانها وحضهم على الدفاع والذود عن بيضتهم وصدة الاعداء عن عاصمتهم فاستندوا ودفعوا هجمات العدو برميهم بالنبال والقلاعات من فوق أسوار المدينة ولكن آل الامرا الى سقوطها في سنة ٨٠١ م

ويؤخذ من كندى ان نصارى الفرنج أغاروا في سنة ١٨٥ على شرق اسبانيا فحاصروا مدينة جبرونة حتى خضت ثم توجهوا الى برشلونه فحاصروها زمنا طويلا اذ كانت منيعة فان المسلمين كانوا حصنها تحصينا قويا وان الحكم لما بلغه ثورة بهلول بن مرزوق وانه يقود النصارى نحو طرجونة وكورة طرطوشة أمر بتوجيه قوة تطفئ ثورته وتردع هؤلاء الاثنين — وفي اثناء اعداد معدات القوة جاء الخبر الى

قرطبة بسقوط برشلونه سنة ١٨٥ بعد أن طال حصارها سبعة أشهر (١) وفي أثر ذلك سار الحكم نفسه الى شرق اسبانيا ومعه قائد فرسانه محمد ابن مفرج والوالى عمرو بن عمرو ولكن هذا عاد الى طليطلة وسبب ذلك أن يوسف بن عمرو أحفظ أهل طليطلة وأهاج نفوسهم عليه لغلظته وقسوته حتى تجمعوا حول بيته ورموه بالحجارة وجرحوا كثيرا من حرسه وأرادوا الفتك به لولا أن حال دون ذلك كبراء المدينة وكتبوا الى الحكم بهيجان الطليطالين وقيامهم على وإيهم وأنه غير أهل لمنصبه فأطلع الحكم عمرو بن عمرو على ما كتبه هؤلاء في ولده وأمره ان يدعو الى الحدود فرجاء هذا أن يقوم مقام ابنه في ولاية طليطلة لينتقم من أهلها فأجاب الأمير رجاء لما استرد الحكم سرقطة توجه الى مدن الحدود الاخرى ليستردّها فأخذ تطيلة وترك يوسف بن عمرو قائدا لها واحتل بلونه وعند نزوله نحو شواطئ نهر ابرة استولى على وشقة ثم زار حدود فرنجة — وفي هذه الاثناء رغب يوسف قائد تطيلة الجديد أن يبرهن على أهليته فأغار على حدود الفرنج فوقع أسيرا في كمين نصبوه له سنة ١٨٧ ففداه أبوه منهم فأطلقوه (٢)

---

١ جاء في ابن الاثير ان الفرنج ملكوا برشلونه سنة ١٨٥ واخذوها من المسلمين ونقلوا حماة ثغورهم اليها وكان سبب ملكهم اياها اشتغال الحكم بمحاربة تميمه عبد الله وسامان

٢ استخلصنا هذا من كندى وروى لكن جاء في ابن الاثير في حوادث

ثم سار الحكم الى طرجونه فوجد ان بهاولا جبالا عنها فاقتفى  
اثره الى أن أدركه في بركة طرطوشه يقود عصابت من الجلباين والنصارى  
فاشتبك القتال بينهما في عدة ملاحم قاوم فيها بهلول مقاومة تذكر  
لكنه قهر في الملحمة الاخيرة التي دامت أربع عشرة ساعة فحجى به  
حيًا بين يدي الامير فقتل رأسه سنة ١٨٨ ( ٨٠٤ )

حصل هذا ولم يسترد الامير برشاونه ويحتمل أن توالى المعارك  
وتتابع الاسفار أضعفت قوى جيشه فحال ذلك دون استرداد هذه  
المدينة الحصينة . يذكر بعض المؤرخين هنا أن الحكم بعد أن وطّد  
دعائم الأمن في الحدود عاد من طرطوشه الى بالنسية فشاطبة فدانية  
فتدمير فقرطبة في أوائل سنة ١٨٩ للهجرة ( ٨٠٥ )

---

سنة ١٨٧ ان الفرنج ماسكوا مدينة تطيلة وسبب ذلك ان الحكم استعمل  
على ثور الاندلس قائدا كبيرا اسمه عمروس فاستعمل ابنه يوسف على تطيلة  
وكان قد انهزم عن الحكم أهل بيت من الاندلس أولو قوة وبأس لانهم  
خرجوا عن طاعته فالتحقوا بالمركين فتقوى أمرهم واشتدت شوكتهم وتقدموا  
الى مدينة تطيلة فحاصروها وملكوها من الساميين فأسروا أميرها يوسف بن  
عمروس وسجنوه بصخرة قيس واستقر عمروس بمدينة سرقطة ليحفظها من الكفار  
وجمع العساكر وسيرها مع ابن عم له تلقى المركين وقاتلهم فنقض جموعهم  
وهزمهم وقتل أكثرهم ونجا الباقون منكوبين وسار الجيش الى صخرة قيس  
فحاصروها وافتتحوها وخلصوا يوسف أمير الثغر وسيره الى أبيه وعظم أمر  
عمروس عند المركين وبعد صيته فيهم أمه ولا يخفى ما في هذه العبارة من الغابرة  
لا نقلناه عن كندى ورومى

وفي هذا الوقت ارتقى الى عرش امارة المغرب ادريس بن ادريس وهو الثاني من اصراء الأدارسة فأرسل اليه الحكم وفداً يبينه بهذا الارتقاء ويعقد معه محالفة على من يناوئهما وكان يصحب هذا الوفد خمسمائة فارس فقبول بالحفاوة والاجلال وكانت حاضرة امارة ادريس ( ويلي WALILI ) لافاس فانه هو الذي خططها في سنة ١٩١ هـ ( ٨٠٧ م )

وفي سنة ١٩٠ للهجرة ( ٨٠٦ ) ( ١ ) حدث حادث فظيع في طليطلة وهو أن عمروسا لما ولي امارة طليطلة خلفا لابنه عزم أن ينتقم من الطليطليين فانتهاز فرصة توجه عبد الرحمن بن الحكم الى اسبانيا الشرقية يقود خمسة آلاف فارس ومروره بالقرب من طليطلة فدعاه ان يعرج على المدينة فلبى دعوته وكان ابن خمس عشرة سنة فأولم له بالوالي ولية فاخرة وأطامه على ما عزم عليه من دعوة أعيان المدينة الى الولية والفتك بهم فظهر ابن الامير سخطه من هذا الامر الشائن فأجابه الوالى بان عداوة الطليطليين للامويين نار كامنة دائما متى كشفها ريح الفرص تاروا عليهم فيعجب افزاعهم بما يخمد أنفاسهم حتى لا تقوم لهم قائمة بعد ذلك فهذا القول خدع الشاب فلما جاء المساء وبادر

١ هذه الحادثة يذكرها ابن الاثير في حوادث سنة ١٩١ لكن في تاريخ كندى وتاريخ دوى أنها حدثت في سنة ١٩٠ ويذكرها دوزى في ٨٠٧ ( ١٩١ ) ويؤخرها عن حادثة ائتمار فقهاء قرطبة على خلع الحكم

المدغورون الى قصر الولاية للاحتفاء بابن أميرهم الحكم أخذ الحرس كل مدعو داخل وقادوه الى حفرة وقطعوا رأسه حتى قتلوا أربع مائة مدعو من الاشراف وفي اليوم التالي طرحت رؤوسهم أمام اهل المدينة فندعروا من منظرهم البشع ووجفت قلوبهم وشاع أن هذه المكيدة الشنعاء من تدبير الحكم فملت قلوب الطليطلين بغضا فيه وكانوا لا يصبقونها بعبد الرحمن لصفه ولكنهم ما نسوا أنه كان العلة فيها فثاروا عليه أيام امارته

وبعد ثلاثة أيام سار الأمير الشاب وفرسانه الى سرقسطة على الحد الذي كان وقتئذ نهرا به ويقال ان الدبيب في تجريدة عبد الرحمن هذه أن البنايونيين PAMPLUNOIS والنقاريين كانوا خاضعين للحكم منذ غزوته سنة ٨٠٢ ولكنهم في ٨٠٦ خضعوا للفرنج من تلقاء انفسهم

وفي ذلك الوقت كان الحكم ولي أصف بن عمدة مدينة ماردة فعزل هذا وزيره فتوجه المعزول الى قرطبة ووشى بالوالي عند الأمير وقال له انه يتربص فرصة مناسبة ليلقى عن عاتقه نير الخضوع للامارة الشرعية فأثرت هذه الوشاية في نفس الأمير حتى أدت به الى عزل ابن عمه وتولية الوزير فتوجه هذا الى ماردة فرحا بنصرته وأعطى كتاب العزل والتولية الى أصف فرفض ان يترك منصبه وكتب الى الأمير جوابا يعجب فيه من سماع وشاية الوزير المعزول ويقول له ان

حفيد عبدالرحمن لا يطرد من عمله كما تطرد السوقة فهاج هذا الجواب غضب الحكم فبعث في الحال كوكبة من فرسانه الى ماردة فرأت أبوابها مغلقة فبأخت الأمير فحضر وعزم ان يدخل المدينة بالقوة ويمثل بأصبع ولكن قدر الله ذاك فخرجت كنز زوج أصبغ وأخت الحكم ممتطية جوادا يصحبها خادمان واخترت معسكر الحصار الى ان دخلت خيمة أخيها فلما رأها ارتاع وهاجت فيه عاطفة الحنان اليها فترامت على قدميه وأخذت تبرى زوجها بفصاحة لسان وقوة جنان وتدحض عنه ما رماه به الوزيز بحجج بالغة حتى اقنعت أخاها وصرفت عنه الظنون وذهب شيطان الشقاق وجاء ملك الوفاق ودخل الأمير واخته المدينة واقام في ضيافته ابن عمه أياما الى أن جاءه كتاب من قاسم ابن عمه عبد الله يدعوه الى قرطبة لقيام فتنه فيها فماد مسرعا فقال له « عات ان كثيرا من وجهاء وقتها المدينة من ينقم عليك قصوتك وأثرتك وطاعة هوالك ائتمروا بك ليمتلك واختاروا أن أكون أميرهم فلم يسعني الا اظهار الميل لما يرومون وقد اطاعتك على أمرهم وانا لا أزال على بيعتك » فبعث الحكم وسأله تصحيح ما بأن فآخذ معه بعض ثقات الأمير وأجاسمهم في قبة في داره وأخفى أمرهم وحضر القوم عنده ليتفقوا على موعد ينفذون فيه مآربهم فقال لهم هذا الذي تدعونني اليه لا يقوى على القيام به فئة قليلة فسموا له آخرين معهم فقال اني لا أثق بمن سميت دون ان اسمع

منهم كما سمعت منكم فتطيب نفسي وأدخل في الامر على قوة وبصيرة  
فأمره وسمع مقالتهم فقال لهم موعدنا يوم الجمعة في المسجد وقت الصلاة  
وثقات الحكم بحيث يرون ويسمعون ويكتبون اسماءهم فلما صبح عند  
الحكم أمرهم بشهادة هؤلاء الثقات عليهم أخذهم وصلبهم جميعا - وروى  
دوزى هذه الحادثة بصورة أخرى في سنة ٨٠٥ فقال

اتفق يحيى بن يحيى وعيسى بن دينار وفقهاء آخرون وبعض  
الاعيان على تولية ابن شماس بن عم الحكم امارة اسبانيا وخاطبوه  
في هذا الشأن فطالب منهم ان يعرفوه اسماء من يمكنه ان يعتمد عليهم  
فوعدهم بذلك في ليلة يعودون فيها اليه فلما خرجوا من عنده توجه سرا  
الى قصر الحكم وأطلعه على أمرهم فكان يسمع منه ويأوح على سياه  
الريب في الامر فقال له وقد كاد يتميز من الغيظ « تريد ان تثير  
غضبي على أعيان عاصمتي - تا لله ان لم تثبت ما أخبرني به لأقطعن  
رأسك » فسأله ابن شماس أن يرسل معه ثقة في ليلة كذا فأجاب الحكم  
سؤاله وأرسل اليه في الليلة المعينة ناموسه ( كاتب اسراره ) ابن الخاضع  
وغلامه الخاص بخدمته المسمى ( شيسنت HYACINTHE ) ( ١ )

١ وهو اسم نبات يسمى بالعربية السنبل أو الخراي ويسمى بالفرنسية  
أيضا ( ZACINTHE زنت ) وذكر دوزى في تقييداته عدة ابنية لهذا  
الاسم منها ( زنت ) عن ابن البار ثم قال اذا اضيفت جميع الحركات حصل  
( يزنتو YAZINTO ) وبلا سبانية ZACINTO زسنتو )



وكان اسبانيا نصرانيا فاستترا وراء ستار وادخل ابن شماس من ائتمروا وسألهم عن يعتمد عليهم من الرجال فذكروا له اسماء المؤتمرين والناموس من وراء الستار يكتب الاسماء فى برنامج وكان بعضها أسامى اناس مخلصين فى الظاهر للامير فخشى الناموس ان يذكروا اسمه بين الاسماء فأحدث جلبّة بنطقه بعض ما يكتبه على الورق فشعر المجتمعون بالامر وقاموا مخدولين صائحين فى وجه ابن شماس قائلين له «غدرتنا يا عدو الله» ونجا بعضهم بالفرار من المدينة وممن فروا عيسى بن دينار ويحيى بن يحيى الى طليطلة وقبضت الحكومة على اثنين وسبعين رجلا من المؤتمرين وصلبتهم قال كندى وروى ان من صلبوا كانوا ثلثمائة وان الحادثة وقعت سنة ١٩٠ ( ٨٠٦ ) وان من كانوا اختاروه ليكون أميرهم هو قاسم بن عبد الله عم الحكم وانه هو الذى أفشى سرهم - ويؤخذ من ابن الاثير أن اهل قرطبة هاجوا ثلاث هيجات الاولى فى سنة ١٨٧ وان عدد المصلوبين فيها اثنان وسبعون وانهم كانوا اختاروا محمد بن القاسم القرشى المروانى عم هشام ابن حمزة وأخذوا له البيعة على أهل البلد وانه هو الذى أطلع الحكم على أمرهم والثانية فى سنة ١٩١ وان الحكم عاد بسببها من ماردة الى قرطبة وكشف عن الذين اثاروا الفتنة وصلبهم من تسعين وضرب اعناق جماعة منهم ولم يمين هنا العدد ولا من أختاروه أميرا والثالثة

في سنة ١٩٨٨ وقيل سنة ٢٠٢ ( ١ ) ويسمىها بواقعة الربض وملخصها ان أهل قرطبة تقموا من الحكم انهما كه ولذاته وقتله جماعة من أعيانهم فعرضوا به فكانوا ينادون عند انقضاء الاذان ( الصلاة يا مخمور الصلاة ) وشافها بعضهم بالقول وصفتوا عليه بالاكف وتعرضوا لجنده بالاذى والسب فحتمن قرطبة وعمر اسوارها وحفر خنادقها وارتبط الخليل على بابه واستكثر المماليك ورتب جمعا لا يفارقون باب قصره بالسلاح ثم وضع على أهل قرطبة عشر الاطعمة كل سنة من غير خرص ثم قتل عشرة من رؤساء سفهاؤها وصلبهم فهاج لذلك أهل الربض فاجتمعوا بالسلاح فقاتلهم الجنود فغلبهم الربضيون وأحاطوا بالقصر فنزل الحكم من أعلاه ولبس سلاحه وركب وحرض الناس فقاتلوا بين يديه قتالا شديدا وامر ابن عمه عبد الله فثلم في السور ثلثة وخرج منها ومعه قطعة من الجيش فأحرق الربض وأتى أهله المحاربين من ورائهم وقتل بهم فانهزموا وكانت مقتلة عظيمة واخرج من كانوا في المنازل والدور واسرهم فقتل الحكم من وجوههم ثلثمائة وصلبهم منكسين واقام النهب والقتل والاحراق والتخريب في أرباض قرطبة ثلاثة ايام وأشار على الحكم حاجبه عبد الكريم ان يعفو فنودي

١ نقل رومي عن بعض مؤرخي العرب ان واقعة الربض كانت يوم الاربعاء ١٣ رمضان سنة ٢٠٢ للهجرة وقال ابن الاثير في آخر عبارته « وذكر بعضهم هذه الواقعة سنة اثنتين ومائتين »

بالأمان على أن من بقي من أهل الرض بعد ثلاثة أيام قتلناه وصلبناه فخرج  
من بقي منهم مستخفيا ومعهم نساؤهم وأولادهم وما خف من أموالهم ... اه  
قال المقرئ ( ناقلا عن ابن خلدون مع تصرف ) كان للحكم  
الوقعة الشهيرة مع أهل الرض لانه في صدر ولايته قد انهمك في  
لذاته فاجتمع أهل العلم والورع بقرطبة مثل يحيى بن يحيى الليثي صاحب  
مالك وأحد رواة الموطأ وطالوت الفقيه وغيرهما فتأروا به وخلعوه وبايعوا  
بعض قرابته وكانوا بالرض الغربي من قرطبة وكان محله متصلا  
بقصره فقصروه سنة تسعين ومائة ( ١ ) فقاتلهم وغابهم ففترقوا  
نوهدم دورهم ومساجدهم ولحقوا بفاس من أرض المدونة بالاسكندرية  
من أرض المشرق ونزل بها جمع منهم ثم ساروا بها فزحف اليهم  
عبد الله بن طاهر صاحب مصر للمأمون وغلبهم وأجازهم الى جزيرة  
اكريطش ( ٢ ) فلم يزلوا بها الى أن ملكها الفرنج من أيديهم  
بعد مدة اه

وفي سنة ١٩٠ ( ٨٠٦ ) كانت قواد الحكم تحارب على حدود  
جليقية حتى اضطر ملكها الفونس أن يطلب هدنة ثلاث سنين من

---

١ كذا في ابن خلدون ويظهر ان المقرئ أغفل هذه العبارة لشكه في تاريخ  
الحادثة فان ابن الاثير وهو من المأخذ التي أخذ عنها ابن خلدون أرخ هيجات  
قرطبة بسنين ١٨٧ و ١٩١ و ١٩٨ أو ( ٢٠٢ )

٢ جزيرة جريد أو كريت الآن

القواد فأجابوه الى طلبه وكان الحكم وقتئذ بماردة

وفي سنة ١٩١ ثار في باجة حزم بن وهب وقصد أشبونة فارسل اليه الحكم ابنه هشاما في جمع كثير فأذله ومن معه حتى طلبوا الامان وفي أثناء ما كان الحكم مشغولا بأهل ماردة وقرطبة كان الفرنج يغيرون على المسلمين المتأخين لهم على طول جبال البرانس حتى استولوا على جزء عظيم من أرض اسبانيا بين هذه الجبال ونهر ابرة وفي ابتداء سنة ١٩٢ حاصر الفرنج تحت قيادة لويس ملك اكيثانة مدينة طرطوشه فتوجه اليهم عبد الرحمن من سرقسطة يقود جيشا جرارا وانضم اليه جيش من بلنسية تحت قيادة واليها فرفعوا الحصار عن المدينة وفتكوا بالمحاصرين فتكا ذريعا حتى تفتت ميادين القتال بمشهم وصارت أقواتا للطيور والوحوش وانهمزم لويس ابن شراان الى اكيثانة وعاد عبد الرحمن بن الحكم الى قرطبة وكان ابن تسع عشرة سنة فقبول فيها بالفرح والسرور سنة ١٩٣ ودعا عمروما ليخلفه في اسبانيا الشرقية

وفي سنة ١٩٣ (٨٠٩) نزل نصارى جليقيه الى (لوزيتانيا) تحت قيادة ماكهم الفونس فحرقوا مدينها وقتلوا أهلها واستمروا في سيرهم حتى وصلوا الى اشبونة فمهبوا وخر بواضواحيها الى ان جاءهم الحكم نفسه فدفعهم الى أرضهم وعاد الى قرطبة تاركا قواده تحاربهم الى (سنة ٨١١) وفي سنين ١٩٤ و ١٩٥ و ١٩٦ عاودت أهل ماردة الخلاف على الحكم

وعصوا عليه فسار اليهم بنفسه وقتلهم ولم تزل سراياه وجيوشه تتردد اليهم حتى خضعوا وخرج منها واليها أصبغ وسكن قرطبة وفي هذه السنين (كما جاء في ابن الاثير) طمع الفرنج في ثغور المسلمين وقصدوها بالفارقة والقتل والنهب والسبي وكان الحكم مشغولا بأهل ماردة فلم يتفرغ للفرنج فاتاه الخبر بشدة الامر على الثغور وما بلغ العدو منهم وسمع ان امرأة مسلمة أخذت سبيّة فنادت واغوثاه يا حكم. فعظم الامر عليه فجمع عسكره وسار الى بلاد الفرنج سنة ١٩٦ وأثنى في بلادهم وافتتح عدة حصون وخرب البلاد ومنهبها وقتل الرجال وسبي الحريم ونهب الاموال وقصد الناحية التي كانت بها تلك المرأة فخلصها من الاسر فلما فرغ من غزاته قال لاهل الثغور هل أغاثكم الحكم فقتلوا نعم ودعوا له واثنوا عليه خيرا وعاد الى قرطبة مظفرا

قال المقرئ في سبب هذه الغزاة ان العباس الشاعر توجه الى الثغر فلما نزل بوادي الحجارة سمع امرأة تقول واغوثاه بك يا حكم لقد أهملتنا حتى كلب العدو علينا فأيمنا وأيتمنا فذهب الى الحكم وأشده قصيدة يصف له فيها خوف الثغر واستصراخ المرأة باسمه منها تدارك نساء العالمين بنصرة \* فانك أحرى أن تغيث وتنصرا فأثف ونادى في الحين بالجهاد فخرج الى وادي الحجارة ومعه الشاعر وسأل عن الخيل التي أغارت من أى أرض العدو كانت فأعلم بذلك ففزا تلك الناحية وأثنى فيها وفتح الحصون وخرب الديار وقتل

عددا كثيرا وجاء الى وادي الحجارة فأمر باحضار المرأة وجميع من  
أسر له أسد في تلك البلاد فأحضر وأمر بضرب رقاب الاسرى بحضورتها  
وقال للعباس سلها هل أغاثها الحكم فقالت المرأة وكانت نبيلة والله  
لقد شفى الصدور وأنكى العذرة وأغاث الملهوف فأغاثه الله وأعز نصره  
فارتاح لقولها وبدا السرور في وجهه وقال

ألم تر يا عباس انى اجبتها \* على البعد اقتاد الخنيس المظفرا  
فادركت أوطارا وبردت غلظة \* ونفست مكر وبلوا غنيت معسرا  
فقال العباس نعم جزاك الله خيرا عن المسلمين وقبل يده

ويؤخذ من روى ان الفرنج في سنة ٨١٠ ارادوا ان يعاودوا  
الكرة على طروشة فذهب جيشهم أولا الى برشاونة وصنعوا فيها زوارق  
سهلة الحمل كل منها متقسم الى أربعة أقسام يمكن حمله على حصانين  
او بغلين ويسهل تركيبه عند ارادة الاستعمال واستحضروا لهذا الغرض  
مطارق ومسامير وقيرا وشمعا ومشاقا وليخفوا أمرهم كانوا يسرون ليلا  
ويختبئون نهارا في الغابات ولا يشعلون النار لئلا يدل عليهم دخانها  
حتى وصلوا الى شاطئ نهر ابرة بعد ثلاثة أيام وفي اليوم الرابع ركبوا  
زوارقهم ووضعوها في الماء واخترقوا بها النهر قائدن خيلهم تسبح  
حول الزوارق فلما وصلوا الى الشاطئ الآخر فاجؤا فرقة من العسكر  
كانت تخفر النهر فولت مدبرة تاركة وراءها امتعتها وخيامها فبات فيها  
الافرنج وفي اليوم التالي قابلهم والى طروشة المسمى عبيد الله او عبدون

بمن قدر على جمعه من الجنود ودارت رحى الحرب بين الفريقين وانجلى  
عن فوز الطرطوشيين وعن ارتداد الفرنج الى اكيثانة على اعقابهم  
خاسرين (١)

لما رأى الحكم تتابع الحروب بين المسلمين وبين الافرنج من  
جهة الشمال الشرقى وبين نصارى جليقية من جهة الشمال الغربى أرسل  
مبعوثين الى شرلمان امبراطور الفرنج يطلبون الصلح ومع هؤلاء المبعوثين  
( كونت ) كان أسيرا عند الامير منذ سنين فوصات هذه البعثة الى  
مدينة ( اكس لا شبال AIX-LA-CHAPELLE ) في الوقت  
الذى وصات فيه اليها بعثة امبراطور القسطنطينية ( نساfore  
NICEPHORE ) لئلا غرض البعثة الاولى فعقد شرلمان الصلح مع  
البعثتين في شهر اكتوبر سنة ٨١٠ م

ومع هذا أغارت تجريدة بحرية من المسلمين في نهاية هذه السنة  
على جزيرة قرصة ( CORSE ) فخربتها لكن يظهر ان هذه التجريدة  
قامت من تغور اسبانيا قبل ان يعلم الصلح في زمن كانت فيه وسائل  
نقل الانباء صعبة وقليلة السرعة

وفي نهاية هذه السنة أيضا طرد عبد الرحمن بن الحكم عمروسا  
من سرقسطة والجأء الى وشقة مستط رأسه لما ظهر من ان له علائق  
بالفرنجة وانه كان يطالعهم على الحال التي يسهل عليهم مفاجأتها وكان

١ هذه الحادثة لا أثر لها في التواريخ العربية التي بأيدينا

عمروس هذا من المولودين أبوه مسلم وأمه نصرانية فيحتمل أن الفرنج حالفوه على استقلاله بالشعر الأعلى تحت رعايتهم

وفي سنة ٨١١ م فسخ عقد الصلح بين الحكم وشرمان وعاد الشجار بين الامتين على أرض اسبانيا حتى أن لويس تأهب لاخذ طروشة (١) ويحتمل أن سبب ذلك استمرار غزوات المسلمين البحرية الى جزائر البحر المتوسط التابعة لمملكة أفرنجة

وفي سنة ١٩٧ ( ٨١٢ ) دخل عبد الرحمن جبرونه وغزا أرض نربونه فقاتل أهلها ونهبها وعاد ومعه كثير من الأسرى والغنائم الواسعة وكان ابن احدى وعشرين سنة وكان حاكم اسبانيا الشرقية ومحافظ الحدود ( ٢ ) جاء في ابن الاثير في حوادث سنة ٣٠٠ ان الحكم هزم جيشا مع عبد الكريم بن مغيث الى بلاد الفرنج بالاندلس ( يعني نصارى جليقية ) فسار بالمسافر حتى دخل أرضهم وتوسط

١ روى رومى عن قصصى منجم ان لويس سار الى طرطوش بنفسه يقود جيشا كثير العدد والعدد وحاصرها أربعين يوما وهو يرعى حيطانها بالجنائيق حتى طلب أهلها عقد شروط والى محافظها عبيد الله مفتاحها الى لويس فجاءها وهو فرح الى أبيه « واعتب رومى هذه الرواية باستناد استيلاء لويس على طرطوش كما استولى على برشانونه وانه ترك فيها حامية واقام عليها محافظا - لانه لم يوجد لذلك اثر في تاريخ عربى ولا أفرنجى وقد جاءت اخبار مختلفة تتكلم عن طرطوش بعد هذا الزمن باعتبار انها مدينة خاضعة للحكم الاسلامى



بلادهم فخرَّبها ونهبها وهدم عدة من حصونها فاستنفذ خزائن مالوكهم  
 فلما رأى ملكهم فعل المسلمين ببلادهم كاتب مالوك جميع تلك النواحي  
 مستنصرا بهم فاجتمعت اليه النصرانية من كل أوب فأقبل في جموع  
 عظيمة بازاء عسكر المسلمين بينهم نهر فاقتتلوا قتالا شديدا عدة أيام  
 المسلمون يريدون أن يعبروا النهر وهم يمنعونهم فلما رأى المسلمون ذلك  
 تأخروا عن النهر فعبر المشركون اليهم فاقتتلوا أعظم قتال فانهزم  
 المشركون الى النهر فأخذهم السيف والأسر فن عب النهر سلم وأسر  
 جماعة من كنودهم (١) ومالوكهم وقامصتهم وعاد الفرنج ولزموا جانب  
 النهر يمنعون المسلمين من جوازه فبقوا كذلك ثلاثة عشر يوما فجاءت  
 الامطار وزاد النهر وتعذر جوازه فقفل عبدالكريم عنهم سابع ذى  
 الحجة اه وجاء في ابن خلدون ما نصه « وفي سنة ٢٠٠ بعث الحكم  
 العساكر مع الحاجب عبدالكريم بن مغيث الى بلاد الفرنج فصار  
 فيها وخرَّبها ونهبها وهدم من حصونها وأقبل اليه ملك الجلالقة في  
 جموع عظيمة وتنازلوا على نهر واقتتلوا عليه أياما ونال المسلمون منهم  
 أعظم النيل وأقاموا على ذلك ثلاث عشرة ليلة ثم كثرت الامطار  
 ومد النهر وقفل المسلمون ظافرين وجاء في تاريخ ابن عذارى  
 نحو ذلك وسعى النهر نهرارون وقال ان المشركين قتل منهم عدد  
 عظيم لا يحصى كثرة وضائق الحال أيضا بالمسلمين فقفل عبدالكريم

ظافرا لسبع خلون من ذى القعدة ويؤخذ من كندى وروى

١ — ان جيش الحكم في سنة ١٩٧ (٨١٢) كان يحارب نصارى الشمال الغربى تحت قيادة عبد الكريم وعبد الله فكان للجيش فى المبدأ نصرات لكن صعب القتال على المسلمين منذ دخلوا فى أرض جبلية يجهلون بها فغلب النصارى القائد عبد الله على حدود جليقية فقتلوه وفرقوا جنده أيدى سبا وفرّ فرسانه حاملين الرعب الى عساكر عبد الكريم حتى اضطروهم الى الفرار مع ما هو عليه قائدهم من المهارة والشجاعة ففرق بعضهم فى الزهر ولجأ البعض الى الغابات المجاورة وتسلقوا اشجارها ليختبئوا فيها ولكن عسكر النصارى أدركوهم ورموهم بالسهم

٢ — وان عيسى بن أحمد الرازى قال بقى الجيشان بعد الهزيمة يواجه أحدهما الآخر بدون قتال ثلاثة عشر يوما فلا النصارى يجرءون على المسلمين ولا هؤلاء يجرءون على أولئك ثم اشتبك الفريقان فى مناوشة دموية جرح فيها عبد الكريم برمح ومات أثر جرحه بيومين فأخذ جيشه فى الهرب

لا يخفى ما بين كلام مؤرخى العرب وكلام مؤرخى الافرنج فى هذه الحادثة من التناقض لكن جاء فى تقييدات رومى (ص ٣٩٣ ج ٣) ان مرفى MURPHY يروى هذه الحادثة بوجه آخر أقل خسرانا على المسلمين قال « فى هذا الوقت (٨١٢) تقدم (اذفأش)

(٩ — تاريخ العرب فى اسبانيا)

ملك الجلالقة يقود جنودا كثيرة نحو المسلمين فالتقى الجيشان بالقرب من شهر واقتتلا ثلاثة عشر يوما كان فيها الفوز للمسلمين لكن هطأت امطار غزيرة أمدت النهر فطغى ماؤه فاضطر المسلمون وان كانوا ظافرين الى ترك ميدان القتال « فهذه العبارة تؤيد ما جاء في التواريخ العربية ويذكر مؤرخو العرب هذه الحادثة في حوادث سنة ٢٠٠ للهجرة ومؤرخو الافرنج يذكرونها في حوادث ٨١٢ للميلاد المقابلة لسنة ١٩٧ فيحتمل أنها ابتدأت في سنة ١٩٧ وانتهت في سنة ٢٠٠ والله أعلم بالحقائق

وفي ربيع سنة ١٩٨ أغار عبد الرحمن على جليقية ليأخذ بشار من قتل من المسلمين في السنة الماضية فطرد النصارى من مدينة سمورة التي على نهر دورو DUERO واستولى على عدة قلاع والتقى بالاعداء على نهر (١) ففك بهم حتى سالت دماؤهم كالنهر وانهمز من نجا منهم وبعثت عقد الصلح بين الفريقين وعاد عبد الرحمن الى قرطبة مثقلا بالغنائم يقود كثيرا من الأسرى وقد اكسبت عبد الرحمن نصراته فخرا وشهرة واسعة فجمع والده الحكم الامراء والوزراء وقاضى القضاء والولاة والقواد والسراة وعهد اليه امامهم بولاية الامر من بعده فارتضوه جميعا وحلفوا له يمين الطاعة وكان ذلك في يوم مشهود ساد فيه الفرح والسرور ومن ذلك اليوم سُمّي ولي العهد سنة ١٩٩

يؤخذ من رومى ( ان اختيار عبد الرحمن ولى عهد كان فى سنة  
سكنت فيها زواج الحروب لاستمرار زمن الصلح بين المسلمين  
والفرنج ولعقد عبد الرحمن الصلح مع الجلالقة عقب غزوته الأخيرة  
فى سنة ٨١٣ ) وكأنه نسى قوله قبل ذلك ان عقد الصلح فسخ فى  
سنة ٨١١ وان عبد الرحمن غزا أرض نربونه سنة ١٩٧ ( ٨١٢ ) الا  
انه يحتمل ان عبد الرحمن استعاد الفرنج الصلح عقب غزوه إياهم  
هذه السنة كما انه عقده مع الجلالقة فى السنة التالية

ويؤيد ذلك قوله فيما بعد أن موت شلمان امبراطور الفرنج فى  
٢٨ يناير سنة ٨١٤ لم يغير شيئاً فى العلائق التى بين العرب والفرنج  
الى سنة ٣١٥ فففىها فسخ الصلح الذى عقد بين الامتين فى سنة ٨١٢  
وعادت الخصومات بينهما الا ان عبد الرحمن والى اسبانيا الشرقية أرسل  
سفراء الى (لويس) الذى خلف أباه شلمان يطالبون منه اطالة زمن  
الصلح ثلاث سنين فقابلهم فى سنة ٨١٦ وبعد مطاولة أجاب طلبهم  
فى ٨١٧

قال ابن الاثير « وفى هذه السنة ( ٢٠٠ ) خرج خارجى من  
البربر بناحية مورور فاستدعى الحكم قائدا وأخبره بذلك سرا وقال  
له سر من ساعتك الى هذا الخارجى فأتنى برأسه والا فرأسك عوضه  
وانا قاعد مكاني هذا الى ان تمود فصار القائد الى الخارجى وقتله  
وأحضر عند الحكم رأسه فأحسن اليه ووصله وأعلى محله ( مورور

بفتح فسكون فضم )

ويؤخذ من رومي وكنندى ان الحكم كان لا يخرج من قصره  
زمن السلم مفوضا شؤون الحكومة الى ابنه عبد الرحمن مولما هو  
يمجالس اللهو والطرب والخمر في حدائقه بين غلمانته ونسائه اللاء كن  
يحسن الغناء وضرب آلات الموسيقى وكان هذا يلهيه عن أمور الدين  
وكان يغضب الفقهاء والعلماء منه رأيه في شرب الخمر وسفكه الدماء  
وجوره على الرعية فكرهه الناس لذلك ولاتقاء شرهم اتخذ حراسا :  
مائتي جندي يرابطون على شواطئ النهر بآزاء قصره في ثكنتين بنيتا  
لهذا الغرض وخمسة آلاف مملوك من الصقالبه منهم مائتا رجل وثلاثة  
آلاف فارس يحرسون ذاته خاصة وهؤلاء للماليك يخدمون في القصر  
وعند الحاجة يحملون السلاح ونفقات هؤلاء الحراس الجأت الامير الى  
ان يفرض على الاهلين رسوما يؤدونها على عروض تجارتهم المختلفة  
الداخلية في المدينة فامتلات صدورهم حنقا عليه وتندمروا وتوقف بعضهم  
عن اداها واهانوا الجباة فامر الحكم بالقبض على عشرة من المتوقفين  
ونشأ عن ذلك ضجيج وصخب في أنحاء المدينة وقضى عليهم قضاء  
صارما بان يصلبوا على اوتاد على شاطئ النهر ففعل بهم ذلك في ١٣  
رمضان سنة ٢٠٣ فهرع سكان الربض الجنوبي من قرطبة ليروا هؤلاء  
المصلوبين فضرب جندي أحدهم فرموه بالحجارة وهجموا عليه فجرى  
أمامهم مغطى بدمائه حتى احتسى في حرس المدينة وقد تهادوا في

الهيجان حتى انقضوا على الحرس وفرقوا شملده وصلوا الى قصر الأمير  
صارخين عليه ومهددين إياه

لما علم الحكم بأمرهم تسربل بسلاحه وهم بالنزول اليهم فاراد  
اختصاصه ان يمنعه فلم يسمع لهم قولاً فجمع فرسانه وركب في مقدمتهم  
وطرد المتجمهرين وكانوا عزلاً ففر كثير منهم الى مساكنهم وأوصدوا  
أبوابها عليهم ومن بقوا منهم في الشوارع اجتهدوا في ان يقاوموا فلم  
يفلحوا وقبض على ثلثمائة منهم فقتلوا ورميت أسلأؤهم بالقرب من  
النهر — وفي اليوم التالي أمر الحكم بتخريب أرباض قرطبة لاسيما  
الربض الجنوبي (١) وأباح نهب منازلها ثلاثة أيام خلا ان يمس  
النساء ضرر

وفي اليوم الرابع نودي في الناس بالامان على أن يهاجروا من  
قرطبة ففر كثير منهم الى قرى طليطالة ورحل منهم خمسة عشر الفا  
الى افريقية فأقام منهم ثمانية آلاف في المغرب والباقون ذهبوا الى  
مصر (٢) وقد اختاروا أبا حفص عمر بن شعيب البلوطي (٣) رئيساً  
لهم فمأصلوا الاسكندرية اعترض لهم أهالها ومنعهم الدخول لكنهم

---

١ كان هذا الربض يمتد على الشاطئ الايسر لنهر الكبير في جنوب  
قرطبة بازاء تنطرة السمح (٢) بروى ان الذين ذهبوا الى مصر كانوا خمسة  
عشر الفا خلا النساء والاطفال

٣ نسبة الى حفص البلوط أي بركة قلعة رباح

قَوَّوْهُمْ (١) ودخلوا المدينة عنوة وفتكوا بأهلها وتغلبوا على حكومتها فجاءهم عبد الله بن طاهر والى مصر من قبل المأمون وانفتقوا على الجلاء عن الاسكندرية على مال وسكنى جزيرة اقريطش (جريد اوكرت) التى كانت قليلة السكان وقتئذ فرحلوا اليها وتغلبوا على أهلها وحكموها مدة ١٣٨ سنة الى ان فتحها (ارماتاس) ابن امبراطور اليونان قسطنطين فى سنة ٣١٥ للهجرة (٩٦١ للميلاد)

هذه هي وقعة الرض الأخيرة وقد سبق كلام ابن الاثير وابن خلدون والمقرئ فيها

ولا يخفى ما فى روايتها من الاختلاف ومن أجازها اتبوا الحكم بالرضى وكنوه بابى العاص ومن هذه التسمية الأخيرة سماء الافرنج ابولاز ABULAZ

وفى سنة ٢٠٣ للهجرة (من يولييه سنة ٨١٨ الى يولييه سنة ٨١٩) وتاليها توجه عبد الرحمن الى حدود جليقية يقود جيوش ماردة فغزا النصارى وغابهم فى عدة منازعات ثم ذهب الى حدود الفرنج فأوقف سير غاراتهم على اسبانيا ورجع الى قرطبة سنة ٢٠٥ (٨٢٠ - ٨٢١) وعند مروره بطرجونه وجه السفن الراسية على شواطى اسبانيا هناك الى جزيرة سردينيا فقاتلوا نصاراها وأحرقوا أسطولهم أمام الجزيرة وقبضوا على ثمانى سفن تجارية لهم ورجعوا الى ساحل اسبانيا

أحدثت فظائع وقعة الرض تأثيراً سيئاً في عقل الحكم حتى  
مرض ومات في الخامس والعشرين من ذي الحجة سنة ٢٠٦ (١)  
بعد أن حكم ٢٦ سنة قرية و ١٠ أشهر و ١١ يوماً

قال ابن خلدون ( ناقلاً عن ابن الاثير مع تصرف ) توفي الحكم  
ابن هشام آخر سنة ست ومائتين لسبع وعشرين سنة من ولايته وهو  
أول من جند بالاندلس الاجناد المرتقة وجمع الاسلحة والعدد واستكثر  
من الحشم والحواشي واربط الخيول على بابه واتخذ المالك وكان يسميهم  
الخرس لعجمتهم وبلغت عدتهم خمسة آلاف وكان يباشر الامور بنفسه  
وكانت له عيون يطالعونه باحوال الناس وكان يقرب الفقهاء والعلماء  
والصالحين وهو الذي وطأ الملك لعقبه بالاندلس اهـ

— ٤ — عبد الرحمن الثاني ابن الحكم —

( من ٢٠٦ الى ٢٣٨ )

قبض عبد الرحمن على دفعة حكومة اسبانيا في السنين الاخيرة من  
حياة أبيه الحكم فلما مات هذا في الخامس والعشرين من ذي الحجة  
سنة ٢٠٦ للهجرة انتقل لقب الامارة العامة الى ابنه وكان ابن احدى  
وثلاثين سنة وثلاثة اشهر وستة ايام (٢)

١ في ابن الاثير انه مات لاربعم بقين من ذي الحجة سنة ٢٠٦  
٢ كسندى وروى وفيه نظر يقين مما يأتي أخيراً قال ابن الاثير ان عبد الرحمن  
ولد بطليلة أيام كان أبوه الحكم بتولاها لابيها هشام



يصفه بعض مؤرخيه بأنه كان اسمر اللون طويل القامة اقنى  
الانف أكل العين عظيم اللحية حازما ماهرا شجاعا على الهمة اديبا  
شاعرا عالما بالشريعة والفلسفة وأنه أول من شاد القصور الجميلة  
والمنتزهات ومهد الطرق واتى بالماء العذب الى قرطبة من الجبال وبني  
المدارس وشاد الجوامع وزاد في جامع قرطبة وكان محبا للعلماء والادباء ولم  
يكن في زمانه دار ملك كدار ملكه ابهة ومجدا وزاد حرسه الف فارس  
في أول ولايته ثار عليه عم أبيه عبد الله البلنسى ولم يطفىء برّد  
لحيته نار طمعه في ملك اسبانيا فعبر من طنجة بحجاز جبل طارق بقوة  
عظيمة قاصدا قرطبة مدّعا انه أمير اسبانيا ظاننا أن أولاده يمدّون  
اليه أيدي المساعدة وكانوا ثلاثة مرتقين الى مراتب سامية في الحكومة  
وهم قاسم وأصبن وعبيد الله فتقدم اليه عبد الرحمن وغلبه في عدة  
معارك حتى الجاء الى الفرار الى مدينة بلنسية فجاءها الجيش الغالب  
وحاصرها الى ان جاء ابن عبد الله قاسم وأصبن الى المعسكر وطالبوا  
العفو من الأمير عن أبيهما فعفا وصفح وتقابل عبد الرحمن وعبيد الله  
وزال الخلاف وولاه الأمير كورة تدمير مدة حياته وبعد سنتين مات  
عبد الله سنة ٢٠٨ ( ٨٢٣ ) وكان شيخا كبيرا ولد في الشام قبل  
دخول أبيه اسبانيا كذا يؤخذ من كندى ورومى وقال ابن الاثير  
« لما ولي خرج عليه عم أبيه عبد الله البلنسى وطمع بموت الحكم وخرج  
من بلنسية يريد قرطبة فتعجز له عبد الرحمن فلما بلغ ذلك عبد الله خاف

وضعت نفسه فرجع الى بلنسية ثم مات وقال ابن خلدون في هذا الموضوع « خرج عليه لاول ولايته عبد الله البلنسى عم أبيه وسار الى تدمير يريد قرطبة فتجهز له عبد الرحمن فقام عن اللقاء ورجع الى بلنسية ومات أثر ذلك » فيؤخذ من كلام هذين المؤرخين ان عبد الله لم يخرج على الامير من طنجة بل من بلنسية وانه لم تحدث معارك بين الفريقين وسبق ان الحكم اسكنه ضاحية بلنسية .

وفي السنة التالية لسنة الولاية ( ٢٠٧ ) حدثت الواقعة المعروفة بوقعة ( بالس ) ( ١ ) وسببها ان الحكم كان قد بلغه عن عامل البيرة المسمى ربيعا انه يظلم أهل الزمة وثبت الامر لديه فتبض على العامل وصلبه ومات الحكم اثر ذلك فجاء المظلومون الى قرطبة يطالبون رد الاموال التي ظلمهم فيها ربيع ظانين انها ترد اليهم ووقفوا بباب القصر وشغبوا فبعث اليهم الامير عبد الرحمن من يسكنهم فلم يقبلوا بل دفعوا من جاءهم فخرج اليهم الجند وأوقع بهم ونجا فلهم الى البيرة

في هذه الاثناء اغار كند ( ٢ ) برشونة على بلاد المساهين من وراء الثغر ( ٣ ) فخرّبوا وأحرقوا ونهبوا وعادوا متقلين بالغنائم ( ٨٢٢ )

١ يظهر أنها سميت بذلك لأنها وقعت أمام القصر واسم القصر بصفة الافرنج ( بالس PALAIS )

٢ أو كوت ويجمعه ابن الاثير على كنود وهو لقب رتبة من رتب الافرنج

٣ الثغر اسم نهر في اسبانيا يخرج من فرنسا من شق سردينيا على جبال البرانس ويصب في نهر ابرة

فجاء خبر ذلك الى عبد الرحمن عقب ان عقد الصالح مع عم أبيه في  
بلنسية وكان يريد ان يطلق سراح الجنود فأمسك وأرسل فريقاً منهم  
في المقدمة تحت قيادة عبد الكريم فقابل النصارى وهزمهم وحصرهم  
في برشلونه حتى جاء الامير بقواته العظيمة وأحرق بالمدينة ووالى  
المعجم عليها حتى فتحها (١) وأخلاها من العدو وأمر برم أسوارها  
ثم سار الى ارغل URGEL فأصابها ما أصاب اختها ثم طارد  
الافرنج حتى ألجأهم الى قلاعهم المقامة على الجبال ثم عاد الى قرطبة  
منصوراً سنة ٢٠٧ للهجرة (٢) (٨٢٢)

وفي هذه السنة نشأت الفتنة في كورة مرسية بين اليمانية والمضرية  
فاقتلوا بلورقة وكانت بينهم وقعة تعرف بوقعة (المصاراة) قتل فيها  
نحو ثلاثة آلاف رجل وكان الامير عبد الرحمن يرسل القواد الجيوش  
ليزيلوا الشقاق المستحكم بين الفريقين ويكفّوهم عن القتال فكانوا  
اذا جاء قائد الامير يسكنون واذا رحل عنهم يهجون الى الخصام  
وداموا على ذلك سبع سنين

وفي ربيع السنة التالية جاء من القسطنطينية الى قرطبة وفد من  
قبيل قيصر الروم ميخائيل الى الامير عبد الرحمن بهدية ثمينة من الخيل  
المطهمة المعجزة بعدد فاخرة لم ير لها في اسبانيا نظير فاستقبل الامير

(١) يستبعد روى فتح عبد الرحمن برشلونه ويعدّه كفتح لويس طرطوشه

(٢) هذه السنة تبديء في فبراير سنة ٨٢٢ وتنتهى في فبراير سنة ٨٢٣

هذا الوفد بالحفاوة والاحلال وقبل الهدية واطافهم في قصره فبلغوه  
أن القيصر يرغب ان يكون له خليفة على حزب المأمون خليفة بغداد  
وان هذا يسهل عليه تجديد ملك اجداده في الشرق فوعدهم الامير  
خيرا وغمرهم بالهدايا الجزيلة وأرسل معهم يحيى الغزال (١) من كبار  
أهل الدولة ومعه هدية برسم القيصر من أفراس الاندلس الرائعة  
الكريمة ومن سيوفها البتارة المصبوغة في معاملها الموشاة بالخلي الجميلة  
وكان يحيى فصيحاً شاعراً حكيماً ماهراً في فن الملاحظة

وفي السنة عينها (٢٠٨) أو في مبدأ السنة التالية جاء الى  
عبد الرحمن في قرطبة وفد من النصارى والجليين يدعونه الى التحالف  
وهم من البشكنس وحماهم على هذا ما اشيع من ان الفرنج سيغيرون  
على الجليين (سكان جبال البرانس) مدعين ان عصيانهم يتجدد  
دائماً وعلى اثر هذه الاشاعة اقسم النصارى على اهلاك هؤلاء القوم

---

١ كذا في التواريخ العربية ويسميه كندى (يحيى بن حكم الغزالي) وتبه  
رومى الا انه قال (ابن الحكم) ويؤخذ من تقييدات هذا انه سمي بالغزالي  
لانه كان ينظم شعر الغزل وانظر هل هذا الشاعر هو المعنى فيما يرويه ابن  
عذارى من «ان الغزال الشاعر دخل على الامير فقال الامير جاء الغزال بحسنه  
وجاله فقال له الوزير اجز مايدأ به الامير فقال

قال الامير مسدعاً بمقاله جاء الغزال بحسنه وجاله  
أين الجمال من امرئ أربى على متمدن السبعين من أحواله  
فان صح ذلك يكون ما أبداء رومى من علة التسمية وهم

الجرمانيين الذين هم وان كانوا نصارى مثلهم الا انهم على الدوام يقاتلونهم اكثر من الالندلسيين المسلمين وعلى هذا دعوا هؤلاء لمساعدتهم على عدو الفريقين فأجاب عبد الرحمن دعوتهم وحالفهم . وما كانت هذه الاشاعة التي حملت الجلبيين على ان يحالفوا الالندلسيين بدون أساس ففي أواخر سنة ٨٢٣ أمر ملك اكيثانه ان يجتاز جيش قوى الجبال تحت امرة قائدين يسميان (ايلوس ELUS) و (أرناريوس ARNARIUS) . وقتئذ كان المقصد من اجتياز الجيش غير معلوم هل كان محاربة العرب أو الجلبيين أو النصارى أو الينلونيين وقد علم بعد أن الجيش قصد بنبلونه فدخلها وقضى مأربه فيها ثم عاد فوقع في أيدي أعدائه

هنا لم يذكر المؤرخون السبب الذي اقتضى توجه جيش ملك الأكيثان الى بنبلونه وما هو المأرب الذي قضاه بها ويظهر ان الغرض كن اتخاذ المدينة مركزا حريا للاستيلاء على الأقوام المجاورين فقال دون ذلك ان سمع الجيش بتوجه العرب والبشكنس نحو الحدود فعاد مسرعا تاركا المدينة على ما كانت عليه

ذكر المؤرخون الالندلسيون ان ولاية الحدود في سنة ٢٠٩ للهجرة ( ٨٢٤ ) قاتلوا فرنج الجبال في عدة معارك دموية وغلبوهم وقتلوا كثيرا منهم في مضائق جبال البرت ومن تلك المعارك معركة ( برت شزر PORT-SCHAZAR ) التي هي ثغر بنبلونه فان العرب مزقوا

الفرنج فيها كل ممزق واخذوا قاداتهم اسرى الى قرطبة وغنموا غنائم واسعة . يظهر ان هذه المعارك هي المعنية في التواريخ العربية بغزوة البة والقلاع قال ابن خلدون ( نقلا عن ابن الاثير ) « في سنة ثمان ( ٢٠٨ ) أغزى عبد الرحمن حاجبه عبد الكريم بن عبد الواحد بن مغيث الى البة والقلاع فخرّب كثيرا من البلاد وانتسفها وفتح كثيرا من حصونها وصالح بعضها على الجزية واطلاق اسرى المسلمين وانصرف ظافرا » وقال ابن عذارى « وفي سنة ٢٠٨ كانت الغزاة المعروفة بغزاة البة والقلاع غزاها عبد الكريم بن عبد الواحد بالصائفة واحتل بالثغر وتوافت عليه عساكر الاسلام واختلفوا في الدخول على اى باب يكون الى دار الشرك ثم اجتمعوا على ان يكون من باب ( البة ) اذ كان ذلك الباب انكى للعدو واحسم لدائه فاقتحموا من فجّ يقال له جرنيق وكان وراءه بسيط للمدوّ فيه خزائنه وذخره فوقع اهل العسكر على تلك البسائط فاستصفوها وغلبت تلك الخزائن فانهبوها وانصرفوا غانمين ظافرين »

وفي سنة ٢٠٩ أرسل الامير عبد الرحمن الى حد ( الجوف ) (١)

---

١ يؤخذ من كندي ورومى ان ( الجوف ) في شمال اسبانيا لكن جاء في باقوت الجوف أرض مطمئة أو خارجة في البحر في غرب الاندلس مشرفة على البحر المحيط والجوف أيضا من النليم ( اكشونية ) من الاندلس وقال أيضا ( اكشونية ) مدينة بالاندلس يتصل عملها ببل اشبونة وهي غربي قرطبة

عبيد الله بن عبد الله البلنسى لان النصارى كانوا ابتدوا هناك فى شن الغارات وكان عبيد الله هذا قائد السيافه وقد أقامه الامير محافظا على هذا الحد فقاتل ( اذفُنش ) ورجح عليه حتى اضطره الى ان يلتجئ الى جباله وحصونه وغاد هو الى قرطبة ومعه كثير من الاسرى والغنائم فاستقبله الامير بالاجلال سنة ٢١٠ هـ

وبعد اشهر اعاده الامير الى قتال هؤلاء الاعداء أنفسهم فتوجه يقود الجيوش مشاة وفرسانا وبقي هناك سنتين

ما كانت حروب عبد الرحمن العديده عاتقة له عن تحسين قرطبة واعلاء حضارتها وجلب الماء الصافى من الجبال اليها فى انايب الرصاص وبناء الجسور على نهرها (١) وعن تشييد القصور والمدارس والجوامع ذات النافورات المرمرية فى قرطبة وغيرها من المدائن وعن ان يعيش ملكا منما فى قصره الباذخ مغمورا فى الترف والرفاهية يفيض بأعطياته على مهندسى مبانیه وشعرائه ومغنيه وجواريه وكانت تلجئه نفقات هذه الشؤون ونفقات الحروب الى فرض ضرائب باهظة على الاهلين حتى سخطوا وتذمروا من ذلك — وكان لنصارى المدائن العظيمة ارتباط بأهل أوروبا فان كثيرا منهم كانت تدفعهم رغبتهم فى التجارة الى السفر من اسبانيا الى بلاد الغال ( فرنسا الآن ) وجرمانيّا حتى الى جزيرة ( برتون BRETON ) فطنطنوا فى شكاويهم

من الامير الى الاوروبيين ففي سنة ٢١٣ ( ٨٢٨ ) جاء كتاب من (لويس) ملك الفرنج الى أهل ماردة يحرضهم على الثورة على الامارة (١) فصادف منهم صدورا حرجة من قسوة الشرطة في جبي الضرائب التي كانوا يسعونها بالزكاة فرفعوا لواء العصيان تحت امره محمود بن عبد الجبار الذي كان جاييا في عهد الحكم وفصل من وظيفته في مبدأ حكم عبد الرحمن لانه شهر نفسه في حزب خصمه عبد الله وهجموا على بيوت العمال ونهبوا وخرّبوا وفتكوا بهم وما نجا الوالى من القتل الا بالحرب من المدينة - في هذه الأثناء كان الامير يتأهب للرحيل الى الشمال الشرقى من اسبانيا ليغزو الفرنج ويردّ الى امارته حدودها القديمة التي كانت تمتد الى جبال البرانس فلما جاءه نبأ ثورة المارديين وقف عن السير وأمر والى طليطلة عبد الرؤوف بن عبد السلام بالتوجه الى ماردة لاطفاء نار الثورة فيها فلما بلغت جنوده هدموا أبنية ضواحيها ومنازل النزهة بها وأتلفوا بساكنيها فأغضب فعلمهم هذا الامير فكتب الى عبد الرؤوف يلومه وينهاه ان لا يزيد خسائر الأهلين وأنه إذا فتح المدينة لا يعامل أهلها بالقسوة . هذا وقد استمر حصار المدينة عدة أشهر ساءت فيها أحوال المحصورين وكان من بينهم نحو أربعين الف رجل مسلحين كان يدفعهم تلمس القوت الى نهب بيوت الغنى والتجارة فاجتمع رؤساء المسلمين المخلصين

---

(١) انظر نص الكتاب في تاريخ روى صحيفة ٤٤١ وما بعدها من الجزء الثالث



للإمارة وقرروا فيما بينهم ان يفتحوا أبواب المدينة لجيش الامير فبعثوا  
بستهة من شبانهم الى المعسكر ليعلموا القائد بالامر ويدعوه الى الدخول  
في ساعة معينة ليلا فدخل الجنود المدينة بدون معارض ولما أصبح  
الصباح تتبعوا العصاة في الشوارع وقتلوا منهم سبعة رجل وفرقوا  
شمل الباقين منهم ولم يؤذوا أحدا من الاهلين امثالاً لامر الامير -  
وبعد أيام نادوا في المدينة بالامان سنة ٢١٣ ( ٨٢٨ ) وقد فر  
رؤساء الثورة ومن بينهم محمود بن عبد الجبار والتجؤا الى جليقية .  
ما انتهت فتنة ماردة الا وابعثها ثورة طليطلة وكان يسكن هذه  
المدينة كثير من النصارى واليهود الاغنياء الذين هم وان كانوا خاضعين  
لحكومة الامير الا انهم أعداء للمسلمين ويريدون ان يلقوا نير حكمهم  
عن عاتقهم فكانوا يحدثون الفتن والقلاقل لاضطراب الحكومة  
وزعزعة اركانها ويسرهم حلول المصائب بها فثاروا وكان زعيم ثورتهم  
شاباً غنياً يهوى الانتقام يسمى هاشماً كان يحرض الأهلين على  
القيام على الوالى ويعطى في سبيل ذلك كثيراً من المال الى الفقراء  
حتى استمال بذلك أحراس قصر الولاية وهجم عليه هو وشيعته وقتلوا  
عماله ونهبوا جميع الاسلحة وكان الوالى ميسرة الفتى غائباً في قلعة رباح  
فاخبر عبد الرحمن بما بلغه من أمر الثورة فأرسل الامير ابنه أمية (١)  
ومعه فرقة من الفرسان لنجدة الوالى فلم ينالا غرضاً من هاشم بل  
(١) وقيل أمية بن الحكم وسألتى ابن الوليد بن الحكم يحاصر طليطلة ايضا

استمر عصيانُه نحو تسع سنين

في هذا الوقت كانت مدينة ماردة هادئة لحسن ادارة واليها عبد  
الرؤوف فانه كان يشغل ذوى البطالة باعمال تكسبهم أرزاقهم ويطارد  
الشاردين و يقيم الشرطة والعسس لاتقاء شر اجتماع المفسدين الذين  
لا يروق لهم الصيد الا في الماء العكر وأحراساً تحفظ المدينة من الطواريئ  
فبينما عبد الرؤوف يوطد دعائم السلام في المدينة اذ جاءه أمر الامير  
بالتوجه الى حصار طليطلة اذ قد مرت ثلاث سنين وقادة الامير لم  
يحلوا بطائل من تأثر بها الى أن جاءت سنة ٢١٧ (٨٣٢) ففيها تمكن  
أمية أن يحدق بهم بواسطة كمين اكمنه لهم على شواطىء نهر البرش  
وان يفتك بهم فتسكا ذريعا حتى كاد يستأصلهم قتلا وأجأ من قدّر  
الله نجاته منهم الى المدينة وفي السنة التالية حضر من ماردة عبد  
الرؤوف يقود قوة عظيمة فقاتل ثوار طليطلة وانتصر عليهم الا أنه لم  
يجن ثمر انتصاره

بعد أن فارق عبد الرؤوف ماردة عاد الناقون من الحكومة الى  
الثورة ودعوا محمد بن عبد الجبار وشيعته الى المدينة فدخلوها وهجموا  
على الحرس ونهبوا مخازن الاسلحة وقتلوا قائدين ولما بلغ الامير أمرهم  
أمر قواد تلك الكورة أن يحشدوا الجنود وينهبوا الى ماردة ثم  
حضر الامير نفسه وحرسه وقابل القواد والجنود المحشودة في مكان  
يسمى بعين الكبوش فأمر القواد بأن ينهبوا جنودهم الى ان من  
( ١٠ - تاريخ العرب في اسبانيا )

يحاربونهم هم أناس من دينهم فمن يهرب منهم أو يخضع لا يُعَدُّ عدواً  
فلا يُمَسَّ بأذى بل يكفي نزع سلاحه منه وأن القصاص لا يحلّ إلا  
على زعماء الثورة الذين لجؤوا أهل المدينة إلى حمل السلاح

لما وصل الأمير وجنوده إلى ضاحية ماردة أراد أن لا يدخلها  
سافكا الدماء فأمر كل جندي أن يساق في سهمه رقعة يكتب فيها  
« أن الأمير يعفو عن الثائرين إذا فتحوا أبواب المدينة ماعدا زعماء  
الثورة » وان يقدفوا بالسهم إلى المدينة ففعل الجنود ما أمروا به فلما  
قرأ الثائرون والمخلصون للأمير هذه الرقاع فتحوا أبواب المدينة وقد فرّ  
زعماء الثورة وفيهم محمود بن عبد الجبار فدخلها الأمير بحرسه وقابله  
الأهلون بالفرح والسرور

وثقام أياما أمر فيها وإلى الكورة المسمى عبد الله بن كليب  
باصلاح القلاع والأسوار وقد أشار بعضهم على الأمير بهدمها لئلا  
يعود السكان إلى العصيان فلم يكثرث الأمير بإشارته ووضع في القلعة  
الأصلية رقعة كتب فيها

بسم الله الرحمن الرحيم  
اللهم هب بركتك ووقايتك أمة أطاعتك

بني هذه القلعة وأسوارها في عهد ما كان الأمير بن الحكم  
(أيده الله) يحكم أمة تطيع الله عاملاً عبد الله بن كليب بن ثعلبة  
وخادمه جعفر بن محسن رئيس البنائين في ربيع الثاني سنة ٢٢٠

( ٨٣٥ ) ( ١ ) ومع هذا ما زالت نار الحرب مستعرة في طليطلة ثلاث سنين أخرى وحصارها شديد والثائرون يدافعون عنها بثبات غريب الى ان ألجأهم الجوع الى الخروج من المدينة لقتال جيوش ميسرة وعبد الرؤوف فسقط هاشم زعيم الثورة جريحاً فجيء به الى عبد الرؤوف فقتله في الحال ودخل المدينة سنة ٢٢٣ ( ٨٣٨ ) وأعلن الامان العام بناء على أمر جاءه من الامير وأخذ يصلح ما أفسدته أيدي الحداث ويوطد دعائم السلام وقد قلده الامير ولاية المدينة ودعا ميسرة الى قرطبة واتخذ وزيراً ( ٢ )

روى المؤرخون حوادث ماردة وطيطة بروايات مختلفة لا تخلو من التناقص

جاء في ابن الاثير في حوادث سنة ٢١٣ ان أهل ماردة قتلوا عامهم فثارت الفتنة عندهم فسير اليهم عبد الرحمن جيشاً فحصرهم وأفسد زرعهم وأشجارهم فعاودوا الطاعة وأخذت رهائنهم وعاد الجيش بعد أن خرب سور المدينة ثم أرسل عبد الرحمن اليهم بنقل حجارة السور الى النهر لئلا يطعم أهلها في عمارته ولما رأوا ذلك عادوا الى العصيان واسروا العامل عليهم وجددوا بناء السور واتقنوه فلما دخلت سنة ٢١٤ سار الامير في جيوشه الى ماردة ومعه رهائن أهلها فلما بارزها راسله

(١) كندى وروى

(٢) كندى وروى

اهلها وافتكوا رهايتهم بالعامل الذى اسروه وغيره وحصرهم وافسد  
بلادهم ورحل عنهم ثم سار اليهم جيشا سنة ٢١٧ فحصرها وضيقوا عليها  
ودام الحصار ثم رحلوا عنها فلما دخلت سنة ٢١٨ سار اليها جيشا  
ففتحها وفارقها اهل الشر والفساد وكان منهم محمود بن عبد الجبار  
فحصره عبد الرحمن فى جمع كثير من العجند وصدقوه القتال فهزموه  
وقتلتوا كثيرا من رجاله وتبعتهم الخيل فى الجبل فأفترقوا فقتلوا اسرا  
وتشريدا ومضى محمود فيمن سلم معه من اصحابه الى ( منى سالوط )  
فسير اليه عبد الرحمن جيشا سنة ٢٢٠ فهرب فجدت سرية فى طلبه  
فهزمها وغنم مامها ومضى لوجهته وقابلته سرية أخرى فنال منها ما نال  
من سابقتها وسار حتى وصل الى بلاد المشركين واستولى على قلعة  
لهم فأقام بها خمسة أعوام حتى حصره أذ فوئش ملك الفرنج ( الجلالقة )  
فملك الحصن وقتل محمودا ومن معه سنة ٢٢٥

وفى حوادث سنة ٢١٤ ان هاشما الضراب خالف بمدينة طليطلة  
وكان ممن خرج منها لما أوقع الحكم بأهلها فسار الى قرطبة ثم عاد  
فاجتمع اليه اهل الشر فأغار على البربر فاشتدت شوكتهم واجتمع له  
جمع عظيم وأوقع بأهل سنترية وكان بينه وبين البربر وقعت كثيرة  
فسير اليه عبد الرحمن جيشا فقاتله فلم يستظهر أحد الفريقين على الآخر  
فسير اليه عبد الرحمن جيشا كثيفا سنة ٢١٦ فلقبهم هاشم بالقرب من  
حصن سمسطا فاشتدت الحرب بينهم ودامت عدة أيام ثم انهزم هاشم

وقتل هو وكثير ممن معه من أهل الطمع والشر وطالبي الفتن وكفى  
الله الناس شرهم (واستمر أهل طليطلة على الخلاف)

وفي حوادث سنة ٢١٩ أن عبد الرحمن سير جيشا مع أمية بن  
الحكم إلى طليطلة فحصرها وكان أهلها قد خرجوا عن الطاعة فقطع  
أشجارهم وأهلك زروعهم فلم يدعنوا إلى الطاعة فرحل عنهم وأنزل  
بقلعة رباح جيشا عليهم ميسرة الفتى فلما أبعد خرج جمع كثير من  
أهل طليطلة لعلهم يجدون غفلة من ميسرة فينالون منه ومن أصحابه  
غرضا وكان ميسرة قد بلغه الخبر فجعل السكين في مواضع فلما وصل  
أهل طليطلة إلى قلعة رباح للغارة خرج السكين عليهم من جوانبهم  
ووضعوا السيف فيهم واكثروا القتل وعاد من سلم منهم منهزما إلى  
طليطلة وجمعت رؤس القتلى إلى ميسرة فلما رأى كثرتها عظمت عليه  
وارتاع لذلك ووجد في نفسه غيا شديدا فمات بعد أيام يسيرة وفيها  
أيضا كان بطليطلة فتنة كبيرة تعرف بملاحمة العراس قتل من أهلها كثير  
وفي حوادث ٢٢٠ « سير عبد الرحمن ملك الأندلس جيشا إلى  
طليطلة فماتلوا فلم يظفروا بها »

وفي حوادث ٢٢٢ أن جماعة من أهل طليطلة خرجوا سنة ٢٢١  
إلى قلعة رباح وكان بها عسكر لعبد الرحمن فاجتمعوا كلهم على حصر  
طليطلة وضيقوا عليها وعلى أهلها وقطعوا عنهم باقى مرافقهم إلى أن  
دخلت سنة ٢٢٢ فسير عبد الرحمن أخاه الوليد فرأى أهلها وقد بلغ

بهم الجهد كل مبلغ واشتد عليهم طول الحصار وضعفوا عن القتال فافتتحها قهرا وعذوة يوم السبت لثمان خلون من رجب وأمر بتجديد القصر على باب الحصن الذي كان هدم أيام الحكم وأقام بها الى آخر شعبان سنة ٢٢٣ حتى استقرت قواعدها وأهلها وسكنوا

وجاء في دوزي ما ترجمته . كادت الثورات لا تنقطع في مدينة ماردة فان نصاراها كان بينهم وبين لويس ملك الفرنج تراسل واستمر عصيان طليطلة عدة سنين فان الطليطالين بعد سنين قلائل منذ يوم الحفرة حصوا على استقالاتهم وهدموا قصر عمروس فاحتال الحكم على أخذ المدينة فظهر انه يريد غزو قطالونيا فتوجه الى مرسية وخيم بها معسكره ولما أبلغته عيونهم ان الطليطالين يظنون الآن أنهم يهيئون عن تهديد الامير حتى أنهم يهملون إحصاء أبواب المدينة ليلا نهض مسرعا اليها حتى جاءها ودخلها وهم غافلون فملكها بدون قتال وأحرق منازل القسم المرتفع منها وكان من بين هذه المنازل منزل شاب يسمى هاشما فجاء قرطبة وهو مدمم فاشتغل بالحداثة ثم عاد الي طليطلة وفؤاده مشتعل بحب الانتقام فكون له عصاة تمكن بها من طرد جند عبد الرحمن وشيعته ( ٨٢٩ ) وأخذ يجوب البلاد ينهب ويحرق قرى العرب والبربر حتى استفحل أمره وقويت عصيانه فأمر عبد الرحمن محمد بن بسيم محافظ الحدة ان يجمع هؤلاء المفسدين فلم يحل بطائل منهم واستمر هاشم سنة كاملة يعشو في البلاد فسادا بدون ان يناله قصاص الى ان

جاء المدد الى محمد ولامه الامير على تراخيه فهاجم الاشرار وكان له  
الغلب عليهم بعد معركة دامت أياما قتل فيها زعيمهم وتفرقوا ومع  
هذا استمرت طليطلة على استقلالها الى ان جاءت سنة ٨٣٤ فأرسل  
اليها عبدالرحمن ابنه أمية فحاصرها ولكن الطليطليين نجحوا في صد  
هجماته على المدينة فاضطر الى رفع الحصار عنها والعود الى قرطبة فلما  
رأى الطليطليون تباعد جيش العدو عنهم عزموا على ان يتحرشوا  
به ولكن أمية ترك في قلعة رباح جيشاً تحت أمره ميسرة فلما علم  
هذا بمقصد الطليطليين أكن لهم كميناً فلما جاؤا أحرق بهم الكمين  
واثنى فيهم حتى قتل منهم كثيراً وقدم العسكر رؤس القتلى الى قائدهم  
فارتاع من رؤيتها وحزن على ابناء أمته ومات بعد أيام فأن ميسرة  
هذا كان من الاسبان الذين ارتدوا عن النصرانية ( كهاشم )

لما اتحدت كلمة الطليطليين امكنهم ان يحافظوا على استقلالهم  
بضع سنين وان كان الامير في خلالها انزل بهم الكوارث فلما زال  
الوفاق من بينهم سهل على الامير قنصهم . لا ندري ما الذي حصل  
في المدينة ولكن الحوادث التي طرأت فيما بعد حملتنا على الظن  
بوقوع الخلف بين مسلميها الاسبان والنصارى فان رئيسا يسمى ابن  
مهاجر ( ١ ) ترك المدينة هو وحزبه سنة ٨٣٦ قاصدين قلعة رباح  
لينضموا الى قائدها ويساعدوه على فتح المدينة واتفقوا جميعاً على ان



يضيقوا دائرة الحصار عليها ويمنعوا عنها الميرة فحاصرها الوليد بن الحكم سنة حتى أضرها الجوع وجاء أهلها رسول من قبل القائد ينصحبهم بان يسلموا طوعا ويغتنموا وقتاً يخول لهم وضع شروط للتسليم والّا عما قريب يسلمون كرها فرفضوا وعاد الرسول وأخبر الوليد بضعفهم وحالتهم السيئة وواعجله على الهجوم عليهم بشدة فهجم فسقطت المدينة في ١٦ يونيه سنة ٨٣٧ بعد ان استقلت نحو ثمانى سنين

يؤخذ من روى انه بعد اخذ طليطله بقليل اخذ العرب يقتاتلون نصارى الشمال فان هؤلاء آووا العاصى محمد بن عبد الجبار عند زكبته الاولى وربما مدّوا اليه يد المساعدة في ثورة ماردة الاخيرة فكان هذا سببا في الحرب فقد أغار جنود ماردة وبطايوس واشبونه (لسبونة) سنة ٨٣٨ على أرض جليقيه وحاربوا ملكها أذفونش فكان الفوز لهم وقيل كان الفوز له (١) ومهما يكن من الامر فان محمد بن عبد الجبار فرّ من انتقام عبد الرحمن فأواه أذفونش واسكنه ورفقائه جليقيه في ارض قريبة من منينة (لوغو LUGO) فما كان من النزيل بعد اقامته ثمانى سنين الا ان رأى في استطاعته ان يشور على من اكرم مثواه ويؤسس امارة مستقلة في جليقيه و أما التحالف السرى الذى يتوهم حصوله بين عبد الرحمن وابن عبد الجبار على أذفونش فيجب

---

(١) فى كندى ان أهل ماردة وبطايوس واشبونه حاربوا مدائن جليقية وحاربوا ملكها أذفونش

أن يدرج في عداد الخرافات التاريخية التي كثرت في التواريخ  
الاسبانية الجديدة . فابتدأ ابن عبد الجبار منازعاته بالاستيلاء على  
قصر ( سنت كريستين SAINTECHRISTINE ) على بعد  
فرسخين من لوغو وتحصن فيه وكان يأمل ان يكون حصنا يستطيع  
منه ان يستولى على البلاد - هنا يغالى المؤرخون الاسبانيون في عدد  
جيشه فيقولون انه يبلغ ٥٠ الفا ويقصون علينا مع العجب انتصار  
أذفونش على هذا العدد الكثير والذي يظهر انه حقيقى ( أن أذفونش  
لما بلغه قيام ابن عبد الجبار جاءه وهاجمه وغلبه وقتله واستولى على حصنه )  
وفى هذه الاثناء ابتدأت الحرب فى اقليم ( قوطيه GOTHIE )  
الشامل أرض سبتمانيا وكورة برشلونه وقد ساعدت الظروف جيش  
الامير فانتصر وذلك انه فى سنة ٢٣٤ ( ٨٣٨ ) امر الامير عبد الرحمن  
والى سرقسطه ان يجمع الجنود من اسبانيا الشرقية ويسرع بها الى  
أرض الفرنج فشن عبيد الله بن عبد الله البلنسى (١) وابن عبد الكريم  
الغارات على هذا الاقليم مدة سنتين بجيوش جرارة وأغار موسى  
والى تطيلة على سردانيا وأنزل بها النوائب وقامت سفن عربية من  
طرجونه وأمدتها سفن أخرى خرجت من موانئ جزائر ( ميورقه )  
واتجهت كلها الى شواطئ ( مرسلية ) ونهبّت ضواحيها واستولت

---

(١) يظهر ان ابن البلنسى كان والى سرقسطه

على كثير من خيراتها وأسرت كثيرا من أهلها (١) في هذا الوقت  
جاء قرطبة من القسطنطينية سفراء من قبل ملك الروم ( تيوفيل  
THEOPHILE ) يطلبون المساعدة على المعتصم خليفة الشرق  
فاستقبلهم الأمير بصدر رحيب واكرم مشاومهم وكتب الى الملك  
يخبره انه متى خلاص من الحروب الداخلية يرسل اليه سفنه لتساعده  
ثم غمرهم بالعطايا وصرفهم

يذكر مؤرخو الافرنج ان وفدا جاء قبيل ذلك الزمن من قبل  
المأمون الى لويس ملك الفرنج بهدية من المنسوجات والعطور  
وفي سنة ٨٤٠ للميلاد مات لويس ملك الافرنج في المانيا  
وعقب موته انفجر الشجار بين ولديه ( بين PEPIN ) و ( كرلوس  
CHARLES ) ويظهر أن كونت برشلونه المسمى ( برنار ) دخل  
في حزب الاول سراً وساعده على ان يستقل في امارته عن أخيه  
وقد علم هذا بذلك فدعا ( الكونت ) اليه بعد أن عقد الجمعية العمومية  
في ( طلوشه ) وقتله بيده (٢) فقام غليوم بن برنار لينتقم من قاتل  
والده وكان له حزب كبير فهجم أولا على ( ألدرا ALDERAM )  
كونت برشلونه الذي عيّنه الملك خلف ابيه وليتحقق من نجاح ثورته

---

١ يظهر أن الغرض من هذه الحروب كان يرمى الى كسب الاموال اكثر  
من فتح البلاد فان الضرورة كانت تدفع العرب من وقت الى آخر في ظروف  
معينة الى ان يدّخروا النفقات لقتال اعدائهم المجاورين ( ٢ ) انظر روى  
صحيفة ٤٧٣ ج ٣

دعا أمير قرطبة الى مساعدته وكان يقاتل باسم ( بين ) المعزول فلجى  
الامير دعوته وثار ( البشكنس ) على كرلوس أيضا فاتقدت نيران  
الثورات بين برشلونه وبنبلونه ( اى فى اقليم قطلونيا ) فى السنة  
الخامسة والاربعين من القرن التاسع الميلادى وجاءت جيوش الأمير  
بناء على دعوة غليوم ودخلت فى غمار هذه الثورات التى استمرت  
الى سنة ٨٤٧ فان الصلح عقد فى هذه السنة بين الملك كرلوس  
والامير عبد الرحمن واعقب ذلك خمود نار القتال ومع هذا قد استولى  
غليوم على برشلونه وامبرياس سنة ٨٤٨ ولكن لم تدم مدة حكمه  
فان أحزاب ( ألديام ) قاموا فى السنة التالية على غليوم وقتلوه  
واعادوا الولاية الى زعيمهم

قلنا ان جيوش الامير دخلت فى غمار الثورات فى قطلونيا  
ولزيادة البيان نقول - ان جيشين من المسلمين اجتازا نهر ( ابره )  
أحدهما تحت قيادة والى سرقسطة ابن البلنسى وقد أغار على الاقاليم  
السفلى من جبال البرانس واستولى على قلاع كثيرة والآخر تحت أمره  
عبد الكريم وقد اتجه نحو برشلونه وأحرق بها وكان بها كثير من  
اليهود فساعدوا الجيش على تسليمها واقتنى الجيشان آثار اعدائهما فى  
مضايق الجبال حتى ارض الفرنج قال رومى ما كان يتوقع ان يخرج  
برشلونه من قبضة المسلمين بعد هذه المرة ولكن دل تاريخ الفرنج  
فما بعد على انها عادت الى حكمهم واقول يظهر ان السياسة قضت

على الامير عبد الرحمن بان يقبل مخالفة غليوم على ان يكون هذا والى  
برشلونه تابعا لامارة الاندلس وان المسلمين بعد اخذها هذه المرة  
سلموا مقاليدها لخليفهم وان الصلح بين العرب والفرنج عقد على  
ذلك لكن كرنوس أوعز الى حرب ( الدرام ) ان يقتلوا غليوم  
ويستردوا المدينة ونشأ عن هذا فسخ عقد الصلح بين العرب والفرنج  
سنة ٨٥٠ ( ٢٣٦ ) قال ابن الاثير في حوادث ٢٣٦ « غزا جيش  
بالاندلس بلاد برشلونه فقتلوا من أهلها فأكثروا واسروا جمعا غفيرا  
وغنموا وعادوا سالمين » - وفي اثناء ما كانت رحى الحرب دائرة في  
اقليم ( قوطية ) كان اسطول الامير يحدد غاراته على ولاية ( پرتسا  
PROVENCE ) ( ١ ) فنهب واحرق ضواحي مرسلينا الجنوبية  
ويظهر انه اكتفى بذلك بدون ان يحتل البلاد التي دخلها . ارتجفت  
أوروبا من فوز جنود العرب في اقليم ( قوطية ) ومن نجاح اساطيلهم  
في غاراتها على جزائر وشواطئ ( الغال ) الجنوبية وقد اتسمت دائرة  
هذه الاساطيل في تلك الايام وكثر الخوف من اعتدائها فاخترق  
بعضها غير مرة بحر الادرياتيک وبحر الشام واجترأت احدى سفائنهم  
مرة على اجتياز رأس ( كورونيه COROGNE ) ( ٢ ) وشقت  
عباب المحيط المظلم حتى دخلت جزيرة ( أوية OYE ) من برطانيه

١ بروفسا ولاية تدبسة في الجنوب الشرقي لفرنسا حاضرتها ( اكس

AIX ) ( ٢ ) في الشمال الغربي من اسبانيا

عند مصب نهر اللوار وهذا ذتها وما تهقرت الا من فزع لا يعلم سببه  
فينتج من ذلك ان مسلمي الاندلس كان لهم السيادة على البحر  
المتوسط ( ١ )

ساقطنا حوادث العرب والفرنج الى سنة ٨٥٠ ولكن نرجع الى  
الوراء لنذكر ما فاتنا من الحوادث الأخرى فنقول

في سنة ٣٣٩ ( ٨٤٣ ) جاء على شواطئ اشبونه اربع وخمسون  
سفينة تقل كثيرا من أقوام متوحشين جاءوا من البلطيق وشواطئ  
النروج يعرفون عند الاوروبيين بالنورمان NORMANS OU  
NORMANDS OU NORTHMEN أى رجال الشمال ويعرفون  
عند العرب بالماجوج ( ٢ ) وكتب التاريخ العربي في هذا الموضع تحرف  
اللفظ الى ( مجوس ) ( ٣ ) فهموا البلاد وقتلوا العباد واحرقوا المدائن  
فاجتمع المسلمون وحملوا السلاح وجاءوا ليدفعوا غائلتهم فأوهم ركبوا  
السفن بغنائمهم واحتفوا ثم نزلوا في شاطئ ( الغرب ) ( ALGARVE )  
ويظهر أنهم لما اجتمعوا عند مصب النهر الكبير انقسموا أقساما : قسم  
توجه الى أفريقية وقسم تقدم الى قادس ثم الى شدونة والقسم  
الثالث دخل النهر وصعد نحو اشبيلية في ٨ المحرم سنة ٢٣٠ ( ٢٥ )

---

١ روي من ٤٧٧ و ٤٧٨ ج ٣

٢ جاء في كتب التفسير ان بعض اخبار اليهود ذكر ان ياجوج ومأجوج  
في منتهى الشمال حيث لا يستطيع احد غيرهم السكنى فيه ٣ يبعد ان يكون  
المراد عبدة النار

سبتمبر سنة ٨٤٤) وكانوا يهيمون القرى التي على الشاطئين ويمأون سفنهم بالنهاب وقد ملأوا سكان الشواطئ رعباً حتى فروا من وجوههم ولما وصلوا الى جزيرة قبيل (١) قابلتهم جنود العرب المجتمعة هناك وحاربهم فغلبوها ثم نهبوا اشبيلية وكان السكان قد اخلوها وفرّوا الى قرمونة ومحاصروا في طلياطة (٢) فلما جاء الما جوج اليهم غلبهم مسامو هذه المدينة وفي ثاني عشر هذا الشهر عادوا ان الأمير ارسل خمس عشرة سفينة تقل جيوشاً لنجدة لتصدّهم عن المرور في النهر فانسحبوا واختفوا في المحيط وعادوا الى شواطئ المغرب وقد امر عبد الرحمن جنود ماردة وشنترين وقلمرية بالتوجه لمراقبتهم والمحافظة على السواحل ولكنهم كانوا فعلوا افاعيلهم قبل ان تجتمع هذه الجنود. في هذه الاثناء أخذ عبد الرحمن في السير وتحت أمرته فرسانه ليساعدوا اشبيلية فلما حضر وشاهد ما تلفته أيدي هؤلاء البربر المتوحشين بدون ان يقابل منهم أحداً حزن وأمر باصلاح الفاسد ورتق فتوق التلف (كذا يؤخذ من كندى مروي) وفي تاريخ ابن الاثير ان عسكر الأمير قاتلوهم وقتلوا منهم سبعين رجلاً وهزمهم حتى دخلوا مراكبهم وسير الأمير جيشاً آخر واتاه المدد من كل ناحية فخرج اليهم المجوس وقتلوهم فكاد المسلمون يهزمون ثم ثبتوا وهزموا مقاتليهم الى مراكبهم وقتلوا منهم

١ هكذا اللفظ في تاريخ ابن عذارى وفي التواريخ الافرنجية CABTAL  
(٢) في معجم ياقوت طلياطة ناحية بالاندلس من اعمال استجة قريبة من قرطبة

خمسائة رجل واخذوا منهم أربعة مراكب واحرقوها بعد ان اخذوا ما فيها ثم خرج المجوس الى كَبَلَّةَ فاصابوا سبياً ثم نزلوا جزيرة قوريس (قورة) وقسموا ما كان معهم من الغنيمة فحصى المسلمون ودخلوا اليهم في النهر وقتلوا منهم رجلين ثم رحل المجوس فطرقوا شدونه فغنموا اطعمة وسبياً ثم وصلت مراكب عبد الرحمن الى اشبيلية فلما أحس بها المجوس لحقوا بلبله فاغاروا وسبوا ثم لحقوا باكشونيه ثم مضوا الى باجه ثم انتقلوا الى اشبونه ثم ساروا وانتطع خبرهم عن البلاداه واتقاء لما يطرأ من قبيل هذه الحوادث أمر الأمير بانشاء سقائن في قادس وقرطاجنه وطرغونه لتحفظ الشواطئ وناط ذلك بابنه يعقوب وأمر ان ينشأ في كل نقطة حربية محل للبريد يرأسه قائد ويتبعه فرسان ينقلون أوامر ومراسيم الحكومة بسرعة

وجاء في المقرئ وابن عذارى أن الأمير بعث في سنة ٢٣١ عساكره تحت امرة ابنه محمد الى جليقية فدوخواها وحاصروا مدينة ليون ورموها بالمجانيق فهرب اهلها فغنم المسلمون ما فيها وأحرقوها وارادوا هدم سورها فلم يقدروا لأن عرضه كان سبعة عشر ذراعاً فثلثوا منه ثلثة ورجعوا

وجاء في المقرئ ان الأمير اغزى حاجبه عبد الكريم في العساكر الى بلاد برشلونه فعاث في نواحيها واجتاز الدروب التي تسمى البرت الى بلاد الفرنجة فدوخوا قتلوا واسرا وسبوا وحاصروا مدينتها العظمى



جرنده وعات في نواحيها وقفل ( ١ )

وفي سنة ٢٣٢ اصاب الاندلس جمد عظم أرضها عن انبات القمح والشعير وأبيس الكروم والاشجار المشجرة واهلك الناس والدواب ظمًا وفوق ذلك البلاء المبين حلّ بأرضها جراد جردها من الزرع فأشدت المجاعة حتى اضطرت عددا عظيما من الانداسيين أن يهاجروا الى افريقية فان وسق ( ٢ ) الحنطة كان يباع في المغرب بثلاثة دراهم ودام هذا الحال الى السنة التالية حتى اعفى الامير الناس من العشور التي كانوا يؤدونها كل سنة وفتح للفقراء أبواب العمل والكسب ليقتاتوا من اجورهم فقد شغلهم ببناء مساجد ومدارس وقصور وحدائق في مدائن اسبانيا وبناء رصيف النهر في قرطبة وبانشاء حياض ماء مرمرية فوقه للسقاية وبعمل سقائف فوق الرصيف وبوضع انابيب رصاص ليجرى فيها الماء من الجبال الى المدن ( ٣ ) وغير ذلك من الاعمال النافعة وقد بلغت قرطبة في عهد عبد الرحمن مبلغا من الحضارة والعظمة لم يعهد من قبل

وفي سنة ٢٣٤ وجه الامير ثلثمائة سفينة تقل الجنود الى غزو أهل جزيرة ميورقة لنقضهم العهد واضرارهم بسفن المسلمين التي كانت تمر بهم

---

( ١ ) هذه الغزوة هي عين النزوة التي وقعت عقب دعوة غليوم للامير عبد الرحمن كما سبق فان سنة ٢٣١ توافق ٨٤٥ فتنبه « ٢ » السوق حمل بعير وقيل ستون صاعا « ٣ » كندى

ففتحوا أكثر جزائرهم (١)

وفي سنة ٢٣٥ ورد إلى الأمير كتاب من أهل ميورقة ومنورقة  
يذكرون ما نالهم من نكاية المسلمين فكتب إليهم كتاباً منه (أما  
بعد فقد بلغنا كتابكم تذكرون فيه أمركم واغارة المسلمين الذين  
وجهناهم إليكم لجهادكم واصابتهم ما أصابوه منكم من أرواقكم وأموالكم  
والمبلغ الذي بلغوه فيكم وما أشقيتم عليه من الهلاك وسألتكم التدارك  
لأمركم وقبول الجزية منكم وتجديد عهدكم على الملائمة للطاعة والنصيحة  
للمسلمين والكف عن مكروهم والوفاء بما تحملونه عن أنفسكم  
ورجونا أن يكون فيما عوقبتم به صلاحكم ويمنعكم عن العود إلى مثل  
الذي كنتم عليه وقد أعطيناكم عهد الله وذمته. (٢)

وفي سنة ٨٥٠ للميلاد مات (رامير) (٣) ملك استوريا وخلفه  
ابنه (أردن) ولم يحدث موته انقلاباً في سياسة الصلح الذي كان بين  
المسلمين ونصارى الشمال.

وفي سنة ٢٣٧ ادعى النبوة رجل من المعلمين بشرق الأندلس  
وتأول القرآن على غير تأويله فتبعه فريق من الغوغاء وكان من شرائعه  
النهي عن قص الشعر وتقليم الأظافر فبعث إليه يحيى بن خالد عامل  
ذلك البلد فأتى به وكان أول ما خاطبه به أن دعاه إلى اتباعه فأمره

(١) كندى (٢) كندى (٣) روى ويسميه ابن الأثير رذمير

العامل بالتوبة فامتنع فصلبه (١)

وفي سنة ٢٣٨ توفى الامير عبد الرحمن بن الحكم ليلة الخميس  
لثلاث خلون من ربيع الآخر (٢) فتكون مدة حكمه احدى وثلاثين  
سنة قمرية وثلاثة أشهر وستة أيام

## زنايات

الاولى - يصفه بعض المؤرخين بانه كان عالما بعلوم الشريعة  
والفلسفة وكانت أيامه أيام هدم وسكون وكثرت الاموال عنده واتخذ  
القصور والمتنزهات وجاب الماء اليها وجعل له مصنعا اتخذه الناس  
شريعة وزاد في جامع قرطبة رواقين ومات قبل ان يتمه فاتمه ابنه  
محمد بعده وبني بالاندلس جوامع كثيرة ورتب رسوم المملكة

(١) عن ابن الاثير وابن عذارى (٢) اتفق ابن الاثير وابن خلدون والمقرئ  
وابن عذارى على ان وفاة عبد الرحمن بن الحكم في ربيع الآخر سنة ٢٣٨ وعين  
الاخير ليلة الوفاة وزاد المقرئ ان مولده بظليطة في شعبان سنة ١٧٦ فعلى  
هذا لم يتم السنة الثانية والستين ويقول كندى وروى انه مات في آخر يوم من  
صفر سنة ٢٣٨ (١٩) اغسطس سنة ٨٥٢ وانه عاش ٦٥ سنة وثلاثة أشهر  
( يقول كندى ٣ أيام وروى ٦ أيام ) ويقول كندى ان مدة حكمه ٣١  
سنة و٣ أشهر و٦ أيام ويقول روى ان هذه المدة تتجاوز ٣١ سنة بقليل  
وكلامهما هنا لا يلتئم مع ما سبق لهما من ان عبد الرحمن يوم التولية كان ابن  
٣١ سنة و٣ أشهر و٦ أيام كما لا يخفى على الحاسب

واحتجب عن العامة

الثانية ذكر بعضهم ان وزراءه كانوا تسعة رزق كل واحد منهم ثلثائة دينار كل شهر وقضائه احد عشر وان عدد اولاده بلغ ٤٥ من الذكور و ٤١ من الاناث وان مال الجباية انتهى في ايامه الى الف الف في السنة وكان قبل لا يزيد عن ستمائة الف (١) وكان يجتمع في مجلسه العلماء والشعراء ويفضل من بينهم عبد الله بن شعر ويحيى الغزال الذى سافر الى القسطنطينية واختلط بملوك الروم وعرف عاداتهم وآدابهم .

الثالثة - ممن كان له حظوة وجاه عند الاسير عبد الرحمن الفقيه يحيى بن يحيى الليثى والمفتى على بن نافع الملقب بزرياب والاميرة طروب ونصر الخصى

فالفقيه يحيى رحل من الاندلس الى الشرق وروى الموطأ عن مالك بن انس يحكى انه بينما هو في مجلسه مع جماعة من اصحابه اذ قال قائل حضر الفيل فخرج اصحاب مالك كلهم ولم يخرج يحيى فقال له مالك مالك لم تخرج وليس الفيل في بلادك فقال انما جئت من الاندلس لا نظر اليك واتعلم من هديك وعلمك ولم أكن لأنظر الفيل فأعجب به مالك وقال هذا عاقل الاندلس - ولما عاد الى الاندلس نشر مذهب مالك في تلك الديار وكان مكينا عند

السلطان مقبول القول في القضاة وكان لا يلي قاض في أقطار الاندلس  
الا بمشورته واختياره على ان يحجي لم يل قضاء قط ولا أجاب اليه  
وكان ذلك زيدا في جلالة وكان ممن اتهم بالتهبيج في وقعة الرابض  
المشهوره ففر الى طليطلة ثم استأمن فكتب له الامير امانا وانصرف  
الى قرطبة وعاش في زمن اماره عبد الرحمن الى ان مات سنة ٢٣٤  
والمغنى زرياب وفد على الاندلس من الشرق وكان تلميذا لاسحاق  
الموصلى ببغداد ويحكى ان الرشيد طلب من اسحاق مغنيا غريبا مجيدا  
للصنعة فذكر له تلميذه هذا وقال انه مولى لكم وسمعت له نزعات  
حسنة ونغمات رائعة ملتاطة بالنفس وأحدس ان يكون له شان فقال  
الرشيد هذا طلبتي فأحضرنه فأحضره فلما كمله الرشيد أعرب عن  
نفسه باحسن منطق وأوجز خطاب وسأله عن معرفته بالغناء فقال  
نعم أحسن منه ما يحسنه الناس واكثر ما أحسنه لا يحسنونه مما  
لا يحسن الا عندك ولا يدخر الا لك فان اذنت غيتك ما لم تسمعه  
اذن قبلك فأمره بالغناء فأخذ العود وغناه

يا ايها الملك الميمون طائره هارون راح اليك الناس وابتكروا  
فأتم النوبة وطار الرشيد طربا وهاج اسحاق من داء الحسد  
ما غلب على صبره فخلا بزرياب بعد الانصراف من مجلس الخليفة  
وقال يا على ان الحسد اقدم الادواء وادواها والدنيا فتانة والشركة  
في الصناعة عداوة وقد مكرت بي فيما انطويت عليه من اجادتك وعلو

طبقتك وعن قليل تسقط منزلقى وترتقى انت فوقى وهذا مالا اصحابك  
عليه فتخير فى ثنتين لا بد لك منهما اما ان تذهب عنى فى الارض  
العريضة لا اسمع لك خبرا وأنهمضك لذلك بما أردت من مال وغيره -  
واما ان تقيم على كرهى ورغمى مستهدفا الىّ فخذ الآن حذرك منى  
فلست والله ابقى عليك ولا ادع اغتيالك باذلا فى ذلك بدنى ومالى  
فاقض قضاءك - فاختار زرياب الرحيل واعانه اسحاق على ذلك  
سريعا وراش جناحه فرحل ومضى الى المغرب - وامّ امير الاندلس  
الحكم وكتب اليه يسأله الاذن فى الوصول اليه ويعلمه بمكانه من  
الصناعة فسر الحكم بكتابته وأرسل فى طلبه فسار زرياب نحوه بعياله  
وركب بحر الزقاق الى الجزيرة الخضراء فلم يزل بها حتى توات عليه  
الاخبار بوفاة الحكم فهم بالرجوع الى العدو فكان معه منصور  
اليهودى المغنى رسول الحكم اليه فتناه عن ذلك ورغبه فى قصد  
القائم مقام الحكم وهو عبد الرحمن ولده وكتب الى هذا بنخبر زرياب  
بجاءه كتاب عبد الرحمن يذكر تطالعه اليه والسرور بقدمه عليه  
وكتب الى عمّاله على البلاد ان يحسنوا اليه ويوصلوه الى قرطبة  
وامر خصيّا من اكبر خصميّاته ان يتلقاه ببغال وآلات حسنة فدخل  
هو وأهله البلد ليلا وانزله فى دار من احسن الدور وحمل اليها جميع  
ما تحتاج اليه وبعد ثلاثة ايام استدعاه وكتب له فى كل شهر بمائتى  
دينار راتبا وأن يجرى عل بنيه الاربعة عشرون دينارا لكل واحد

منهم كل شهر وأن يجرى على زرياب من المعروف العام ثلاثة آلاف دينار منها لكل عيد الف دينار ولكل مهرجان ونوروز خمسمائة دينار وأن يقطع له من الطعام العام ثلثمائة مدين (١) ثلثاها شعير وثلثها قمح وأقطع له من دور قرطبة وبساتينها وضياعها ما يقوم باربعين الف دينار ثم استدعاه وسمع غناؤه فاستهواه واطرح كل غناء سواه وأحبه حباً شديداً وقدمه على جميع المغنين وذاكره في أحوال الملوك وسير الخلفاء ونوادير العلماء فحرك منه بحرا زخراً عليه مدته فأعجب الأمير به وراقبه ما أورده وكان زرياب عالماً بالنجوم وتقويم البلدان حافظاً لعشرة آلاف مقطوعة من الأغاني بالخانها

وقد جمع الى خصاله هذه كثيراً من ضروب الظروف وفنون الأدب ولطف المعاشرة وحوى من آداب المجالسة وطيب المحادثة ومهارة الخدمة الملوكية ما لم يحويه أحد من أهل صناعة حتى اتخذته ملوك الأندلس وخواعصهم قلوباً فيما سنه لهم من آداب واستحسنه من اطعمته فمن ذلك انه دخل الى الأندلس وجميع من فيها من رجل وامرأة يرسل جمته مفروقاً وسط الجبين عاماً للصدغين والحاجبين فلما عاينوا تحديقته هو وولده ونساؤه لشعورهم وتقصيرها دون جباههم وتسويتها مع حواجبهم وتدويرها الى آذانهم واسدالها الى اصداعهم هوت اليه أفئدتهم واستحسنوه . وهو أول من اجتنى بقلة الملايون المسماة

---

١ الذي كقول مكيا يسمى تسعة عشر صائناً وهو غير المد الذي هو ربيع صاع

بلسانهم الاسفراج ASPERGE ولم يكن اهل الاندلس يعرفونها قبله  
واخترع لهم بعض ألوان من الاطعمة لا تزال منسوبة اليه ومما أخذوه  
عنه تفضيله آنية الزجاج الرفيع على آنية الذهب والفضة وإيثاره فرش  
انطاع الاديم اللينة الناعمة على ملاحف الكتان واختياره سفر الاديم  
لتقديم الطعام فيها على الموائد الخشبية اذ الوضر يزول عن الاديم  
باقل مسحة ولبسه كل صنف من الثياب في زمانه الذي يليق به وخلف  
أولادا خلفه كبيرهم في صناعته وحظوته

وأما الاميرة طروب فهي إحدى حظيات الامير وكان يحبها جدا  
يحكى انه أغضبها فهجرتة ولزمت مقصورتها فاشتد قاقه لهجرها  
وجهد ان يرضاها بكل وجه فاعياه ذلك فأمر بسد باب المقصورة  
من خارجه ببدر المال وأقبل حتى وقف بالباب وكلها مسترضيا راغبا  
في المراجعة على ان لها جميع ما سدد به الباب فاجابت وفتحت فأنهالت  
البدر في بيتها واكبت على رجل الامير تقبلها وحازت المال (١)

واما نصر الخصى فكان اسبانيا قائما بشؤون القصر (على ما يظهر)  
يحكى أن طروب ارادت ان يخلص ملك اسبانيا لابنها عبد الله بعد  
أبيه الامير عبد الرحمن ممان ابنه محمدا كان ولي عهده فأطلعت نصرا  
على سرها فوعدها بما يشفي فؤادها وبرى ان يسم الامير وولى عهده  
وطلب من الطبيب ان يدس السم في دواء يطلبه الامير ويعطيه



الف دينار ففعل وليسكنه أو عز الى السلطان مع قهرمانة القصر الا  
يشرب الدواء فان نصره اكرهه على اذابة السم فيه وباكر نصر  
القصر ودخل على سيده يستفهمه عن شرب الدواء فوجد بين يديه  
وقال له ان نفسي قد بشعته فاشربه انت فوجم فأقسم عليه فلم تسعه  
مخالفته فشر به وركب مسرعا الى داره فهلك حينه (١) سنة ٢٣٦

— ٥ — محمد بن عبد الرحمن بن الحكم — ٥ —

من سنة ٢٣٨ الى ٢٧٣ ( DE 852 A 886 )

بعد وفاة عبد الرحمن الاوسط ابن الحكم خلفه ابنه محمد ابو  
عبد الله . بويع يوم الخميس لاربع خلون من ربيع الآخر سنة ٢٣٨  
للهجرة (٢) وكان ابن ثلاثين سنة واشهر وكان الناس يأملون في  
حكمه مستقبلا سعيدا لما امتاز به من الخلال الحميدة فقد تحلى منذ  
نشأته بالعدل والانسانية والشجاعة مع استعداد فائق وعلم واسع  
مكتسب (٣) - في الاشهر الاولى من حكمه قام نزاع بين فقهاء قرطبة  
والحافظ ابي عبد الرحمن بقي بن مخلد فانه كان تلقى في المشرق مذهب

---

١ ابن خلدون ٢ ابن عذاري ويؤيد هذا ما سبق من ان وفاة عبد الرحمن  
ابن الحكم كانت ليلة الخميس لثلاث خلون من ربيع الآخر سنة ٢٣٨ ويقول  
كندي وروى اعلنت امارته في قرطبة في اليوم السادس من ربيع الاول  
٢٦ اغسطس سنة ٨٥٣ (٣) كندي

الامام احمد بن حنبل على أشهر علمائه ولما قدم الاندلس علم في جامع قرطبة مصنف ابى بكر بن ابى شيبة في أصول هذا المذهب فقام عليه مدرسو مذهب مالك الذي كان كثير الانتشار في اسبانيا وشكوا منه الى الامير فاستحضرهم واياه وتناظروا في حضرته فحكم بان الفروق في المذهب الحنبلي لا تخالف روح الشريعة ولا تغاير السنة بل ان فيه اصولا شريفة نافعة لها مساس بحوادث الانسان في ذلك الزمان ونهى الامير خصوم بقي عن أن يتعرضوا له واذن بتعليم مذهبه فمن ذلك الوقت أخذت تتسع دائرة مذهب احمد بن حنبل (١) - في سنة ولايته ثار عليه

١ كندى ورومي وجاء في فتح الطيب ( ج ٢ ص ٥٨٩ ) ما ملخصه ارتحل من الاندلس الى المشرق بفي بن محمد أبو عبد الله القرطبي وأخذ العلم عن كبار العلماء وعني بالاثرة عناية عظيمة لا مزيد عليها وكان اماما حافظا صادقا قليل المثل مجتهدا لا يقلد بل يفتي بالاثرة قال ابن حزم انه لم يؤلف في الاسلام مثل تفسيره لا تفسير ابن جرير ولا غيره وكان محمد بن عبد الرحمن صاحب الاندلس يحبا للعلوم عارفا بها فلما دخل في بن محمد الاندلس بمصنف ابن ابى شيبة وقرئ عليه انكر جماعة من أهل الراى ما فيه من الخلاف واستبشروه وقام جماعة من العامة عليه ومنعته من قراءته فاستحضره الامير وياهم وتصنف الكتاب جزءا جزءا حتى اتي على اخره ثم قال لحازن كتبه هذا لا تستغنى عنه خزانتنا فانظر في نسخة لنا وقال لبقى انشر علمك وأرو ما عندك ونهاهم عن ان يتعرضوا له - ولد بقي في رمضان سنة ٢٠١ ونوى في جمادى الآخرة سنة ٢٧٦ هـ

أهل طليطلة وحبسوا العامل عندهم حتى اطلقت رها عنهم من قرطبة فاطلقوه  
وفي السنة التالية (٢٣٩) بعث العساكر مع أخيه الحكم الى قلعة رباح  
وكان أهل طليطلة خربوا سورها وقتلوا كثيراً من أهلها فرم السور  
وأصبح حال القلعة ورد اليها من هجرها وتقدم الى طليطلة فعاث  
في نواحيها وسير الأمير جيشاً (١) آخر الى طليطلة فلما قربها خرجت  
عليه الجنود من المساكن فانهزموا وصابا كثير من فيه فسار الأمير بنفسه  
في المحرم سنة ٢٤٠ في جيوشه الى طليطلة فاستمد أهلها ملك جليقية  
وملاك البشكنس فأمداهم بجيوش كثيرة فلما بلغ الأمير ذلك وكان قد  
قارب طليطلة أعمل الحيلة فأكن لهم الجيوش في وادي سايط وتقدم  
اليهم في عدد قليل من الجند فأعلم أهل طليطلة الفرنج بقلعة عدد  
المسلمين فسارعوا الى قتالهم وطعموا فيهم فلما تراءى الجمعان وانتشب  
القتال خرج الكمءاء من كل جانب وأوقعوا بأعدائهم حتى بلغ عدد  
القتلى من الفرنج والطليطليين عشرين الفا وفي سنة ٢٤١ أكثر  
الأمير من الرجال بقاعة رباح ليقفوا على أهل طليطلة (٢) وبعث  
الجيوش مع موسى صاحب تطيله (٣) فعاثوا في نواحي البتة والقلع  
وفتحوا بعض حصونها وعادوا (٤) وفي سنة ٢٤٢ بعث جيشاً الى

---

١ يؤخذ من ابن عذاري ان قائدى هذا الجيش قاسم بن العباس وتعام بن ابى  
الغطف صاحب الخيل وقائد جيش طليطلة ( شندلة ) وان هذه الواقعة كانت في شوال  
٣ ابن الاثير وفي ابن عذاري ان الأمير شحن قلعة رباح وطليطلة بالحشم ورتب  
فيها الفرسان وترك فيها عاملاً حرث بن زريع ٣ ابن خلدون ٤ ابن الاثير

برشاوونه فدخلمها وحارب قلاعها وجازها الى ما وراء اعمالها فغنم كثيرا  
وفتح حصن طراجة وهو من آخر حصون برشاوونه (١) وفي سنة ٢٤٣  
خرج اهل طليطلة بجمعهم الى طليطيرة وعليها مسعود بن عبد الله  
العزيز فقاتلهم حتى هزمهم وقتل اكثرهم وحمل الى قرطبة سبعمائة  
رأس (٢) وفي سنة ٢٤٤ خرج الامير بنفسه الى طليطلة فكان  
للطليطالين واقمة دائلة على قنطرة نهر تاجه اذ اجتمعوا عليها وكانت قد  
أخلت ولم يشعروا فسقطت بهم فغرقوا في النهر عن آخرهم (٣) وفي سنة  
٢٤٥ دعا اهل طليطلة الامير الى الامان فمقده لهم (٤) كذا يؤخذ  
من التواريخ العربية

ويؤخذ من دوزي أن تمسك السلطان محمد بديشه كان يدفعه  
الى اضطهاد نصارى قرطبة وانه لما بلغ اهل طليطلة نبأ هذا الاضطهاد (٥)  
تأهبوا للقتال تحت أمرة (شندله SINDOLA) وخلقهم على حياة

١ ابن الاثير وفي ابن عذارى ان الامير كتب الى موسى بن موسى بجند النغور  
والدخول الي برشاوونه فنزل اليها واحتل بها وافتتح حصن طراجة وهو من آخر  
احواز برشاوونه « ٢ » ابن الاثير (٣) يقول دوزي بعد أن شغل السلطان  
القنطرة بجيوشه أخذ مهندسوه يخلون دعا ئمها بدوين انه يراهم الطليطليون فلما  
كاد المهندسون ينتهون من اعمالهم أمر عساكرهم ان يتفقدوا عنها فاقبى آثارهم  
عساكر طليطلة فلما حلوا فوقها انهارت بهم في الخال فغرقوا في نهر تاجه « ٤ »  
ابن عذارى « ٥ » لم أر في التواريخ العربية ولا في كندى ولا في رومي أنرا  
لاضطهاد الامير نصارى قرطبة فن ابن جاء دوزي نبأ هذا الاضطهاد ومن التناقض  
مدح كندى الامير محمدا وضم دوزي اياه

رهائنهم في قرطبة قبضوا على المحافظ واعلموا السلطان ( انه اذا رغب في  
الابقاء على حياة المحافظ فعليه أن يرد اليهم الرهائن ) ففعل وهم  
اطلقوا سبيل المحافظ ولكن شهرت الحرب وحمل الخوف من الطليطليين  
حامية قلعة رباح على اخلائها فجاءوا اليها وهدموا أسوارها لكن السلطان  
بعث بالجنود فرموا الاسوار ( ٨٥٣ ) ثم أمر بتسيير قائدين الى  
طليطلة لكن الطليطليين بعد ان مروا من مضائق ( جبال مرنة  
SIERRA MARN ) لقاء عدوهم اسرعوا في الهجوم عليه بالقرب  
من ( اندوچر ANDUJAR ) فهزموه واستولوا على معسكره قرب  
هذه الهزيمة من اندوچر هدد قرطبة فجمع الأمير جنوده وقادهم بنفسه  
الى طليطلة في يونيو سنة ٨٥٤ فبعث شندله يستنجد بملك ليون  
أردن الأول فأمدهم بمدد عظيم تحت امره ( غثون كند بيرزو  
GATON CONTE DU BEIRZO ) فنزع هذا المدد من تحت  
أمل الفوز فآمن معظم جيشه خلف الصخور التي يجري بعينها نهر  
سليط وسار الى المدينة في عدد قليل ووجه آلاته الحربية نحو جدرانها  
فلما رأى الطليطليون قلة العدد المهاجم دعوا غثون ( ١ ) الى الخروج  
فخرج مسرعا يقود جيشه وجيش الطليطليين وهجم على جند محمد  
فاخذ الجند في الفرار جارا وراءه اعداءه نحو الكمين حتى ظهرت  
عليهم الجنود الكامنة وأبادت معظمهم وقطعت من رؤوس القتلى

ثمانية آلاف ووضعتها كرامة وصعدت عليها اه  
ويؤخذ من روى وكندى ان الامير محمدا كان ذا حمية عظيمة  
في الدين لكنها ما كانت تطفى منه كل نور وكل تسامح وقد دفعته  
هذه الحمية في صدر ملكه الى نشر الاسلام في حدود اسبانيا كي  
يصد عن مملكته هجمات أهل الحدود فأمر ولاية ماردة (١) وسرقسطة  
بجمع الجنود وغزو بلاد الفرنك ونصارى جليقية فاجتاز المسلمون  
جبال البرانس الشرقية وتوغلوا في البلاد الى اقليم نربونة وغنموا غنائم  
واسروا أسرى كثيرة وفرقوا شمل السكان شذر منذر لكنهم  
لما حاربوا نصارى جليقية كانت الحرب سجالا بين الفريقين وآل  
الأمر الى ان هزم ملك استوريا ( اردن ) الوالى موسى بن زياد ZEIAD  
بالقرب من القلعة البيضاء حتى أخذها منه ( ٢ ) لما جاء نبأ هزيمة  
المسلمين واستيلاء النصارى على القلعة البيضاء الى قرطبة كان له وقع  
سيء لدى الدولة الأموية واتخذ اعداء موسى هزيمته فرصة للوشاية  
فيه لدى الامير واتهامه بالارتشاء فعزلته من ولاية سرقسطة ( ٣ )

١ لها لاردة فان هذه هي القرية من سرقسطة (٢) يقول روى ان  
موسى كان قوطيا واسلم طعما في الترقى فقطع في طريقه شوطا بعيدا في عهد الامير  
السابق فلذلك كثر اعداؤه ولما رأوا كدر الامير من سقوط القلعة اتهموا موسى  
بالخيانة ووشوا به لديه فائلين فيه ( ذى مغلوب ابن نصارى خدعه ملك النصارى  
وحالفه ورشاه ) وكان العرب يطلقون اسم الذي على كل من كان من أصل اجنبى  
٣ يؤخذ من كندى وروى ان موسى كان والى سرقسطة وان اسمه موسى  
ابن زياد وان خلدون يقول انه كان والى تطيلة واسمه موسى بن موسى

وعزل ابنه لوبيا (١) من ولاية طليطلة

نشأ من هذا العزل أن حالف موسى وابنه نصارى استوريا أو  
جليقية ونصارى نقارة والبشكنس وكذا حالفا بعض العرب على أن  
يحفظوا استقلالهم ورفعوا لواء العصيان ودخلت المدائن سرقة وتطيله  
ووشقه وطليطلة في حوزهما ومع هذا لم يدخل في محالفتهم ملوك الفرنك  
الذين هم خلف جبال البرانس فأخذ موسى يوجع جيوشه لقتالهم فاجتازوا  
الجبال وأغاروا على اقاليم الغال وأخذ ابنه (لوبوس) يرتب معدات  
الدفاع عن طليطلة وقد أحف عليها الأمير محمد مدبرا مكيدة معروفة  
ولكنه نجح بها : أخفى جل جيشه في غابة كثيفة مظلمة ليست بعيدة  
عن طليطلة وأقبل على المدينة في قليل من الرجال والفرسان على مرأى  
من أهلها فعات في بريتها التي على نهر تاجة الأيسر فوالها ماظن في  
القادمين الا طليعة جيش بعيد فاراد أن ينهز الفرصة ويضربها خربة  
تشل يد القوة المنتظرة فخرج اليها في جيش كاف لان يفتك بها  
فانهزمت أمامه حتى قادته الى وادى سليط وهو وادى الكمين فانقض  
فرسان قرطبة وهم تحت امره هشام بن عبد العزيز حاجب الأمير على  
الطليطليين من كل جانب وفتكوا بهم حتى غطت أشلاء القتلى ميدان  
القتال وقد بلغ عددهم من النصارى ثمانية آلاف ومن المسلمين سبعة  
آلاف وما كانت عاقبة هذا الفوز ان خضعت طليطلة بل ان لوبوس ومن

(١) كذا يسميه روى هنا ويسميه في الاخرى لوبوس

امكنه الفرار دخلوا المدينة ورفضوا الصالح مع ان الأمير وعدهم بالعفو اذا سلموا المدينة بدون شرط ولما رأى أن حصارها يطول عاد الى قرطبة سنة ٢٤٠ للهجرة وترك جيشا محاصرا تحت امره ابنه المنذر ولكونه شابا ترك معه قائدين وهما عبد الملك بن عبد الله ابو مروان وهشام ابن عبد العزيز وقد ابتدأ حصار المدينة من آخر سنة ٢٥٤ واستمر الى السنة التالية

وفي سنة ٨٥٥ أرسل موسى جنودا كثيرة تعزز ابنه المحصور فبهذا صار الحصار غير ممكن الاستمرار فرفعه ابن الأمير في الاشهر الأولى من هذه السنة وقسم جيشه الى ثلاثة أقسام توجهت الى قلعة رباح وطابيرة وزورته ZURITA مواضع قوية تكتنف طابيلة ومنها كانوا يناوشون المدينة ولكن لويوس كان يدفع هجماتهم وقد اجتهد في استرضاء اردن فنجح وحالفه الا أن مساعدته اياه لم تغن شيئا فقد اضطر ان يسلم المدينة سنة ٨٥٩ وقد حضر الأمير محمد نفسه واما موسى فقد استنحل امره وامتدت سلطته على ارض واسعة تتكون من هضبة اسبانيا المتوسطة ومن وادي العذارى وريوثة RIOJA وارجون ARGON وكانت تتاخم من الشرق لاملاك الفرنك في جبال البرانس ومن الجنوب والغرب لاملاك المسلمين الباقين على طاعة الأمير الاموى ومن الشمال لاودية النشربين والبشكنس وليزيد في اتساع ملكه رغب ان يتحد مع النشربين



فزوج ابنته لمن يعدونه رئيسا عليهم وكان يسمى ( غرسينوس ) أو ( غرسية بلغة اسبانيا الجديدة ) فاحتمد ملك استوريا غيظا من هذا الاتحاد الذي كان عقب ان شقوا عصا طاعته واعلنوا استقلالهم فوجه جيشه الي مقاتلتهم فقتل منهم عشرة آلاف من بينهم ( غرسية ) وهزم الباقين وجرح موسى ثلاث مرات ولكنه لم يمت بل فرّ الى اسبانيا الشرقية حيث يرأس ولد اسماعيل سرقسطة وولده ( فرتون ) تطيلة وحفظ استقلاله بدون تظاهر الى سنة ٨٧٠ فقد مات فيها حين حاصر المنذر سرقسطة كما سيأتى - من مقارنة الحوادث المذكورة فى التواريخ العربية فى هذا الموضع بما يقابلها فى التواريخ الافرنجية نرى مغايرة بينهما فمن الاولى لا يؤخذ ان موسى خرج عن طاعة الدولة الأموية كما ذكر فى الثانية بل ان حروبه نحو الشمال والشرق كانت بأمر الامير محمد ولا يؤخذ منها أيضا ان والى طليطلة كان ابن موسى كما فى كندى ورومى

بينما الامير محمد يطفى نار الثورة ( ٢٤٥ هـ ) فى طليطلة ويخضعها لسلطان قرطبة اذا الماجوج ( المجوس ) اعادوا الكرة على شواطئ اسبانيا فاغاروا أولا على سواحل جليقية GALICE (١) ثم مضوا فى ستين مركبا (٢) الى شواطئ الاندلس فنزلوها وعاثوا فى كوررية

وقرطمة CARTAMA ومالقة ورندة وما اجتروا على التوغل في داخل البلاد ولكنهم احرقوا المدائن المجاورة للبحر وهدموا كثيرا من المباني التي اقامها الامراء المتأخرون على الشواطىء لاسيما القلاع التي كانت معدة لمراقبة الطوارئ الخارجية وخربوا جامع الجزيرة الخضراء الذي كان يسمى مسجد الرايات ( لان طارقا جمع فيه زمن الفتح رايات القوم للرأى )

فأرسل الامير فرسانه ليدفعوا غائلة الماجوج فلما رأوهم أقبلوا ومضوا الى شواطىء أفرتيمة فأغاروا على مدينة ناشور NACHOR (١) ثم عادوا الى ساحل تدمير وانتهوا الى حصن اوريوله (٢) ثم رحلوا الى جزائر ميورقة ومنورقة وقرمنترة FORMENTERA فخرّبوها (٣) ثم ساروا الى سواحل افرنجة فشتوا بها وعاشوا فيها واصابوا الذراري والاموال (٤) وبلغوا بنبلونة وأسروا صاحبها غرسيه وفدى نفسه بسبعين الف دينار ثم انصرفوا فلقبهم مراكب الامير فقاتلوهم وغنموا مركبين واستشهد جماعة من المسلمين (٥) ثم أخذوا طريق العودة الى

---

— وجدوا البحر محروسا ومراكب المسلمين ممتدة تجرى من حائط افرنجة الى حائط جليقية في النرب وان هذه تلاقت بمركبين من مراكب المجوس في بعض كورباجه فأخذتهما بما قيمما من الذهب والنضة والسبي والمدة

١ رومي (٢) ابن عذارى (٣) رومي (٤) ابن عذارى (٥) ابن خلدون وقوله « واسروا صاحبها غرسيه » لا يلتئم مع ماسبق من ان غرسيه قتل في قتال الاستوريين فلعل المراد انهم اسروا ابن غرسيه فقد تشبه الابناء باسم الاب

اسكندناوة ومراكبهم مثقلة بالغنائم الواسعة سنة ٨٦٠ (٢٤٦ للهجرة) (١)  
يقول ابن عذارى انهم فقدوا من مراكبهم اكثر من اربعين  
وان مراكب الامير اصاب منها مراكبين بريف شدونة فيهما  
أموال عظيمة

ان انتصار اردن على موسى جرّاه على الهجوم على المسلمين  
في جنوب نهر دويره فهزم والى الحدود زيد بن قاسم واستولى على  
عدة مدن وحصون منها كوريا وسلمنقة (٢٤٦) وقتل رجال هاتين  
المدينتين ولم يبق الا على النساء والاطفال وقد ساقهم الى استوريا  
فزع الامير محمد من أخذ كوريا وسلمنقة فبعث ابنه المنذر يقود  
جيشاً عرمرماً ليرد هاتين المدينتين فسار على شواطئ النهر (٢) حتى  
التقى باعدائه وقهرهم وقتل منهم عدداً عظيماً وفرق شمل الباقين ورد  
المدن والحصون المساوبة ثم حوّل جيشه الى الشمال الشرقى فعبّر نهر  
الابرة ودخل نقارة حتى بلغ أرض بنبلونة فأتلف ثمارها وحاصلاتها  
وافتح ثلاثة حصون منها حصن قشتميل وأصاب فيه بطلا صنديداً  
يسمى فرتون بن غرسية (٣) فساقه الى قرطبة فمكث فيها اسيراً ٢٠

« ١ » كندى ورومى (٢) يقول كندى ورومى ان المنذر قسم جيشه الى  
خمس أقسام - المقدمة والجناحين ( المينة والميسرة ) والقاب والساقة الى المؤخرة  
ولذا يعبر عن مثل هذا الجيش بالخميس (٣) في هامش رومى ما نصه « يقرأ في  
مورفى ان محمداً في سنة ٢٤٧ (٨٦١) أغار على أرض بنبلونة فاخضع قسماً عظيماً  
من البلاد وأخذ عدة قلاع وجلس فرتون أخا الملك ( اى ملك ) وبقي هذا  
أسيراً في قرطبة نحو ٢٠ سنة

سنة ثم أطلقه الأمير ليرحل الى بلده فأقام مختاراً في قرطبة الى ان بلغ ١٢٦ سنة (١)

وفي سنة ٢٤٩ (٨٦٣ - ٨٦٤) أغار نصارى جليقية على بلاد المسلمين فمهبوها واتلفوا مزارعها واسروا رجالها فأمر محمد قواده وولاته بجمع الجيوش للجهاد فخرج بهم وانضم اليهم فرسان ماردة واتجه الى جليقية ودخل مدينة (سنكتياك أوسنت ياقيب SANCTYAC) (٢) فما استطاع الجلائقة ان يثبتوا على مقاومته بل تقهقروا والتجؤوا الى القلاع القائمة على الصخور المنيعة فرجع الأمير من طريق (طليبرة) (٣) وأرسل فرسان ماردة من طريق سلمنقة وواصل سيره مع فرسان قرطبة متجهاً الى طليطلة (٤)

وعلى حدود الفرنك في بلاد ارجون العليا قامت ثورة هائلة يقود زمامها شقى يعرف بحفصون (٥) نشأ هذا الشقى في إقليم ريّة من بلاد الاندلس وكان يعيش من كسب يديه ولما أعياه الفقر هجر

(١) روى

(٢) في هامش روى ان هذه اللفظة منحوتة من سنكتوس يعقوبوس

ومن ذلك أخذ الاسبانيون ( سنتياغو ) وفي معجم ياقوت سنت ياقيب يضم القاف قلعة حصينة بالاندلس اه وربما مدوا حركة القاف فقالوا ياقوب كما في نزهة المشتاق (٣) روى - وفي كندي من طريق شعوره (٤) بعض المؤرخين يذكر هذه الحادثة في حوادث سنة ٢٤٧ « ٨٦١ - ٨٦٢ » وبعضهم يذكرها في سنة ٢٤٩ « ٨٦٣ - ٨٦٤ » (٥) روى - في كندي انه يسمى عمر بن حفص ويعرف بابن حفصون

أقاليمه ورحل الى ترجيلة (١) TORDJELLA مؤملاً ان يصادف  
متسماً أمن الرزق فلم يجد طريقاً للكسب الا أن يختلط هو وفئته من الاشرار  
وعاثوا في الارض فساداً وجعلوا مهنهم السرقة وقطع الطريق وكثيراً ما  
قاوموا الكشاف الذين كانوا يقتفون آثارهم ليمشطوا بهم حتى شهر أمرهم  
واستولوا على قلعة بيشتر ومع هذا في سنة ٢٥٠ (١٦٤) طرد حفصون  
وعصابتة من الاندلس ففروا الى حدود الفرنك في الاودية المتوسطة  
بين جبال البرانس وكان يسكنها افارقة اغلبهم يهود فانزلوه في حصن  
من حصونهم يعرف بروطة اليهود (٢) وكان هذا الحصن عبارة عن  
قصر منيع على قمة جبل صخري يكتنفه نهر - ولما بلغ نصارى هذه  
الجبال شهرة حفصون ونجاحه في سطواته استرضوه وعاهدوه على شق  
عصا طاعة الامير

انقضّ جموع حفصون من الجبال كالسيول الجارفة مغيرين على  
بلاد اسبانيا حتى بلغوا برُبشتر (٣) BARBASTER ووشقة وفراجة

---

١ يقول ياقوت انها مدينة بالاندلس من اعمال ماردة بينها وبين قرطبة  
سنة ايام غربا وبينها وبين سمورة من بلاد الفرنج سنة ايام ملكها الفرنج  
سنة ٥٦٠

٢ روى . قال ياقوت ( روطه حصن من اعمال سرقسطة بالاندلس وهو  
حصن جدا على وادي شاون

٣ قال ياقوت برُبشتر مدينة عظيمة في شرقي الاندلس من اعمال بريطانيا  
وقد صارت للروم في صدر سنة ٤٥٢ وبربطانية مدينة كبيرة بالاندلس ايضا  
يتصل عملها بعمل لاردة وهي في شرقي الاندلس

مفسدين المزارع مستفزين الاهلين على نبدطاعة ولاتهم مخر بين مدائن  
وقرى من يأبى الانضمام اليهم محتلين قلاع البلاد الى ان وصلوا مقاطعة لاردة  
فانضم اليهم قائدها المسمى عبد الملك وساهبا اليهم وتبعه قادة القلاع  
الأخرى وغيرهم من المسلمين واليهود والنصارى الناقين من الأمير  
وامتد لهيب الثورة فى زمن قريب على شاطئ نهر ابرة الايسر

كان فى استطاعة والى سرقسطة ان يرد هجمات العصاة ولكن عزله  
الامير وقتئذ وبقى منتظرا من يخففه فاغضى عنهم وتركهم يعيشون فى  
الارض كى يعظم الخطر

لما استفدح الامير محمد امرهم كتب الى ولاته يأمرهم بحشد الجنود  
وذهب بنفسه الى طليطلة يقود جيشا كثيفا وعهد الى ابنه المنذر  
بمراقبة حدود جليقية وفى الوقت عينه اجتمع جنود بلنسية ومرسية  
وتوجهوا تحت قيادة زيد بن قاسم حفيد الامير الى نهر ابرة ليجتمعوا  
هم وجيش قرطبة على شاطئ النهر ويتجهوا الى مقر حفصون ويستردوا  
منه الحصون التى استولى عليها

تحقق حفصون انه لا يقوى على دفع قوى الامير العظيمة وانها  
ستكون الضربة القاضية عليه لا محالة فعمد الى المكر والخداع وارسل  
اليه رسالة يظهر فيها خضوعه ويقسم بآله السموات والأرضين ان كل  
ما فعله لم يكن الا خديعة للمشركين حتى يلتبس عليهم الامر اذا رد  
جيوشه نحوهم وانه اذا ساعده الامير بمجيوش بلنسية ومرسية المتجهة

لقتاله فاجأ بلاد الفرنج التي في جنوب هرشيقر SEGRE ودمرها وانه  
لم يزل مسالماً صادقاً مخلصاً

خدع الامير واعتقد صدق رسالة حفصون وماهى الا زور وبهتان  
ووعده بحكومة ولايتى وشقة وسرقسطة اذا اخضع هذه البلاد لسلطان  
قرطبة وعندئذ ارسل جيشه الى جليقية لينضم الى جيش ابنه المنذر  
وأمر حفيده أن يقود جنوده ويساعد حفصون على قتال الفرنج وعاد  
هو الى قرطبة

اجتمع جيش زيد وجيش حفصون فى ودى « الكنت » ( ١ )  
وقابل الثانى الأول بالحفاوة والاحلال كأنهما صديقان ولكن لما خيم  
الظلام ومالت عساكر بلنسية ومرسية الى الراحة ولم يأخذوا حذرهم  
انقض عليهم عساكر حفصون وعبد الملك والى لاردة وفتحوا باغلبهم  
ولم ينج الا القليل وقد قتل زيد بعد ان دافع دفاع الابطال وكان شاباً  
يبلغ ثمانى عشرة سنة « ٥٢٥ هـ ٨٦٦ م »

لما بلغ الامير نبأ هذه الكارثة هلع هلعاً شديداً ودعا قواده فى  
الحال الى حرب مأيمة ( ٢ ) ينتقم فيها من العاصى الخائن حفصون  
واستقدم ابنه المنذر من حدود جليقية ليأخذ بقياد هذه الحرب فقاد  
عساكره وانضم اليه غيرهم وقلوب الكل تغلى كالمراجل ماؤها الغيظ  
وحب الانتقام الى أودية العصاة بين صخور روضة اليهود فرجال

حفصون وعبد الملك قاوموا بشجاعة هجوم عساكر المنذر لكن لم تغن مقاومتهم ولا مناعة حصونهم شيئاً فقد انتصر جيش قرطبة عليهم والجأ في اليوم الاول عبد الملك مجروحاً ومائة رجل من شجعانه الى هذه الروطة المنيعه وفي اليوم الثاني أحرق المنذر بها من جميع الجهات هو وجنوده وقد أحرق صدورهم غليل الانتقام حتى قهروا قلاعها وجاسوا خلالها وقد دافع عبد الملك دفاع المستميت الى أن سقط مغطى بدمائه فقطع المنذر رأسه وارسله الى قرطبة

وقد أدى سقوط روطه اليهود الى خضوع لاردة وحصون أخرى والتجأ حفصون الى ركن منيع من اركان جبال البرانس بعد أن فرق امواله على احبابه ووعدهم بالعودة اليهم اذا جاد الزمان وعاد المنذر الى قرطبة فاستقبل فيها استقبالا باهرا ومنح الامير شبان الجيش عطايا فاخرة من الاسلحة والملابس والخيول وكان اليوم يوم عيد عند الأهليين  
سنة ٨٦٦ ( ٢٥٢ )

في السنة التي انتصر فيها محمد على حفصون ( ٨٦٦ ) مات ( أرْدُن ) بعد أن حكم ماينيف عن ١٦ سنة وخلفه ابنه ( اذفنش ) وهو ابن ١٨ سنة فحكم ٤٥ سنة كذا في رومي وفي ابن الاثير في حوادث سنة ٢٥٤ ان أردن بن ردمير صاحب جليقية مات وولى مكانه اذفونش وهو ابن اثنتي عشرة سنة ولا يخفى ما في الروايتين من المغايرة في تاريخ الوفاة وفي عمر الملك الجديد وفي ابن الاثير في حوادث هذه



السنة أيضا أن اهل ماردة عاودوا الخلاف على محمد صاحب الاندلس  
فسار اليهم وحصرهم وضيق عليهم فانقادوا فنقلهم وأموالهم الى قرطبة  
وهزم سور ماردة وفي تاريخ ابن عذارى انه نقل فرسانهم عبدالرحمن  
ابن مروان وابن شاكر ومكحول وغيرهم بعيالهم الى قرطبة وولى عليها  
سعيد بن عباس القرشي وأسر بهم سورها

وفي سنة ٨٦٨ حاصر بنبلونة عاصمة نفارة سرية من المسلمين  
يقودها اسحاق بن ابراهيم العقيلي وزيد بن رستم حتى استولت على  
بعض ابراجها لكنها لما رأت اقبال كثير من جنود الفرنك لانقاذها  
اضطرت الى تركها والانسحاب الى نهر ابرة وكان الحامل على  
ارسال السرية لحصار بنبلونة حب الانتقام من واليها ابن عرسية  
صهر موسى فانه كان يساعد رؤساء اسبانيا الشرقية الخارجين عن  
طاعة الامير

وفي سنة ٨٦٩ جمع الامير محمد جنود الاندلس ووجهها تحت  
قيادة ابنه المنذر الى سرقسطة فان واليها موسى كان يحفظها مستقلة عن  
قرطبة فلما جاءها المنذر وقد اغلق الوالى ابوابها حاصرها ٢٥ يوما  
وحرصاً على الوقت من أن يضيع سدى دخل نفارة ونهب ارضها  
وكسح قطعاًها وعاذ الى حصار سرقسطة وبقي في اسبانيا الشرقية الى  
سنة ٢٥٧ ( ٨٧٠ ) وفيها مات موسى فألقت المدينة مقاليدها الى  
المنذر - ومع موت موسى وفتح سرقسطة لم تخشع طليطلة بل ثارت في

هذه السنة وانتخبت عبد الله بن لبّ بن موسى والياً عليها وكان قد فارقها منذ سقوطها سنة ٨٥٩ واستوطن استوريا وكان قائداً شجاعاً خبيراً بتصاريف الحروب - لما علم محمد بعصيان طليطلة جمع جنود الاندلس وقادهم اليها وكان أهلها متأهبين للمقاومة والدفاع عن انفسهم وهم فيها ولكن رئيسهم لما علم كثرة جنود قرطبة لم يرد أن يجعل المدينة عرضة للخطر بالبقاء بين حياطها فأمر قواده بالخروج الى ضاحية المدينة ثم بعث رسلا الى أهلها يشيرون عليهم بالخضوع الى الامير فما كان من العامة إلا أن أرادوا الفتك بالمبعوثين لكنهم تشاوروا في الامر واتفقوا أخيراً أن يسلموا المدينة على شرط أن يتجاوز الامير عن الماضي ولا يبحث فيه ( ٨٧١ ) - بعد ان أقام الامير بعض ايام في طليطلة يوطد دعائم السلام فيها عاد الى قرطبة فقبول بفرح عظيم

وفي سنة ٢٥٩ ( من نوفمبر سنة ٨٧٢ الى اكتوبر سنة ٨٧٣ ) أغار المنذر على أرض جليقية وقتل أهلها والدهر تارة له وطوراً عليه فعلى ممرّ نهر سهجون المتجه الى نهر دويره كانت بينهما وقعة دموية قتل فيها كثير من فرسانه الابطال ومع ذلك كانت خسارة الجلالة فادحة جداً حتى أنهم قضوا اكثر من احد عشر يوماً في دفن جثث موتاهم - وبقي المنذر على الحدود طول سنته يأتي بأعمال حربية غريبة غير مفترّ في أغلب أيامه عن مناوشة اعدائه الشجعان الذين

كانوا يصدون هجماته العنيفة - وفي آخر هذه السنة رجع الى لوزيتانيا  
وفي سنة ٢٦٠ ( ٨٧٤ ) حلّ بأرض اسبانيا جذب شديد ولم يكن  
قاصراً عليها بل عمّ أفريقية ومصر والشام وجزيرة العرب حتى ان مكة  
أم القرى هاجر منها أهلوها ولم يبق خادم في الكعبة فأغلقت (١) :  
جفت المنايع والغدران فلم تأت الأرض بشمراتها فعمت المجاعة  
وانتشرت الامراض وكثر الموت وكان هذا الجذب أفتع من جذب  
سنة ٢٤٤

وفي سنة ٢٦١ جمع ابن مروان رجاله وهرب بهم من قرطبة  
وقصد قلعة الحنش في جنوب ماردة فملكها وامتنع بها فغزاه السلطان  
محمد وحصره ثلاثة اشهر حتى اضطر الى أن يأكل لحم الخيل ويطلب  
الامان ويسلم المدينة فأمنه السلطان وأباح له أن يسكن بطاليوس  
فاستوطنها . ولم يرجع عن عصيانه فقد ضمّ عصابته الى عصابة اخرى  
يقود زمامها من يسمى ( سعدون ) ودعا الى جيشه كل من كان على  
شاكلته من مولدى ماردة وغيرها ودعا مواطنيه الى دين جديد وسط  
بين الاسلام والنصرانية وحالف أذفونش الثالث ملك ( ليون ) (٢)  
وهو بالطبع حليف كل من يشور على السلطان وأخذ يعيث في البلاد (٣)  
فأرسل اليه السلطان جيشا تحت قيادة وزيره هاشم سنة ٢٦٢

فلما سمع الجليقي خبر هذا الجيش أرسل سعدون الى حليفه اذ فونش يطلب منه مددا ولم ينتظر في بطليوس بل توجه الى حصن (كرى) (١) وانضم اليه اهل ماردة بجاء هاشم وعسكر بالقرب من هذا الحصن واحتل أحد ضباطه حصن منت شلوط وكان سعدون قد اقترب منه بالمدد واشاع انه في قلعة فكتب الضابط الى هاشم يخبره بقلعة المدد بناء على الاشاعة الكاذبة فقد كان غرض سعدون منها التفرير فرأى هاشم أن قد سنحت الفرصة في سعدون فبادر بالخروج في خيل قليلة لمقابلته فتركه سعدون يوغل في البلاد حتى دخل مضيقا كان فيه اعداؤه مخبئين خلف الصخور فهاجموه على غرة وكانت ملحمة هائلة أصيب فيها هاشم بعدة جروح وقتل كثير من فرسانه واسر وسبق الى ابن مروان فاكرمه وأحسن اليه وأرسله الى ملك ليون سنة ٢٦٣ فطلب فيه فدية عظيمة - وبعد سنتين اطلق سبيله وقد دفع السلطان عنه بعض الفدية وترك هاشم أخويه وابنه وابن أخيه رهائن على باقى الفدية كذا يؤخذ من دوزى وابن عذارى

لما علم السلطان باسر وزيره هاشم أغزى ابنه المنذر جليقية سنة ٢٦٣ (٨٧٦ — ٨٧٧) وجعل طريقه على ماردة فاحتل قائده الوليد

---

١ يقول بعض المؤرخين (كركر) والصحيح الاول قال ياقوت «كركى» بالتحريك اسم حصن من اعمال (أوريط) بالاندلس له ولاية وقرى — راجع هامش دوزى ج ٢ ص ٨٥

ابن غانم بطليموس بعد أن أجلى عنها ابن مروان والجاه إلى بلاد العدو وغنم المنذر غنائم واسعة وأسر كثيرا من أعدائه عقب قتال صهيب المراس فقد فيه كثيرا من جنوده منهم يحيى بن الحجاج وكان فارسا شجاعا مشهورا بسياحاته إلى الشرق كذا يؤخذ من ابن عذارى وكندى ويؤخذ من رومى أن اذفونش في هذه السنة صد هجمات المنذر واستولى على حصون ومدن أجلى عنها المسلمين واسكنها قومه النصارى وأنه مازال يصعد هجماته حتى الجاه إلى حدود لوزيتانيا الجنوبية

قال ابن خلدون انتقض على الأمير محمد عبد الرحمن بن مروان الجليقي فيمن معه من المولدين وساروا إلى التخم ووصل يده باذفونش ملك جليقية فسار إليه الوزير هاشم في عساكر الاندلس سنة ٢٦٣ هـ فهزمه عبد الرحمن وحصل هاشم في أسره ثم وقعت المارودة في الصالح على أن ينزل عبد الرحمن بطليموس ويطلق الوزير هاشما فتم ذلك سنة ٢٦٥ هـ ونزل عبد الرحمن بطليموس وكانت خربة فشيدها وأطلق هاشما بعد سنتين ونصف من أسره ثم تغير اذفونش لابن مروان ففارقه وخرج من دار الحرب بعد أن قاتله ونزل مدينة انطاكية بجهاث ماردة وهى خراب فخصنها وملك ماولياها من بلاد (ليون) وغيرها من بلاد الجلالقة واستضافها إلى بطليموس اه

في هذه الاثناء ثار الخائن عمر بن حفصون المستظل في حماية نصارى الفرنك وبمساعدهتهم استولى على عدة قلاع منيعة على نهر

شيقر SEGRE (كذا يؤخذ من كندى ورومى)

وفى سنة ٢٦٤ بعث الامير محمد ابنه المنذر ثانية الى بلد بنبالونة  
فمر بسر قسطة وقاتل أهلها ثم تقدم الى تطيلة وعاث في نواحيها وخرَّب  
بلاد بنى موسى ثم مضى لوجهه الى بنبالونة فدوخها ورجع . كذا فى  
تاريخ ابن خلدون نقلا عن ابن الاثير

عاد المنذر الى جليقية وصرف سنة ٢٦٥ كلها (من سبتمبر سنة ٨٧٨  
الى اغسطس سنة ٨٧٩ فى الحدود بين نهر دويرة والجبال ومعه  
جيش ماردة وطليطلة وحاصر مدينة (سمورة) التى كان اخذها أذفونش  
فى احدى الغزوات السابقة - كادت المدينة تسقط فى يد المنذر  
لولا انه علم بمجيء أذفونش يقود جيشاً كثيفاً لانقاذها فأسرع  
يتأهب لمحاربتة

فى هذا الموضع تختلف روايات المؤرخين فى حوادث المنذر وأذفونش  
والذى يفهم من مجموعها

ان جيشى المنذر وأذفونش بقيا على الحدود الى سنة ٢٦٧ يصد  
كلاهما هجمات الآخر وانه فى شوال هذه السنة (مايو سنة ٨٨١)  
زلزلات الارض زلزالاً هائلاً هدم المنازل والقصور الجميلة ودك الجبال  
وحطم الصخور وانشقت الارض وابتلعت قرى وروابي وجدر البحر  
من شاطئ ومد من آخر وازدردت المياه العُزُر وطغت على الاعالى  
وفر الناس من المدن الى الصحارى وانسلت الطيور من أوكارها الى

السماء وهبت الوحوش مذعورة من أرباضها الى الخلاء  
هذا الزلزال سبقه خسوف القمر في سنة ٢٦٦ او في التى قبلها  
وكانت هذه الحوادث تؤثر في عقول العامة وتفرعهم وتجمعهم يتطيرون  
من حكومة الامير محمد حتى أن عساكر المندر كانوا يمتنعون من  
القتال وهذا كان يقشع عن عقولهم سحب هذه الاوهام ويقنعهم بأن  
الخسوف والزلزال من حوادث الطبيعة التى لا علاقة لها بعمل الانسان  
وليس خاصة بالمسلمين بل تعم النصارى وتشمل الانبياء والحيوان  
عقب الزلزلة كانت مهادنة بين الفريقين ثلاث سنين. يؤخذ من  
رومى (ان مجىء اذفونش صرف المندرسنة ٢٦٥ عن حصار (سبورة) وانه  
وقعت بينهما واقعة في مكان يسمى (پُلْفَرَرِيَا POLVORARIA)  
على نهر (أُرْبِكُوس URBICUS) وانه عقب هذه الواقعة كانت  
المهدنة بين المسلمين والنصارى ثلاث سنين وكان الواسطة فيها القائد  
أبا الوليد وانه عند فراغ المهدنة يوم ٢٢ شوال سنة ٢٦٥ (كذا)  
(٢٥ مايو سنة ٨٨١) زلزلت الارض زلزالها - وأقول من الحساب  
يتبين أن مايو سنة ٨٨١ يقابل شوال سنة ٢٦٧ فيظهر أن رقم ٥ في  
كلام رومى محرف عن ٧ فى السنة العربية وبهذا التصحيح يتحد  
كندى ورومى والتواريخ العربية فى ان حادثة الزلزلة وقعت سنة ٢٦٧  
للهجرة - ويذكر كندى المهادنة بعد الزلزلة لا قبلها وانما كانت بناء  
على رضا الملك محمد وأن الملك اذفونش ارسل سفراء الى قرطبة

يصحبهم فرسان من جيش المنذر لاجل عقد الهدنة

وفي تواريخ ابن الاثير وابن خلدون وابن عذارى ان الامير محمداً  
امر في سنة ٢٦٦ بانشاء مراكب في نهر قرطبة ليدخل بها الى البحر  
المحيط ويأتى جليقية من ورائها فلما فرغت وكملت برجالها وعدتها  
توجه بها الى البحر الرعيطى المعروف بابن مغيث فأصابها الريح  
وتقطعت فلم يسلم منها الا القليل

وفي هذا دلالة على انه لم يكن مهادنة في السنة التى تلتها سنة  
الزلزلة كما يقول رومى

وفي سنة ٢٦٧ ثار عمر بن حفصون بمحضن ببشتر من جبال مالقة  
فزحف اليه عامر عامل تلك الناحية لكنه انهزم واسلم قبته فاخذها  
ابن حفصون وقوى أمره وهو أول رواق ضربه فاستكن اليه أهل  
الشر وعزل الامير عامرا من كورة رية وولاهها عبد العزيز بن عباس  
فصالحه عمر فطالب العامل كل من له أثر في مساعدة ابن حفصون  
فأهلكه وفيهم من أبعداه فاستقام امر الناحية

يؤخذ من تواريخ ابن الاثير وابن خلدون وابن عذارى أن  
هذه الثورة أول خلاف عمر بن حفصون على امارة الاندلس ولم يذكرها  
عصيانا لابييه حفصون مع ان رومى وكندى ينسبان الى حفصون تارة  
والى عمر بن حفصون تارة اخرى ثورات قبل سنة ٢٦٧ فى اقليم (رية)  
وفي شمال نهر (ابره) - راجع ما سبق فى حوادث سنة ٢٤٩ وما بعدها



ويؤخذ من دوزى انه كان يوجد فى دسكرة قريبة من حصن (أوت)  
(يقال له اليوم زناتة YZNATE ) على شمال مالقة الشرقى زراع  
يسمى حفصاً من سلالة شريفة فان جده الخامس المسمى (اذفونش)  
القوطى كان يلقب ب ( الكونت ) - قد الجأت تقلبات الدهر جده  
حفصاً فى عهد الحكم الى أن يهاجر من ( رنده ) ويستوطن بالقرب  
من الحصن المذكور وأن يظهر الاسلام فيخفى فى قلبه النصرانية  
دين اسلافه - جمع حفص ثروة من كسبه واقتصاده وكان جيرانه الاقل  
منه غنى يحترمونه ويبجلونه حتى كانوا يسمونه حفصون بزيادة واو  
ونون على اسمه علامة على تشريفهم اياه ولم يكن ما يكدر صفو عيشه  
الا سوء سلوك ابنه عمر حتى ان هذا فى يوم شاجر احد الجيران بدون  
سبب معقول ورماه على الارض قتيلاً فاضطر حفصون ان يهاجر بابنه  
من الدسكرة خوفاً عليه من القتل ويستوطن جبال رنده فى سفح  
جبل ( بُبْشَتْرُ ) - أثرت المعيشة بين الجبال والغابات والمضايق غير  
المطروقة فى طباع الشاب عمر فدفعه شقاء العيش الى أن صار لصاً  
قاطع طريق وأوقعه اعتدائه بين أيدي الحكومة فجلبه والى المقاطعة  
ولما يئس والده من تنقيفه وأعيته الحيل فى امره طرده من منزله - ولما  
لم يجد عمر ما يعيش به فى اسبانيا جاز البحر قاصداً أفريقيا حتى  
وصل ( تاهرت ) ودخل صانعاً عند خياط يعرفه قليلاً لانه ولد فى  
كورة رية - دخل شيخ هرم دكان الخياط وأوحى الى عمر ان يترك

الابرة ويأخذ السيف ويرجع الى بلده فانه سيكون خصما لدودا  
للامويين وسيحكم أمة عظيمة . وقع كلام الشيخ الهرم في قواد  
الشاب عمر كوحى الهى فرجع فى الحال الى اسبانيا ولم يجرأ على مقابلة  
أبيه بل قابل عمه وقصّ عليه حديث هرم تاهرت فشجعه على أن يثور  
ووعده ان يساعده بما يستطيع : جمع اربعين شابا من رستاقه وعرض  
عليهم أن يكونوا حزبا لابن أخيه وحث امرته فقبلاوا جميعا فاسكنهم  
عمر معه فى جبل بدّشتر سنة ٨٨٠ أو سنة ٨٨١ وأخذوا يقطعون  
الطريق ويخطفون البهائم ويفرضون ضرائب فادحة على المزارع  
المنفردة - استفحل أمر عصابة عمر وتفاقم شرّها وكانت تهاجم  
المدن فهاجمها والى ربة بكل جنوده ولكنه كسر وانهزم وترك  
خيمته العظيمة للعصاة فنسب السلطان هذه الكسرة الى عدم أهليّة  
الوالى فعزله وولى مكانه غيره فهاذن والى الجديد حامية بدّشتر

وبعد سنتين أو ثلاث استعزطا هاشم أول الوزراء من حصنها  
وقادها الى قرطبة فلما رأى السلطان فى ابن حفصمون ضابطا شهما  
وفى رجاله جنودا أبطالا رحب بهم وعرض عليهم ان ينتظموا فى  
جيشه فلم يسمعهم الا القبول

وفى صيف سنة ٨٨٣ لما توجه هاشم لقتال محمد بن ابي رئيس  
بنى موسى واذفونش ملك ليون رافقه عمر وقام بأعمال استمالته اليه  
ودعته الى شكره ولكن لما عاد عمر الى قرطبة اشتكى من ابن غانم

محافظة المدينة فان هذا كان يكره هاشما ولذا أساء معاملة عمر فهرب  
ورجاله الى حصنهم المنيع سنة ٨٨٤

لما عقدت الهدنة بين المنذر واذفونش سنة ٢٦٧ خاف ابن  
حفصون من أن يهاجمه المنذر فطلب من الفرنك ومن سكان جبال  
( البرتات ) أن يمدّوه بما استطاعوا من الجنود فاجتمع لديه أقوام  
لا يحصون عددا فاختدوا يتدفعون كاسيول من الجبال الى البلاد حتي  
بلغوا شواطئ نهر ( ابرة ) فقابلهم واليا سرقسطة وشقة عند تطيلة  
فانهزموا وطلبوا المساعدة من قرطبة فجمع الملك محمد قواه من فرسان  
ورُجلان ورتب جيشا عظيما جعل في مقدمته ابنه المنذر وفي الميمنة  
ابن عبد الرؤوف وفي الميسرة ابن رستم وفي الساقة ابنه أبا زيد والى  
شدونة وجعل نفسه في القاب<sup>(١)</sup> ولما اكتملت معدات القتال جد  
هذا الخيس في المسير نحو الاعداء وهؤلاء لما رأوا تلك القوة الكبيرة  
قد اقتربت منهم فزعوا وتقهقروا مسرعين الى حصونهم ولكن  
حمية المساحين سهلت لهم اقتحام الجبال فكانت لديهم كالسهول في  
المسير فاقتفوا آثار اعدائهم عاقدين النية على القتال مهما كانت  
الصعوبات . ففي صباح يوم اكتشف المنذر معسكر الفرنك على  
مقربة منه وهؤلاء وجدوا ان لاسبيل الى النجاة ولا مناص من  
العراك فالتقى الجمعان واقتتلا قتال المالكين وحفظ كلاهما مركزه

معظم اليوم لكن امكن جيش قرطبة ان يهزم جيش النصارى وقد قتل ملكهم غرسية <sup>(١)</sup> وفرسانه وجرح عمر بن حفصون جروحا بليغة وغطت اشلاء قتلاهم الدامية ساحة الوغى وكانت هذه المعركة في صيف سنة ٢٦٩ وتعرف بمعركة ( ايبار Aybar ) لانها كانت في واد يعرف بذلك على بعض فراسخ من بنبلونة . بقى الامير المنذر على الحدود الى فصل الشتاء وعاد الملك محمد الى قرطبة وكان يوم دخوله فيها يوم عيد عند الاهلين كذا يؤخذ من كندي ورومي .

لم تكن راقعة ( ايبار ) حاسمة الخلاف في اسبانيا الشرقية فان ابن حفصون وان انسحب من المعركة الى طود الجنوب مصابا بجروح بليغة تؤدى الى هلاكه <sup>(٢)</sup> لكن حزبه مازال باقيا وبنى موسى يحكون على شواطئ نهر ( ابرة ) فاسماعيل بن موسى في سرقسطة وأخوه فرتون بن موسى في تطيلة وكانا صديقين لاذفونش ملك استوريا . لهذا بقى المنذر في الحدود يتعقب العصاة ويحمد نيران ثوراتهم فحاصر سرقسطة وتطيلة وصالح حفيد موسى المسمى محمد بن اب بن موسى وكان هذا على غير وفاق مع عميه اسماعيل وفرتون وبهذه المصالحة تمكن المنذر من أن يهاجم بلاد استوريا من جنوبها الشرقي فان ابن اب ساعده بالخييل والرجال وقد عاد الجيش

(١) ابن بنت موسى وكان قتله في السنة الثانية من ملكه

(٢) قيل انه مات في سنة ٨٨٣ لكن سيأتي ان عمر بن حفصون يموت في عهد الناصر

الاسلامي الى قرطبة في سبتمبر وكان قد غادرها في مارث سنة ٨٨٢  
كذا يفهم من رومي<sup>(١)</sup>

ويؤخذ من ابن الاثير وابن خلدون وابن عذارى ان الأمير  
محمد بعث ابنه المنذر سنة ٢٦٨ لقتال أهل الخلاف فقصد سرقسطة  
ومحاصرها وعاث في نواحيها وفتح حصن روضة وأخذ منه عبد الواحد  
الروطى وكان أشجع أهل زمانه ثم تقدم الى دير بروجة<sup>(٢)</sup> وفيه محمد  
ابن لب بن موسى وقصد مدينة لاردة وقرطاجنة وكان فيها اسماعيل  
ابن موسى فخاربه فاذعن اسماعيل بالطاعة وأعطى رهائنه ثم تقدم الى  
آبته والقلع وفتح حصونا ورجع

هذه الغزوة هي التي كان فيها واقعة ( ايبار ) لكن يظهر أنها  
بدئت سنة ٢٦٨ وانتهت في سنة ٢٦٩ للهجرة وكانت كلها في سنة  
٨٨٢ للميلاد ولا يخفى ما في الروايتين الافرنجية والعربية من المغايرة  
فالاولى تدكر أن محمد سار بنفسه في هذه الغزوة وان اسماعيل بن  
موسى كان في سرقسطة وأخاه فرتون بن موسى في تطيلة وان المنذر

---

(١) ولم يعين رومي مدينة ابن لب لكنه قال عند افتتاحه سرقسطة أخذ معه اسماعيل  
ابن موسى وابن عمه اسماعيل بن فرتون أسيرين في معركة في موضع جبلى على خمسة  
أميال من المدينة وقادهما الى حصن ( بكاريا Beccaria ) المحتص به وانظر أين  
هذا الحصن

(٢) كذا في ابن خلدون بالباء الموحدة وفي ابن الاثير بالتاء المثناة فوق ولعل  
الاول يقصد ( برجة ) على شمال نهر ( ابرة ) والثاني ( ترجونة ) على البحر المتوسط فحرر

حاصرها بدون كبير جدوى — ولا تُعَيَّن مدينة ابن لب  
والثانية تذكر أن محمدا سيرا بنه المنذر فيها وان اسماعيل كان  
في قرطاجنة وأنه أذعن بالطاعة للمنذر وأعطاه مراحته وان ابن لب كان  
في دير ( تروجة ) أو ( بروجة )<sup>(١)</sup>

والذي يستخلص من الروايتين مع مراعاة وضع البلاد الجغرافي  
ان المنذر سار في سنة ٨٨٢ الى الثغر الأعلى لاختضاع أهل الخلاف  
فأخضع بني موسى على شواطئ نهر ( ابرة ) ثم حارب النصارى  
وكسرهم بعد أن قتل ملكهم ( غرسية ) ابن بنت موسى وجرح عمر  
ابن حفصون ثم هاجم بلاد استوريا من هذه الجهة وقد ساعده  
حليفه محمد بن لب بن موسى بخيله ورجله . ثم عاد الى قرطبة في  
سبتمبر سنة ٨٨٢

ويؤخذ من روى أن ابن لب بعد أن فتح سرقسطة وتطيلة  
في شتاء سنة ٨٨٢ وأخذها من عمه رأى نفسه أميراً على امارة عظيمة  
على نهر ( ابرة ) الأعلى فحدثه نفسه بالاستقلال فهاجر بعصيان قرطبة  
وبذلك عادى ملك استوريا وملك قرطبة معاغلاً ول أمر بعض  
قادته أن يقتلوه فكان بينه وبينهم وقعت أدته الى طلب الصلح

(١) تروجة أو برجة — انظر الهامش السابق والرواية الآتية عن غالب  
ابن حفصون والظاهر ان كلمة ( قرطاجنة ) مقحمة فانها ليست من الثغر الاقصى الذي  
كانت فيه الغزوة بل هي في الشرق نحو الجنوب كما يرى ذلك في المصور ( الخريطة )  
وأن ابن الاثير يقصد ان اسماعيل كان في لاردة

من اذفونش — وفي ربيع ٨٨٣ حاصر جيش المنذر وابى الوليد  
سرقسطه ففتحها بعد يومين وعاش فيها وفي ضواحيها وفي جميع بلاد  
بنى غازى أى بنى موسى بن زياد ثم جاس خلال استوريا حتى دخل  
حدود ( ليون Léon ) في شهر أغسطس سنة ٨٨٣ وفعل في البلاد  
ما فعله في المرة السابقة ولكنه اضطر أخيرا الي مغادرتها راجعا الي  
( قسبيلة Castille ) وهناك بقى القائد أبو الوليد يخبر ملك استوريا  
في الصلح حتى أن هذا أرسل في شهر سبتمبر سنة ٨٨٣ الي ملك  
قرطبة رسولا اسمه ( دلقديوس Dulcidius ) وكان قسّ كنيسة  
طليطلة ليخبره في شروط الصلح ويظهر انه ماتم الاتفاق عايبا الا  
في ديسمبر هذه السنة وان من هذه الشروط ان يكون الفاصل بين  
المملكتين نهر دورو وبهذا دخلت المدن التي على شماله ومنها مدينة  
( سمورة ) في مملكة استوريا وقد استمر الصلح بين الامتين زمنا فلم  
يقع بينهما حرب في المدة الباقية من حكم محمد وهي نحو سنتين ونصف  
ولا في مدة حكم ابنه المنذر وعبد الله وقد حكم الاول نحو سنتين  
والثاني الي سنة ٩١٣

وفي سنة ٢٧٠ ( ٨٨٣ ) أى السنة التي تم فيها الصلح دعا الملك  
محمد أمراء أسرته ووزرائه وبطانته وولاة الاقاليم الي قرطبة  
وأعلن في مجلسهم ولاية العهد لابنه المنذر وانه هو الذى يحمل تاج  
الملك بعد وفاته وقد حلفوا له جميعا بيمين الطاعة

يروى ان عمر بن حفصون مات من جروحه في سنة ٨٨٣  
 فجدد ابنه غالب Calib عهد أبيه مع سكان جبال الفرنك وقد حرّكهم  
 حب الانتقام الى الأخذ بالثار فنزلوا معه من الجبال التي خلف  
 ( جاقّة ) حيث كانت أمنع حصن لابن حفصون الى أرض  
 ( برجة Borja ) وهناك شنّوا الغارة على شاطي نهر ابرة منادين بأن  
 غالب بن حفصون هو ملك هذه البلاد . لما بلغ قرطبة نبأ هذا  
 العاصي وأتباعه أمر الأمير المنذر الوليد بن عبد الحميد بجمع فرسان  
 طليعالة وقادهم الى مثار العصيان متخذاً طريق ( بلنسية ) لان لهيب  
 الثورة امتد على طول شاطي نهر ابرة كله . لما علم العصاة بمجيء  
 الأمير لجؤوا الى جبالهم . عسكر الأمير في طرطوشة وجعلها مركز  
 أعماله الحربية وسير ابن عبد الحميد ليدافع عن التخوم ويراقب  
 حركات الثائرين فقاتلهم اثناء هذه السنة والسنة التالية ٢٧١  
 ( ٨٨٤ — ٨٨٥ ) وفاز عليهم واسترد منهم الحصون التي على نهر  
 شيقر ونهر ( سنقه ) والتي على الانهار المتجهة نحو نهر ابرة لكنه في  
 آخر سنة ٢٧٢ ( مايو وأيونيه سنة ٨٨٦ ) اثناء ما كان يقتني أثر عصابات  
 مهزومة من نصارى الفرنك لم يأخذ الحيلة فوقع في كمين وأصبح  
 جيش المسلمين محصوراً في وادضيق عند حصن ( شيرس Xeriz )<sup>(١)</sup>

(١) قال ياقوت شيرس حصن حصين ومقل مكين من أعمال تاكرنا لكن  
 سياق الكلام يدل على أن هذا الحصن في الشمال فحدر



وقد جرح القائد ووقع هو وكثير من رجاله أسرى في أيدي العدو والباقون من الجيش انهزموا والتجأوا الى المدن المجاورة

لما بلغ المنذر نبأ هذه الواقعة حزن كثيرا وأرسل رسلا يفدون ابن عبد الحميد ففدوه بمال كثير كذا يؤخذ من كندى ورومى

في التواريخ العربية السابقة ان عمر بن حفصون لم يمت الا في سنة ٣٠٦ في عهد عبد الرحمن الناصر ولم يذكر فيها ابنه غالب ولا

الوليد بن عبد الحميد وأسره عند حصن شيرس ويؤخذ منها ان هاشم ابن عبد العزيز غزا سنة ٢٧٠ كورة (رية) واستنزل عمر بن حفصون

من جبل (بُبْشَر) <sup>(١)</sup> وقدم به الى قرطبة فآكراه الامام وأن هاشم بن عبد العزيز سار سنة ٢٧١ الى سرقسطة وفيها محمد بن لب

ابن موسي فلما أخرج منها محمدا فصالحه وأطاع وكان في عسكره عمر بن حفصون فلما عادوا الى قرطبة هرب عمر وقصد يبشتر مخالفا

وفي سنة ٢٧٢ سار هاشم الى ابن مروان الجليلي وحاصره بحصن منت مؤس <sup>(٢)</sup> ثم رجع عنه فاغار ابن مروان على اشبيلية ثم

نزل منت شلوط أو سليط Salud فامتنع فيه وصالح عليه الأمير

---

(١) قال ياقوت يبشتر حصن منفرد بالامتناع من أعمال (رية) بالاندلس بينه وبين قرطبة ثلاثون فرسخا وربما اشبعوا الباء الثانية فقالوا ببشتر

(٢) قال ياقوت (مؤس) بالسين المهمة في آخره حصن من أقليم من أعمال طليطلة وفي ابن خلدون مؤل بالنون في آخره ويظهر انه محرف عن مؤس

واستقام علي طاعته الى أن مات <sup>(١)</sup> وفي يونيو سنة ٨٨٦ سار المنذر  
ليهاجم صاحب الخامة فانه كان قد حالف ابن حفصون فاسرع هذا  
الى مساعدة حليفه فحصرها المنذر في الخامة مدة شهرين الى ان  
كادت تنفذ أقوات المدينة فعزم المحصورون على الخروج من المدينة  
واقترحوا جيش قرطبة فنالت عمر جراح وشلت يده وبعد أن فقد  
كثيرا من رجاله التجأ الى حصنه . بينما المنذر مسرورا بانتصاره اذ  
جاءه نبأ وفاة والده ليلة الخميس الثامن والعشرين من صفر سنة  
٢٧٣ <sup>(٢)</sup> ( ٤ أغسطس سنة ٨٨٦ ) <sup>(٣)</sup> لنحو خمس وثلاثين سنة  
من امارته فاسرع المنذر في العودة الى قرطبة . قال ابن عذاري كان  
الأمير محمد فصيحاً بليغاً عظيم الأناة يؤثر الحق وأهله لا يسمع من  
باغ ولا يلتفت الى قول زائع وكان عاقلاً على أخلاق جميلة ومكارم  
حميدة وذا بديهة وروية وكان أعلم الناس بالحساب وفي أمواله في  
أنفسهم وفي أعقابهم لا يكدر عنده كادح في شيء عن أحد هم فيئسمعه  
أو يئسمعه وكان محبوباً في جميع البلدان وكان محمد بن أفلح صاحب  
تاهرت لا يقدم ولا يؤخر في أموره ومعضلاته الا عن رأيه وأمره  
وكذلك بنو مدرار بسجلماسة وكان فردلند ملك افرنجية يسترجع  
عقله فيأديه

(١) ابن خلدون (٢) صفر هذه السنة ٢٩ يوما فقط (٣) يقول ابن  
عذاري أنه كان مع المنذر في هذه النزاه القائد محمد بن جهوروان صاحب الخامة  
هو حارث بن حمدون من بني رفاعة

☆ (٦) — المنذر بن محمد) ☆

٢٧٣ — ٢٧٥ هـ

ولى اماره الاندلس بعد وفاة أبيه محمد وكان ابن أربع وأربعين سنة فقد ولدته أمه ( أيل ) <sup>(١)</sup> سنة ٢٢٩ للهجرة ( ٨٤٤ للميلاد ) وبايعوه يوم الأحد لليلتين <sup>(٢)</sup> خلتا من ربيع الاول سنة ٢٧٣ ( ٧ أغسطس سنة ٨٨٦ ) وكنوه بأبي الحكم ولم تطل مدته بل أقام فى المملك نحو سنتين فيهما قتل وزير أبيه هاشم بن عبد العزيز فى شوال سنة ٢٧٣ وقاتل ابن حفصون وأشياعه ومات وهو محاصره فى صفر سنة ٢٧٥ وقد اختلف المؤرخون فى حوادث المنذر فمنهم من قال ان قتاله لابن حفصون وأشياعه كان فى الجنوب وان هذا خدعه وأخذ منه مائة بقل فى أول حصاره لقلمته وان المنذر مات اثناء حصاره الاخير لهذه القلعة وهى حصن بُدَشْتَر ومنهم من قال ان القتال كان فى الشمال وأن ابن حفصون خدع هاشما وهو يحاصره فى طليطلة وأخذ منه البغال وان المنذر قتل وهو يقاتل أحزاب ابن حفصون فى قلاعهم على شواطىء نهر التاجه وأخوه عبد الله يحاصر طليطلة

(١) كذا ذكر ابن عذارى اسم امه وأيل كسيد الوعل أو الأروى ج أيايل

(٢) قال ابن الاثير ببيع له بعد موت أبيه بثلاث ليال اه أى ليلة الجمعة من

صفر وليالي السبت والاحد من ربيع الاول

والتفصيل هذا الاجمال نستخلص من كلام المؤرخين ما يأتي :  
 قال ابن خلدون ولى بعد محمد ابنه المنذر فقتل لاول ولايته  
 هاشم بن عبد العزيز وزير أبيه وسار في العساكر لحصار بن  
 حفصون فحاصره بمحصن بُدشتر سنة أربع وسبعين وافتتح جميع قلاعته  
 وحصونه وكان منها رية وهي مالقة وقبض على واليها من قبله عيشون  
 فقتله ولما اشتد الحصار على ابن حفصون سأل الصالح فاجابه وأفرج  
 عنه فنكت فرجع لحصاره وصالح ثم نكت مرتين فاقام المنذر على  
 حصاره وهلك سنة ٦٧٥ لستين من امارته فولى مكانه أخوه عبد الله  
 وقتل بالامساك الى قرطبة وقد اضطربت نواحي الاندلس بالثورار  
 فقتل الخراج لامتناع أهل النواحي من الاداء وكان خراج الاندلس  
 قبله ثلثمائة الف دينار مائة الف منها للجيش ومائة الف للنفقة في  
 النوايب وما يعرض ومائة الف ذخيرة ووفرا فانفقوا الوفرا في تلك  
 السنين

ويؤخذ من ابن عذاري ان أهل قرطبة كانوا يسمون في هاشم  
 لدى المنذر ويؤولون كلامه للايقاع به حتى انه لما أنشد عند مواراة  
 الأمير محمد

أعزّي يا محمد عنك نفسي      أمين الله ذا المن الجسام  
 فهلا مات قوم لم يموتوا      ودفع عنك لي كأس الحام  
 تأولوا أنه يريد بقوله « قوم لم يموتوا » المنذر وما زالت تدب

بينهما عقارب السعاية حتى أمر المنذر بسجن هاشم وكتب هذا إلى جاريته وهو في السجن

وإني عدائي أن أزورك مُطَبِّق  
فإن تسجبي يا عاج مما أصابني  
ترك رشاد الأمر إذ كنت قادرا  
وكم قائل قال انج ويحك سالما  
فقلت له انت الفرار مذلة  
سأرضى بحكم الله فيما ينوبني  
فمن يك أمسى شامتا بي فانه  
ثم بعث فيه الأمير ليلا فقتله ونهب ماله وسجن أولاده وأزهم  
غرم مائتي ألف دينار فلم يزلوا في السجن والغرم إلى موت المنذر  
وولاية أخيه عبد الله فاطلقتهم ورد إليهم ضياعهم

وفي سنة ٤٧٣ كانت الواقعة على أهل طليطلة وكانوا قد جئشوا  
البربر المنفيين من ترجيلة فقتل منهم ألف

وفي سنة ٢٧٤ خرج الأمير المنذر بجيشه إلى عمر بن حفصون  
فافتتح حصونه برية . . . . . وحاصر أرجندونة إلى أن نبذوا  
طاعة رئيسهم عيشون واسلموه إلى الأمير المنذر فدخلها وافتتح حصون  
بنى مطروح بجبل باغه وأسمر منهم اثنين وعشرين رجلا وأرسل  
الأسري إلى قرطبة فصلبوا جميعا وصلب مع عيشون في الخشبة خنزير

وكالب لانه كان يقول اذا ظفر بي فليصلبني وايضا اب عن يميني خنزيرا وعن يساري كلبا ثم حاصر المنذر ابن حفصون وأخذ بمخنقه وسد أفواه طرقة فأعمل الفكر في الخديعة والمكر وأظهر الانابة الى طاعة الامير على أن يكون عنده من خاصّة جنده وقطّان قرطبة بأهله وولده وان يلحق ابناؤه بمواليه فأجابه الامير الى ما طلب . . . . . فسأله مائة بقل يجعل عليها جملة متاعه وعياله فأمر الامير أن تقاد اليه البغال ومعه عشرة عرفاء ومائة وخمسون فارسا اكراما فأرسلها ابن حفصون الى بيشتر لسكن لما انقضّ جمع ذلك المسكر ودخل الليل هرب عمر ابن حفصون الى قلعته فلقى العرفاء فناصبهم القتال وأخذ منهم البغال وعاد الى سيرته الاولى فأقسم الامير المنذر أن يقصده ويحلّ عليه ولا يقبل منه أو يلقي بسده اليه فجمع جنوده واحرق بقاعة بيشتر ثلاثة وأربعين يوما حتى يئس ابن حفصون لسكن أصابت المنذر علة اكذبت نفسه وكذرت أنسه فبعث الى أخيه عبد الله لينوب منابه فلما حصره أسلم روحه الي بارتة وعاد عبد الله بالعاكر الى قرطبة ومعهم جمل يحمل المنذر فدفن مع أجداده وكانت وفاته منتصف شهر صفر من سنة ٢٧٥ وهو ابن ست واربعين سنة وملاك نحو سنتين

ويؤخذ من دوزي ما تعرييه مع تصرف أن المنذر بعد أن عاد من الحامة الى قرطبة لوفاة أبيه محمد اغتتم عمر بن حفصون من هذه

الحادثة توسيع سلطانه فدعا أصحاب الحصون ( التي بينه وبين الساحل ) الى أن يتبعوه فطاعوه ورضوا به جميعا أن يكون ملكا عليهم ومن ذلك الحين صار الملك الحقيقي للجنوب ومع هذا وجد في السلطان التباعد على كرسى الملك قرنا شهما يحول بينه وبين ما يشتهي يقول عنه الامويون لو عاش سنة زائدة لاضطر عصاة الجنوب الى القاء السلاح فتدققت جنوده العصاة مقاومة شديدة حتى أن أقاليم قبرة وإلبيرة وجيان سارت ميادين حروب دامية يتعاقب فيها النصر والخذلان ففي ربيع سنة ٨٨٨ للميلاد سار المنذر بنفسه نحو الثأرين واستولى على بعض الحصون وعاث في ضواحي بُبْشَر وحاصر أُرْشُدُونَة <sup>(١)</sup> وفيها عيشون وكان شديد البأس يثق بشجاعته في القتال لا يقوى أحد على منازلته حتي كان يقول اذا ظفر بي السلطان فليصلبني وليصاب على يميني خنزيرا وعلى يساري كلبا — فانه ان السلطان عنده وسيلة للقبض عليه أقوى من قوة السلاح فقد دس اليه بعض أهل المدينة بأن يمتثلوا في أخذه فوعده بان يسلموه اليه حيّا في يوم دخل عيشون سسكن أحدهم وهو أعزل فكباوه بالحديد وسلموه الي السلطان فصلبه بالطريقة التي رسمها لنفسه وبعدئذ سلمت أُرْشُدُونَة ثم ظفر السلطان ببني مطروح

(١) وفي ابن عذارى أُرْجُونَة قال ياقوت أُرْشُدُونَة مدينة بالاندلس مدودة في اعمال رية قبلى قرطبة بينهما عشرون فرسخا وقال أُرْجُونَة مدينة بالاندلس قال ابن حوقل رية كورة عظيمة مدينتها أُرْجُونَة فيها كان عمرو بن حفصون الخارج على بني أمية اه فهل هما مدينتان أو مدينة واحدة تسمى أُرْجُونَة أو أُرْشُدُونَة

الثلاثة وفتح حصونهم بجبل باغة وأسر معهم تسعة عشر من عمالهم  
وصلب الاثنين والعشرين في قرطبة وبعد ذلك حاصر ببشتين حتى  
ضاق ابن حفصون ذرعا من الحصار ولم يجد وسيلة إلى الخلاص إلا  
الخداع فعرض الصالح على المنذر قائلا له أسكن قرطبة أنا وأهلي  
وأكون أحد قواد جيشك وأبناي مواليك . غرّ المنذر هذا الكلام  
وأحضر من قرطبة القاضي والعلماء ليحرروا عقد الصالح كما عرض ابن  
حفصون ففعلوا — وبعدئذ حضر ابن حفصون إلى السلطان والتس  
منه أن يبعث إلى ببشتين بمائة بغل ليحمل عليها أثقاله إلى قرطبة فأرسل  
إلى قلعته ما طلب ومائة وخمسين فارسا وعشرة حرّاس من الضباط  
ورحل الجيش المحاصر إلى قرطبة لكن ابن حفصون تركب جنان  
الظلام وغفلة الحراس وفرّ إلى حصنه وتبعه جنده وهجم على  
الحراس وانتزع البغال منهم — كاد المنذر يتميز من الغيظ من فسخة  
ابن حفصون فأقسم أن يعود إلى حصار قلعته وياخذ بخناقها ولكن  
حال الموت دون أن يبرّ بقسمه فقد اختطفته يد المنون أثناء الحصار  
في ٢٩ يونيو سنة ٨٨٨ ( منتصف صفر سنة ٢٧٥ )

ويؤخذ من رومي وكندي ما تعريبه مع تصرف أن المنذر لما  
جاء من المريّة إلى قرطبة لأخذ البيعة دخل بملايس السفر في البهو  
المعدّ للاحتفال بجزاة أبيه فقام الحاجب هاشم بن عبد العزيز وأخذ  
يقرأ كتاب تولية المنذر كالعادة حتى وصل إلى ذكر محمد فخرن عليه



وفاضت عبراته وعلا نحيبه وعقد لسانه وكاد الحضور لا يسمعون صوته حتى اضطرروه الى اعادة ماقرأ وقد نظر المنذر الى ذلك بين الغضب والسخط ولما جرى بالنعش الى القبر هلع هاشم هلمما غير مألوف حتى خلع رداءه ونزع عمامته وصاح يندب محمدا قائلا « واحمداه ليتني كنت معك فاني سأسقى كأس الحمام من أجلك » فأحفظ هذا الأمير الجديد ومع ذلك بقي هاشم في حجابته ولكنه يئس من سعادة مستقبله

في هذه الاثناء استولى غالب بن حفصون على اسبانيا الشرقية وآلت اليه سرقسطة ووشقه وبواسطة الجبلين امتدت سلطته على جميع الارضين التي يسقيها نهر ( ابرة ) من الشاطئين ماعدا طرطوشة وعندئذ جمع عشرة آلاف فارس فوق ماعنده من المشاة وسار بهم الى طليطلة حتي دخلها وقد ساعده نصاراها ونادوا به ملكا عليهم ثم ملك قلاع نهر التاجه وأقام حراسا عليها يهددون سلطان الأمير فارسل المنذر جيشا تحت امرة هاشم ( الذي يكرهه باطنا من جراء ما ذكرناه سابقا ) فاسرع الخطى حتى بلغ تخوم طليطلة وحاصرها بشدة

رأى غالب أنه لا يقوى على الجيش المحاصر فطالب مددا من حلفائه ولأجل ان يوجد زمنا كافيا لمجيء المدد اليه عمد الى الخديعة فعرض على هاشم الصالح بأنه يسلمه المدينة وينسحب الى أسبانيا الشرقية غير انه يحتاج الى بغال ليحمل عليها جرحاه واقواته التي في

مخازن طليطلة وأنه ماجأها الا مخدوعا من نصاراها وأشرار مسلميها  
 فاعتقد هاشم صدق هذا القول وتوسط لدى المنذر في أن يمنح ابن  
 حفصون ما طلب ناظرا الى أن في هذا الاتفاق حسم حرب أهلية  
 دموية طويلة مرّتاب في عاقبتها — فردّ عليه <sup>(١)</sup> الملك يحذّره خداع  
 الثعلب الماكر غالب بن حفصون — ومع هذا التحذير لازال هاشم  
 ظانّا صدق غالب فكتب الى الملك ينبئه أن ليس في الأمر كبير خطر  
 وأن الثائر اذا أخذ البغال وحملها وأبي تسليم المدينة حاربناه واذا  
 سلمها أمنا شر حرب خسائرها فادحة وان كتب لنا النصر —  
 وبعدئذ أعطى هاشم غالبا دوابّ الحمل التي طلبها فاخرج قسما عظيما  
 من جيشه من طليطلة وأخفى باقي الجيش فيها — وحمل البغال بالجرحي  
 والذخائر موهمًا أنه وأتباعه تاركون المدينة حسب الاتفاق وقد  
 احتلها في الحال بعض جنود الاندلس تحت امرة وال مخلص  
 للامويين — حينئذ عاد هاشم وجيشه الى قرطبة وهنّا الأمير بماتم  
 وما درى ان هذا ما كان الا خداعا من ابن حفصون فانه بمجرد  
 ما علم برحيل عساكر قرطبة وبقرّب مجيئ النجدة من حلفائه الجبيلين  
 أشعل نار الحرب وتمكن من دخول طليطلة بواسطة أهلها وجنوده  
 المختبئين وآل الامر الى أن استولى بسهولة على القلاع التي على شاطئ  
 نهر التاجة الايسر وبذلك امتدت سلطته على اسبانيا الوسطى

(١) من كلام كندى وهو يعبر عن امراء بنى أمية في الاندلس بالملوك

جاءت الرسائل تنبيء الملك بحركات ابن حفصون هذه فاخذها هاشم من حاملها وكان خارجا من منزله مع ابنه عمر وفضها وقرأها لما علم المنذر بالأمر امتلا غضبا وسخطا على هاشم وأرسل اليه كوكبة من الخيل تجيء به فدخل رسول اليه في قصره ورأى أناسا قد اقتربوا منه للسلام عليه فمنعهم قائلا لهم « أنتم مخطئون ليس هذا الشخص الجدير بالاحترام » أدرك هاشم الأمر المرسل اليه من الملك فلم يفهم بينت شفة بل أركب حصانا صعب القياد سريع الخطى وسارت الكوكبة حتى بلغت باب المدينة فجفل الحصان وألقى بصاحبه على الأرض مفشيا عليه زمنا ولما حضر مجلس المنذر صاح فيه قائلا « أنت الذى أشرت على بهذه المارقة أنت الذى ساعدت العاصى على خيائه لا بد من قتلك اليوم حتى تكون عبرة لغيرك » وقطع رأسه فى ساحة القصر فى ٢٦ شوال سنة ٤٧٣ ( ٢٥ مارث سنة ٨٨٧ ) وقيل حبسه أياما قبل قتله وعزل ولديه عمر وأحمد من ولايتي جيآن وأبدّة<sup>(١)</sup> Ubéda وسجنهما وصادرهما فى مالهما

وعقب ذلك أمر قواد الاندلس وماردة بجمع الرايات واللاحاق به نحو طليطلة - وفى اليوم الثانى توجه مع جنود حرسه وأخيه عبد الله. علم أحزاب ابن حفصون بتوجه المنذر اليهم فلم يجرأوا على مقابلته بل بقى بعضهم فى طليطلة وبعضهم فى قلاع اقليمها فكلف الأمير

(١) قال ياقوت أبدة بالضم ثم الفتح والتشديد مدينة بالاندلس من كورة جيآن.

أخاه عبد الله بحصار المدينة وأخذ هو يتعقب العصاة ومساعدتهم  
وقاتلهم حتى تمكن من طرد بعضهم من القلاع التي كانوا يحتفلونها  
على نهر التاجا وأحرق بعض القرى التي تحصن فيها النصاري واستمر  
القتال أكثر من سنة حتى دخلت سنة ٢٧٥ فكان المنذر يجتهد  
في إيجاد معركة تكون حاسمة يئد أن ابن حفصون كان يتجنب  
بمخندق مقابلة جنود الأندلس . ففي يوم اكتشف المنذر وهو في  
عدد قليل من الفرسان جيشا كثيفا من العصاة معسكرا على  
ربوة قريبة من حصن وبدي<sup>(١)</sup> Webda فدفعته شجاعته وحميته  
أن يلقي بنفسه وفتته القليلة بين أعدائه الكثيرين غير مبال بكثرة  
عددهم ولا منعة موقعهم فتقهقروا أولا ثم ارتدوا وأحدقوا بفرسان  
الأندلس فقاتلوا بشجاعة فائقة حتى قتل كثير منهم وأصيب المنذر  
بعدة رماح فسقط صريعا في ميدان القتال وذاع الخبر بان الأمير  
قتل فظن جيش غالب أن المقتول قائدهم ففرّوا من ساحة الوغى  
ولم يمكن بقية جيش قرطبة أن تتبعهم لقلّة العدد ودخول الليل  
وكان موت المنذر في صفر سنة ٢٧٥ ( يوليوس سنة ٨٨٨ ) لنحو  
سنتين من حكمه

لما علم عبد الله بموت أخيه رجع الى قرطبة حيث تمت له البيعة

(١) قال يافوت وبدي مدينة بالأندلس قرب طليطلة

## ﴿ ٧ - عبد الله بن محمد ﴾

من سنة ٢٧٥ الى سنة ٣٠٠ للهجرة

ولى عبد الله بن محمد اماره الاندلس وعمره نحو ٤٥<sup>(١)</sup> سنة فقد ولدت له أمه<sup>(٢)</sup> سنة ٢٣٠<sup>(٣)</sup> وبويع يوم السبت منتصف شهر صفر سنة ٢٧٥ وكان يوم وفاة أخيه المنذر عند حصار بيشتر أو طليطلة كما تبين قبل صعد على كرسى الامارة ودعائها تكاد أن تنقض فقد كثر في أنحائها قيام الثوار وتغلبوا على الكور والمدن وامتنعوا من أداء الخراج<sup>(٤)</sup> لكن انقطع قتال الفرنج والجلالة ولولا ذلك لساوت العقبي وتخلص ظل مملكة الامويين في أسبانيا من الاطلاع على مقاله المؤرخون في حياة الامير عبد الله نرى أن ليس في أقوالها تطابق بل اختلاف كثير يدل على تناقض

- 
- (١) يقول ابن الاثير انه بويع وعمره ٤٢  
 (٢) يقول ابن الاثير انها أم ولد واسمها عشار ويقول ابن عذارى أن أمه كانت تسمى بهار أو عشار ويكتب كندى اسم الام Athara  
 (٣) كذا في كندى ويقول رومى أنه ولد سنة ٢٣٨ ويقول ابن عذارى أنه ولد في نصف ربيع الآخر سنة ٢٢٩ ويخطئ رومى كندى في أن الولادة كانت سنة ٢٥٠ مع أن الذى قاله كندى سنة ٢٣٠ كما ذكرنا (٤) قال ابن خلدون كان خراج الاندلس قبله ثلثمائة ألف دينار ومائة ألف منها للجيش ومائة ألف للنفقة والنواب وما يعرض ومائة ألف ذخيرة ووهرا فأنفقوا الوفر في تلك السنين

الحوادث وزيادة بعضها في موضع ونقصها في آخر وذلك لا يؤدى الى الحقيقة الا على وجه مجمل فيؤخذ من كندى ورومى

١ — ان عبد الله في مبدأ حكمه غزا ابن حفصون في كورة طليطلة على نهر التاجنة

٢ — وان له ولدين محمدا وعبد الرحمن المظفر وان الأول كان والى اشبيلية وعصى أباه والثاني جاءه ليرده عن عصيانه فاني فخاربه وأسره وأكرمه وعنى بجر وحه وحبسه في قلعة في اشبيلية وأن محمدا مات في محبسه من الجروح ولم يمت مسموما

٣ — وأن عبد الله غزا سوارا وأسره في كورة البيرة وقطع رأسه وأرسله الى قرطبة

ويؤخذ من ابن خلدون وابن عذارى ودوزى ما يخالف ذلك فلم يحى فيها غزو طليطلة في مبدأ حكم عبد الله بل جاء فيها غزوة (بلى) وان ولدى عبد الله هما محمد والمطرف (لا المظفر) وأن الاول ذهب مغاضبا من قرطبة الى ابن حفصون فاسترضاه والده فعاد الى قرطبة وحبس في القصر حتى قتله أخوه وان الذي قتل سوارا هو جعد وجى بالجثة الى مدينة البيرة فقطعت

هذا بعض ما اختلفوا فيه وليان ذلك مفصلا نقول يستخلص من كندى ورومى ما يأتى

بعد موت المنذر أسر أخوه عبد الله الذي كان يتولى حصار

طليطلة قوادده ان يستمرّوا على الحصار وتوجّه الى قرطبة ومعه كوكبة من الفرسان المخلصين له فبلغها في الوقت الذي اجتمع فيه مجلس الشوري إثر ورود النبأ بموت أخيه المنذر لينظر في الأمر فحضر عبد الله المجلس فقام أعضاؤه لمنظره وأعلنوا امارته وحلفوا له يمين الطاعة فاول عمل بدأ به أن أمر بنقل جثة أخيه الى قرطبة واقامة الشعائر اللائمة بجنائزته وكاف أخاه يعقوب بآتمام ذلك

كان عبد الله جميل الصورة أزرق العينين معتدل القامة فطنا ذا علم وشجاعة

في أول يوم من حكمه أطلق سراح ابني هاشم بن عبد العزيز وسراح معلمهما جابر بن غيث اللبلي وكان من مشاهير علماء ذلك العصر وردّ اليهم أموالهم - جذبت هذه المكارم أهل قرطبة الى محبته فان ابني هاشم كانا محبوبين كثيرا عندهم وفوق ذلك ولّى الامير عبد الله عمر بن هاشم ولاية جيّان التي كانت مع أبيه وأقام أحمد ابن هاشم رئيس حرسه - هذه المكارم وان أرضت أهل قرطبة لكنها أغضبت أسرة الامير ولا سيما ابنه محمد والى اشيلية وقد أدّى ذلك الى ثورة شغلت الامير عن الاستمرار في قتال ابن حفصون وإلى ان ابنه محمدا وأخويه الاصبع والقاسم والي شريش وشذونة شقوا عصا الطاعة في جنوب الاندلس وانضم اليهم ولاية وقواد آخرون وناروا على والي جيّان عمر بن هاشم الذي استولى

على كرسى الولاية منذ أيام

صار الأمير عبد الله مهديداً من ابنه من جهة ومن ابن حفصون من أخرى فكان واقفاً بين نارين فقسم قواه الى قسمين أرسل قسماً الى اشبيلية تحت امره ابنه الطائع عبد الرحمن المظفر كي يرد أخاه عن غيّه وتوجه الأمير نفسه بالقسم الآخر الى طليطلة لكن في هذه الاثناء جاءه نبأ ثورتين احدهما من والى اشبونة والاخرى من قاضي ماردة فالأول قام على الولاة المحافظين على نهر دويرة فأمر الأمير عبد الله وزيره أبا عثمان عبيد الله بن أبي عبدة معلم ابنه المظفر أن يأخذ القوة البحرية المجهزة في ولبة واكشونية<sup>(١)</sup> وينقض بها على والى الثائر - والثاني سليمان بن أنس بن الباجة أثار أهل ماردة على واليها حتى طردوه واستقل هو بولايتها فخرج الأمير (اثناء توجهه الى حصار طليطلة) على ماردة ودخلها فجأة بجيشه الجرارة فتضرع اليه القاضي الثائر ملتصقاً العفو فعفا عنه لشبابه واستعداده وصفح عن شركائه أيضاً ثم عاد الأمير الى متابعة سيره نحو طليطلة التي كانت في يد ابن حفصون حتى فاجأه في سهل على نهر التاجية فاقبل الفريقان وانتصر فرسان قرطبة وانهزم أعداؤهم وسقط كثير

(١) في نزهة المشتاق ولبة مدينة مطية على جزيرة شاطيش وقال ياقوت اكشونية مدينة بالانديلس يتصل عملها بعمل اشبونة وهي غربي قرطبة وهي مدينة كثيرة الخيرات برية بحرية قد يلتقي بحرها على ساحلها النهر



منهم في النهر ففرقوا وحال دون القتال دخول الليل - استمرت المعارك في اسبانيا الوسطى ولكن بدون نتائج حاسمة للنزاع - حينئذ جاء الامير عبد الله كتاب من ابنه المظفر ينبئه أن المفاوضات بينه وبين أخيه محمد لم تنجح وأنه تهيئه قوى من الثائرين وأنه يخشى أن محمداً يجعل وجهه قرطبة وأن كورة جيان مشتعلة فيها نار الهيجان من تعدى شركاء أخيه وأنه يرى أن يترك حصار طليطلة لقواده ويرجع سريعا إلى قرطبة - لهذا عاد الامير إلى قرطبة لينظر بنفسه في اخضاع ابنه العاصي وقد آله ترك قتال ابن حفصون وأخذه في محاربة ابنه ولكن لطف آلامه أن جاءه من أبي عثمان ما ينبيء بانتصاره في لوزيتانيا واخماده نار الثورة فيها وقتله وإلى اشبونة الثائر ومن تبعه من الولاة الآخرين .

في تلك الآونة ارتبكت أحوال الاندلس ارتبا كاشديدا اذ أصبح ميدانا للمعارك ومنازعات القبائل الفاتحة وغيرها فان رؤساء السكور الاندلسية اتخذوا سريان الفتن والشقاق بين الاسرة المالكة وسيلة لنيل غرضهم وهو التفرد بما في أيديهم من المدن والاقايم ولم يقفوا عند هذا الحد بل اعتدوا على السكور الخاصة بقرطبة ووجهوا عنايتهم إلى استئصال الدولة الاموية من اسبانيا

في ذلك الوقت كان غالب بن حفصون<sup>(١)</sup> يعلم اضطراب

(١) كذا يقول رومي واما كسندي فيقول هنا (حفصون بن أريوس)

المملكة وقيام القلاقل في أنحاء الاندلس فتويت آماله فوجه عبد الله بن أمية لينهب كورة جيّان وهذا ضمّ قواه الى قوى سوار<sup>(١)</sup> ابن حمدون القيسى وكانت سبعة آلاف رجل واستولوا معا على مواقع من اقليم جيّان ومنبوها ثم انضم اليهم أتباع يحيى بن صفالة أمير العرب وكذا انضم اليهم جيش حزب المولدين وكان ستة آلاف رجل من العرب والنصارى استأجرهم رؤساؤهم الاغنياء وهذه الجيوش استولت على بعض القلاع وزحفت الى الامام في البرارى التى فى جنوب النهر الكبير فسيّر الملك اليهم جعد بن عبد الغافر والى جيّان<sup>(٢)</sup> فخارجهم لكنه انهزم وخسر سبعة آلاف من رجاله ووقع هو وكثير من قواد جيشه أسرى في أيدي الأعداء فقادوهم الى برجالة أى القلاع الجديدة غرناطة فى غربى مدينة البيرة<sup>(٣)</sup> وقد قوّى هذا النصر اطماع العصاة فانتشروا فى جميع الكور وأخذوا وشقة وجيّان وريّة وارشدونة واقليم البيرة الى قلعة دباح وكانت هذه الواقعة فى نهاية سنة ٢٧٦ (ابريل سنة ٨٩٠)

(١) كان سوار أحد رؤساء القبائل الاقوياء فى شرق الاندلس وكان عدو الدوداليسوريين فى قرطبة فان الامويين منهم اختصوا بالرياسة دون غيرهم وقد أنشأ أو كبر عدة مدن فى جنوب وغرب نهر شنيل مثل الحمراء وياسة ووادي آش — والقلاع التى بناها هو والرؤساء الأثرون فى جنوب غرناطة كانت تسمى برجالة Bordjêla أى القصور المتحدة (للهابروج الله) وحرف الاسبانىون هذه الكلمة وقالوا البجراس Alpujarras

(٢) كذا فى كندى وروى فلاحظه وقابله بما يأتي

(٣) يقول رومى ربما كانت هذه المبادئ الحقيقية لمدينة غرناطة

لما بلغ الملك عبد الله خبر تلك الحوادث المحزنة أقسم أنه لا يعود الى عاصمته إلا بعد أن يبيد هذه العصايات فجمع جنود الاندلس وفرسان حرسه وسلم قيادة المشاة والرماة الى عبد الرحمن ابن بدر وكان قائدا ضاريا بالحروب في الجبال — وطىء الملك بجيشه أرض جيان فقابلته فئات من العصاة فبذد شملهم وانهزموا واقتفى آثارهم نحو الجنوب حتى أدرك سوارا عند سفح برجالة ومعه قومه العرب وأقوام من البيرة والحراء وغرناطة فدارت رحى الحرب وجرح سوار وأسر وسبق أمام الملك فامر بقطع رأسه فقطع وأرسل الى قرطبة وكان ذلك في أوائل سنة ٢٧٧ ( يونية أو يولية سنة ٨٩٠ ) وقد أكد ابن حيّان انه قتل في هذه الواقعة المسماة بواقعة مدينة البيرة اثنا عشر ألفا منهم يحيى بن صفالة أمير العرب اليمانيين

بعد قتل سوار بن حمدون أقام العصاة رئيسا عليهم سوريّا قنّسريّا يسمى سعيد بن جودي — كان على جانب عظيم من الشجاعة والجرأة لكن يعوزه الحزم — وثق بشجاعة أتباعه فالتقى بهم الى سهول غرناطة ولوشة وقاتلوا جيش الملك فدمروا وولوا الفرار وجرح رئيسهم وأسر وسلمت عيناه بالحديد المحمي وقطع رأسه في ثالث يوم<sup>(١)</sup>

(١) كذا في كندي وفيه نظر فان سعيد بن سليمان بن جودي سيأتى ذكر قتله في سنة ٢٨٤ فيحتمل أن قتله في هذه الواقعة غير صحيح أو أن سعيدا هنا غير سعيد هناك ولذا قال رومى أن الرئيس المختار هنا أخو سعيد بن سليمان بن جودي الذي رتا سوارا وفي قوله نظر أيضا لانه كيف يكون سعيد بن جودي أخا سعيد بن سليمان بن جودي؟

## وأرسل الى قرطبة

بعد ذلك اجتمع الباقون من جيش العصاة في البيرة وانتخبوا رئيسا عليهم محمد بن أضحى الفارسي صاحب حصن الحامة<sup>(١)</sup> لكنه كان أقل جراءة من سابقه فالتجأ برجاله الى جبال انتميرة وغرناطة ورندة فاختبأ فيها متجنباً قتال جنود عبد الله — حينئذ أشار الوالى عبد الرحمن بن بدر على الملك أن يترك هؤلاء قطاع الطرق ويعود الى قرطبة عاصمة مملكته فماد اليها بعد أن ترك قوة اعتقدها كافية لِكَيْسَحْ بهاج الثوار<sup>(٢)</sup> بعد أن عاد عبد الله الى قرطبة أرسل قوة عظيمة من الفرسان الى ابنه المظفر كي يرد أخاه محمدا الى الطاعة فبهذه القوة امكن أن ينتزع من أخيه مدينتى اشبيلية وقرمونة وأخذ يقتني أثره حتى أدركه في اقليم الشرف غرب اشبيلية وكان بينهما واقعة هائلة استدم قتالها بين الفريقين فقد كان في فريق محمد شجيمان شريش وأركش وشدونة وفي فريق المظفر شجيمان قرطبة واستمجة وقرمونة واشبيلية لكن آل العراك الى نصرة جيش قرطبة وقتل حصان محمد وأصابته بجروح مؤلمة منعتة من أن ينهض فحمل الى أخيه فاص بالاعتناء به وتضميد جراحه وقد حلّ مثل ذلك بالقاسم أخى

(يكون الاول عم الثانى لأخاه)

(١) فى هامش رومى مدينة الحمامات La ville des bains

(٢) يقول ابن عذارى (ص ١٣٩ ج ٢) أن ابن أضحى تولى أمر العرب بجانب

البيرة مطيعا للأمير عبد الله فحارب ابن حفصون فأسر هذا فنداه العرب بهال جسيم

عبد الله فأخذ مغطى بالجروح وجيء به الى ابن أخيه فاعتنى بشأنه وجيء بالمجروحين الى اشبيلية وحبسوا في قلعة مات فيها محمد بعد أيام قلائل من جراحه ومن حزنه من أن يرى مقهورا — يزعم بعضهم أنه مات مسموما ولذا كانوا يلقبونه بالمقتول لكن هذا غير الواقع فقد أكد الكتّابون أنه مات الا من جروحه في ١٠ اشوال سنة ٢٨٢ (٣ ديسمبر سنة ٨٩٥) وكان ابن ثمان وعشرين سنة<sup>(١)</sup> وترك ولدا عمره اربع سنين يسمى عبد الرحمن وكانوا يلقبونه بابن المقتول وقد جعل الله له شأنا عظيما كما سيعجب

عقب هذه الواقعة ولى عبد الله ولاية في شريش واسطبة وشذونة . في السنة عينها أي سنة ٢٨٢ قام شقاق بين الوزير عبد الملك<sup>(٢)</sup> والوالى عمر بن هاشم أدّى الى مبارزتهما وقتل الاول الثانى — بعد أيام قلائل اقتص المطرف بن الملك محمد<sup>(٣)</sup> لعمر بن هاشم فقتل عبد الملك على مسافة ميلين من اشبيلية وولى مكانه احمد بن هاشم أخا عمر المقتول وولى الملك عمل عبد الملك ابنه مروان — في رمضان هذه السنة قتل المطرف غيلة ليلا في الطريق وكان ابن أربع وعشرين

(١) كذا يقول كندى ويقول رومى انه كان ابن سبع وعشرين سنة

(٢) يقول كندى أن عبد الملك كان وزيرا وقائدا وان عمر كان واليا ويقول رومى

ان الاول كان والى قرمونة والثانى والى جيان ويقولان ان الاول ابن عبد الله ويقول غيرهما أنه ابن أمية (٣) يقول كندى ورومى ان المطرف كان ابن الملك محمد ويقول

غيرهما انه كان ابن الامير عبد الله وانه هو الذى كان يخاصم محمدا لا «المظفر»

سنة وكانت خصاله الحميدة تجعله في منزلة عالية فوق أقرانه الشبان  
توجهت الظنون الى أن القاتل مروان بن عبد الملك للعداوة  
المعروفة بينهما فسيق الى القضاء ويظهر أنه قام ما ثبت التهمة عليه  
ولم يستطع ان يبرئ نفسه فحكم عليه بالسجن فسجن الى ان مات  
سنة ٢٨٤ . ( رجع الى مابعد واقعة البيرة )

بعد أن قتل سوار بن حمدون رثاه سعيد بن سليمان بن جودي  
بقصيدة منها ما معناه

( في جبال البيرة تكسر سيف سوار السيف الذي البس نساء  
قرطبة ثياب الحداد السيف الذي سقى الاعداء كؤوس المنون )

وبعد ذلك انضم سعيد الى غالب بن حفصون فان سعيدا هذا  
كان من حزب الموالدين وكان يقال أنه جمع من صفات الاشراف  
عشر صفات المكرم والشجاعة والفراسة والعفو والشعر والفصاحة  
والقوة والمهارة في الطعن بالرمح والضرب بالسيف والرمي بالقوس .

لا يعلم السبب الذي أدى في ذلك الوقت الى وقوع خلف بينه  
وبين ابن حفصون حتى أن الاول دعا الثاني الى المبارزة فامتنع  
لكن سعيدا فاجأه يوما في الميدان فاوقعه عن قريوسه وكاد يقتله  
لولا أن أدركه أتباعه <sup>(١)</sup> نشأ عن الخلاف بينهما أن عاد سعيد الى  
طاعة الملك عبد الله فولاه كورة البيرة ولكن قتله اغتيالا بعض

أتباعه في شهر ذي القعدة سنة ٢٨٤<sup>(١)</sup>

وفي سنة ٢٨٥ أجذبت الأرض فلم تثبت فنجم عن أجسادها  
مجاعة عمّت أسبانيا وأفريقية وأضرّت بالناس ولا سيما الفقراء وأعقبها  
وباء فتك بالخلق فتكا ذريعا حتي أنهم كانوا يدفنون جملة من  
جثث الموتى في قبر واحد ولا يستطيعون أن يحفروا حفرا كافية بقدر  
عدد الاموات وكانوا يدفنونهم بدون غسل وكان المشرفون على الموت  
يذهبون بانفسهم الى المقابر

كانت تقع هذه الحوادث والسلم ضارب أطنايه بين اذفونش  
الثالث وعبد الله ولم يقطع روابط المودة بينهما الا حادثة غريبة وهي  
انه كان في حزب غالب بن حفصون أمير موآد ذو قرين من بنى أمية  
يسمى أحمد بن معاوية ويكنى بابي القاسم أخذ من ابن حفصون  
السلطة العليا على إقليم طليطلة وطليطيرة ووّجه عزمته الى أن يأخذ من  
النصارى سمورة ويلجئهم الي شمال نهر دويرة فجمع نحو ستين الفا  
من المشاة والفرسان منهم بربر مستأجرون وهجم على مدن الحدود  
بدون تفرقة بين مدن النصارى ومدن المسلمين ونهبها وألجأ النصارى  
الى مدينة سمورة فتحصنوا بها مستصرخين بنى دينهم فحاصرهم بها  
وأخبر قواد الحدود المملوكين عبد الله واذفونش بإغارة هذا الناصر  
فجاء اذفونش بجيشه الي برارى سمورة والتقى الجمعان واقتتل الغريقان

نحو أربعة أيام وفي اليوم الرابع ترك فرسان البربر ميدان القتال لكن  
مسامي أسبانيا الشرقية وأقليم طليطلة ثبتوا حتى أن قائدهم أحمد  
قتل في المعركة ففرقوا بدون نظام وقتل منهم النصاري كثيرا  
وقطعوا رؤوسهم وعلقوها على أبواب سمورة وكانت هذه الواقعة  
سنة ٢٨٨ (٩٠١)

قد حرّكت هذه الواقعة نفوس المسلمين ورغبوا أن يثاروا النصاري  
بأخوانهم وأشاروا على عبد الله بذلك ولكنه خالفهم وأرسل القائد  
عبيد الله الغمري والى أشبونة الى أذفونش ليجدد التحالف فنجح -  
هذا كله أغضب كثيرا من المسلمين من الملك عبد الله حتى أن خطباء  
الجوامع أسقطوا اسمه من خطبهم وشاع ذلك في أشبيلية بتحرّض القاسم  
أخى عبد الله وخطبوا باسم الخليفة العباسي المعتضد بالله وكان القاسم يأمر  
الاشبيليين أن لا يدفعوا الزكاة الى أخيه لأنه ( كما يقول ) مسلم واحد  
لما بلغ الملك ذلك وحققه أمر بالقبض على القاسم وسجنه وقتل  
في السجن مسموما سنة ٢٩٠ (٩٠٣) وأمر الملك بنفي كثير من العلماء  
بسبب ذلك

ه كان ابن حفصون يسمى في هدم دولة بني أمية في الاندلس  
واقامة دولة يكون هو صاحب صولجانها - لهذا كان دائما يشعل نيران  
الثورات ويحدث القلاقل والاضطرابات في حكومة الملك عبد الله -  
من ذلك أنه في سنة ٢٩٣ كان يوجد متنكرا في بلي وفي قرطبة وبينهما



عشرون ميلا لاحداث مؤامرة من أشياعه في العاصمة كي يسقط  
الملك من عرشه ولييئي النفوس لما دبّر حرك السّنة كثيرين بدم عبد  
الله وقد ضبط شعر فيه هجوه وبحث عن قائله حتى قبض عليه فظهر  
انه سليمان بن الباجة الذي كان قاضي ماردة واغتصب ولايتها وعفا عنه  
الملك - لما مثل بين يديه استنكر منه مقابلة الاحسان بالاساءة فاضطرب  
وقبل قدمي الملك وسأله العفو وأنبأه بأن الحامل له على الهجو هو ابن  
حفصون المختبي الآن في قرطبة وأفشي للملك أسرار مؤامراته وانه  
على وشك دق ناقوس الثورة - عندئذ حبس سليمان خشية أن يطلع  
شركاءه على جليلة الأمر - وبحث عن ابن حفصون في المدينة فلم ير له  
أثر فيها فانه كان قد تزيا بزى سائل وفر من قرطبة وقد قبض على  
كثير من شيعته وعذبوا ليخبروا بأمره - لما هرب ابن حفصون من  
قرطبة توجه الى كورة طليطلة حيث يقيم جيشه وأخذ يغير على اقليم  
قلعة رباح ولكن هزمه الوزير ابو عثمان عبيد الله الغمري في عدة  
مناوشات واستولى على عدة قلاع كان يحتلها جيشه - وفي سنة ٢٩٦  
كان بينهما واقعة منتظمة قضى فيها أبو عثمان على فرسان غالب  
ومشاته والجاه الى بعض حصون طليطلة حيث لم تقم له قائمة نحو  
ثلاث سنين

في هذه الاثناء سكن المظفر اضطراب جنوب الاندلس فتوجهت  
عزيمته لأن يخضع طليطلة - لهذا الغرض التمس من والده أن يوليّه

حكومة ولاية ماردة بدلا من أبي عثمان فانه قد بلغ من السكبر عتيا وينبغي له ان يصرف بقية عمره في حياة هادئة ففكره الملك ان يعزل هذا الشيخ الذي خدمه باخلاص مرضاة لابنه لئلا يبلوغ ذلك أبا عثمان فاستقال وجاء قرطبة فولاه الملك رياسة حرسه وكان مؤلفا من جنود صقالبة ذوي شجاعة واخلاص لملكهم

لما أخذ المظفر بزمام ولاية ماردة وبقيادة الجيش أعدّ المعدات بحمية زائدة لقتال أشباع غالب بن حفصون فلم يجرؤوا على ان يظهر وا في ميدان الوغى لان المظفر كان شديد البأس محافظا على النظام الحربي حتى كان يحشاه عسكره وعدوه وكان نصيب الاسرى لديه اما ضرب الرقاب بالسيف واسا طعن الصدور بالرمح

وفي صفر سنة ٢٩٩ (سبتمبر سنة ٩١١) ماتت الملكة أم الملك عبد الله فبكاه بكاء شديدا لانه كان يحبها حبا جما واحتفل بجنائزها احتفالا شائعا ودفنت في قبر فخيم مزين بالنفوس الجميلة بناه لها ابنها في سائين الرصافة — وقد أثر فيه حزنه عليها حتى ما كان يفكر الا في اللحاق بها فبنى لنفسه قبرا بجانب قبرها . رأى نفسه سائرا في طريق الموت فجمع الاشراف والوزراء والولاة وأوصى بولاية عهد الملكة لخفيده عبد الرحمن بن محمد لانه رأى أن القلوب قد اجتمعت على حبه وان في ذلك حسنا للنزع بمسوته وقد أوصى ابنه المظفر بحماية ابن أخيه (٩٥ - تاريخ العرب في اسبانيا)

وتمضيده فقبل وعمل بالوصاية<sup>(١)</sup>

وفي غرة ربيع الأول سنة ٣٠٠ (١٥ أكتوبر سنة ٩١٢) مات  
الملك عبد الله بعد أن حكم خمسا وعشرين سنة ونصف<sup>(٢)</sup> شهر وعمره  
نحو سبعين سنة<sup>(٣)</sup>

انتهى ما استخلصناه من كندى ورومي و يستخلص من غيرها  
ما يأتي :

### حوادث البيرة

البيرة<sup>(٤)</sup> مدينة في الجنوب الشرقى من الاندلس عند جبال  
( نقادة ) وقد نزل كورتها جند دمشق عقب الفتح الاسلامي .  
قيل كانت البيرة هي المدينة قبل غرناطة فلما بنى الصنهاجي مدينة  
غرناطة وقصبتها وأسوارها انتقل الاس اليها ونهرها نهر شليل وفي  
قيلها جبل شليل لا يفارقه الثلج صيفا ولا شتاء<sup>(٥)</sup> وقال ياقوت البيرة  
كورة كبيرة بالاندلس ومدينة متصلة باراضي كورة قبيرة بين القبلة  
والشرق من قرطبة بينهما تسعون ميلا وأرضها كثيرة الانهار والاشجار  
وفيها عدة مدن منها قسطيلية وغرناطة<sup>(٦)</sup>

(١) من هذا يظهر أن الظفر غير الطرف الذي سبق قتله (٢) يقول ابن الاثير  
كانت ولايته خمسا وعشرين سنة واحد عشر شهرا (٣) يقول كندى انه كان ابن اثنتين  
وسبعين سنة وكانه نسي قوله في المبدأ انه ولد سنة ٢٣٠ (٤) همزتها همزة قطع فان «ال»  
في أولها ليست للتعريف فهي على وزن اخريطة أو كبريتة  
(٥) المقرئ (٦) يقول دوزي في البحانه (ص ٣٣ ج ١) مدينة البيرة كانت تسمى  
قديمًا قسطيلية

ويؤخذ من دوزى ما تعريبه :

ان دين النصرانية كان له سلطان كبير على قلوب أهل البيرة  
فان تعاليم قسوس رومة انتشرت فيها أوّلا أثناء ما كانت مدن  
اسبانيا الاخرى تائهة في ظلمات عبادة الاوثان وكان يكثر في إلبيرة  
عدد النصرارى والكنائس ويقل عدد المسلمين وكان بها جامع كبير  
رمى أساسه بعد الفتح حش الصنعاني أحد رفقاء موسى وكل بناؤه  
في عهد الامير محمد وكذا كان يكثر في إلبيرة الاسبانيون والمولدون  
ويكثر في كورتها العرب فانهم كانوا لا يعملون ان يحبسوا أنفسهم  
بين جدران المدينة ولا أن يفتروا مساكن قطن فيها أسلافهم عساكر  
دمشق وأيضا لم يكن في إلبيرة ما يستهوى نفوسهم الى سكناها فانها  
كانت مؤسسة على صخور مجذبة لا تنبت زهرة في الصيف ولا تسقط  
عليها قطعة ثلج في الشتاء — ومع هذا كانوا يجيئونها يوم الجمعة لتأدية  
الصلاة في جامعها متباهين بخيولهم الجميلة المزينة بالسروج والاعجم  
ذات القيمة وكان لا يفوتهم ان يحتقروا الاسبانيين ويزدروهم وكانوا  
يسمونهم (المدينة الساقلة) وكانت طبقة الاشراف في إلبيرة وكورتها  
من العرب

في مبدأ حكم عبدالله اشتبك الاسبانيون والعرب في حرب مهلكة  
حتى اضطر هؤلاء الى أن يتركوا ضياعهم ويلتجئوا الى حصن منت  
شيقر Monte Xicar في شمال غرناطة الشرق ويخرجوا ضواحيه

وكان رئيسهم يحيى بن صقاله من قبيلة قيس فجاء الاسبانيون والمولدون تحت أسرة نابل وحصروهم وقتلوا كثيرا منهم واستولوا على الحصن فاضطر جيش العرب لضعفه الى نزع السلاح وعقد اتفاق مع أعدائه ومع هذا بعد مضي عدة أيام في المدينة هجم الاسبانيون على العرب في ربيع سنة ٨٨٩ (أواخر ٢٧٥ أو أوائل ٢٧٦) وذبحوهم ورموا جثثهم في بئر وقد فرح الاسبانيون بذلك فرحا عظيما حتى قال شاعرهم الأبل<sup>(١)</sup> مامعناه

( قد كسرنا نصال أعدائنا وخفضنا كبرياءهم — كانوا يسموننا المدينة السافلة لكن قد هددنا قواهم وهل بعد زمن تنتظر رممهم التي ألقيناها في البئر من يثار بها ؟ ) وكان يحيى رئيس العرب من المقتولين عقب ذلك عمت الفوضى عرب الأقاليم وساد الخصام بين المسلمين والمسيحيين في أقليم البيرة اختلفوا أولا فيمن يكون رئيسا عليهم واسكنهم لما رأوا الضرر في الانشقاق اتفقوا أخيرا على اختيار «وار» القيسي بدل يحيى بن صقاله فكان هذا سببا للنزاع حتى قيل «لولم يبرزق الله العرب سوارا لا تقرضوا»

كان سوار شيخا أشيب قتل ابنه الاسبانيون فعقد نيته على ان

(١) نسبة الى أبله وهي قرية من وادي آش واسمه عبدالرحمن بن أحمد  
(٢) استوطن هنيذة جده الرابع مرشانة Maracena من أقليم البلوط في شمال غرناطة كذا في هامش دوزي ج ٢ ص ٢١٤ ويقول ياقوت مرشانة مدينة من عمال قرمونة بالاندلس

يثار الاسبانيين بانه وبالعرب المقتولين فجمع ما أمكنه من العرب تحت رايته وتوجه بهم أولا الى قلعة منت شيفر ليجمعها مركز أعماله الحربية واستولى عليها وقتل حاميتها وكانت ستة آلاف جندي وهاجم حصونا أخرى وأخذها وقد جرّ هذا الى قتل كثير من الاسبانيين حتى انقضت سلالات منهم يجمعها ولم يكن لتركاتها وارث . فزع اسبانيو البيرة الى والى اقليمها جعد<sup>(١)</sup> واستمدوا معونته واعدين آياه بالطاعة فأجاب سؤلهم وزحف على سوار بجنوده خاصة وبالاسبانيين فقاتلهم شيخ العرب بقدم ثابتة وكان القتال صعب المراس من الجانبين ولكن كانت العاقبة نصر العرب واقتفوا آثار أعدائهم الفارّين الى أبواب البيرة وقتلوا منهم سبعة آلاف وأخذوا رئيسهم جعدا أسيرا — فرح العرب بالنصر وبأنهم قربوا كثيرا من الضحايا قربانا الى روح يحيى . . . . . بعد أن انتصر سوار انتصارا مشهورا حالف عرب ريّة وجيّا وقلعة رباح ثم عاد الى نهب الاسبانيين والفتك بهم فلم يجدوا لهم سبيلا الى السلام الا الاتعاج الى السلطان والتماس حمايته فأجاب سؤلهم وخاطب سوارا في أن يعود الى طاعته ويترك الاسبانيين في سلام وهو يقلّده ادارة قسم واسع من الاقليم فأجاب سوار الى مادعاه اليه السلطان وصالح خصومه وأقسموا أيمان السلم ولكن لم يكن ذلك الا سكونا كاذبا فان النفوس

(١) سبق في كلام كندى وروي ان جعدا كان والي حيان

لا زالت منظوية على ما انطوت عليه من الاضغان . لما لم يجد سوار بجواره من الاعداء من يحاربه هاجم خلفاء وأتباع ابن حفصون وبلغ أسماع أهل البيرة أصوات آلام بنى جلدتهم من سسطوات سوار وشدائده فحسب شعورهم الوطني وهبوا جميعا وتبعهم سكان كورتهم وأخذوا عدتهم وهاجموا العرب وضر بهم حتى أجبوهم إلى الحمراء<sup>(١)</sup> Alhambra بعد سبعة أيام رأوا الجيش الاسباني المؤلف من عشرين ألف رجل متأهبا للهجوم من الشرق واضعاً آلاته الحربية على أكمة حينئذ رأى سوار أن في بقاء عساكره الشجعان في القلعة خطراً عليهم فخرج بهم إلى مقابلة العدو واشتبك القتال بين الفريقين وفي أثناء ذلك توجه بدون أن يراه العدو إلى الأكمة وانقض على حاميتها انقضاض الصاعقة فبدد شملها — لما رأى ذلك الاسبانيون الذين يقاتلون في السهل ظنوا أن العرب جاءهم مدد فامتلات قلوبهم رعباً وانهزموا إلى البيرة وقُتل منهم اثنا عشر ألفاً وقليل سبعة آلاف وتسعى هذه الواقعة وقعة المدينة

بعد هذه الواقعة المدمرة لم يبق الاسبانيون عون يرجونه لشدتهم ويخضفون لرياسته إلا أحد أبناء جلدتهم عمر بن حفصون فاستنجدوا به فجاء البيرة ودخلها بجنده ونظم شوونها العسكرية وجمع تحت رايته حاميات الحصون المجاورة وأخذ في المسير نحو سوار ولكن هذا قد

(١) قال ياقوت الحمراء اسم مدينة لبلة بالاندلس وهي مدينة قديمة فيها آثار عجيبة

ضم اليه عرب جيتان وريّة فصار تحت امرته جيش عرمرم مملأه  
أملا في أن يقهر ابن حفصون وقد تحقق أمله فان ابن حفصون خرج  
وفقد جملة من خيرة عساكره واضطر الى ان يتقهقر وقد غضب  
غضبا شديدا من هذه الصدمة وأخذ يلوم أهل البصرة على سوء سلوكهم  
اثناء المعركة وفرض عليهم خراجا فادحا يؤدونه في مقابلة نفقات هذه  
الحرب التي لم تكن الا لمنفعتهم ثم عاد الى يشتر بعد أن أقام على  
البصرة حفص بن المر Moro ليدافع عنها

بعد رحيل ابن حفصون استرسل سوار في الهجوم فوقع في كمين  
من أهل البصرة فقتلوه ونقلوا جثته الى المدينة فحكّت من النساء صيحات  
الفرح حين رأين من حرمهن من اخوتهن وأزواجهن وأولادهن  
مقتولا وليطفئن أوار الانتقام قطعن الجثة قطعا وابتلعنها<sup>(١)</sup>

بعد سوار أمر العرب عليهم سعيد بن جودي سنة ٨٩٠ فدخل  
البصرة وأخضعها . مدحه الأبل الشاعر بأبيات فاجازه عليها فلما ذهب  
نبه عربي سعيدا الى أن هذا الشاهر هو أكبر محرّض لقومه على  
العرب وهو القائل « هل بعد زمن تنتظر رممهم التي ألقيناها في البئر  
من يثار بها » فأمر الأمير قريبا ليحيى بن صقالة أن يقتل الشاعر ويلقى  
جثته في البئر ففعل ما أمر به في الحال

(١) سبق في كندى وروميان سوارا أسرو سيق أمام الملك فأمر بقطع رأسه فقطع  
وأرسل الى قرطبة في أوائل سنة ٢٧٧



كان جسد سعيد قاضي البيرة ثم ضابط قرطبة في عهد الحكم  
الاول وكان مثال الفروسية العربية وكان معاصروه ياسبون اليه عشر  
صفات لا يحوزها الا سيد فاضل (وقد سبق ذكرها)

### حوادث اشبيلية

اشبيلية مدينة عظيمة بالاندلس على ضفة النهر الكبير في الجنوب  
الغربي لقرطبة نزل كورتها جند حصص كما نزل كورة البيرة جند دمشق -  
ومن أقاليمها اقليم الشرف وهو على جبل ( قيل ) انه كريم التربة  
دائم الخضرة فرسخ في فرسخ طولاً وعرضاً لا تكاد تشمس فيه بقعة  
لا تنفاد زيتونه ( وقيل ) أن ترابه أحمر طوله من الشمال الى الجنوب  
أربعون ميلاً وعرضه من المشرق الى المغرب اثنا عشر ميلاً يشتمل  
على مائتين وعشرين قرية قد التحفت بأشجار الزيتون واشتملت  
وقال ياقوت يطل على اشبيلية جبل الشرف وهو جبل كثير الشجر  
والزيتون وسائر الفواكه ومما فاقت به على غيرها من نواحي الاندلس  
زراعة القطن ويتصل عملها بعمل لبنة وهي غربي قرطبة بينهما ثلاثون  
فرسخاً - وفي المقرئ « ان باشبيلية أسواقاً قائمة وتجارات رابحة وأهلها  
ذوو أموال عظيمة وأكثر متاجرهم الزيت » وفي شرقى اشبيلية على مسافة  
سبعة فراسخ مدينة قرمونة

ويؤخذ من دوزى ان اشبيلية كانت مركز علم وتمدين الرومان

ومقر أسرار الأشراف والأغنياء . لم يغيّر الفتح العربي شيئاً من نظامها الاجتماعي فقد سكنها قليل من العرب الفاتحين وأغلبهم فضل سكنى أقاليمها ولا زالت سلالات الرومان والقوط هي أكثر السكان عدداً فيها وكانوا ذوي ثروات واسعة واشتغلوا بالزراعة والتجارة والملاحة . كان كثير من السفن يردّها ليحمل منها القطن والزيتون والتين من محصول بساتينها

جحد أغلب الاشبيليين النصرانية وأسلموا وبنوا لهم جامعا كبيرا في عهد عبد الرحمن الثاني لكنهم لم يغيّروا طباع وعادات أسلافهم الأسبانيين وقد تخلّقوا بأخلاقهم من خالطهم من العرب وساروا في طريق تمدنهم فلا كانوا ينزعون الى محاربة قبيلة أو جنس فكان مولدوهم على العموم هادئين مسالمين للسلطان يعتبرونه السند الطبيعي للنظام ومع هذا كانوا يحشون عرب الأقاليم لمحافظةهم على طباعهم الأصلية وأوهامهم القديمة ونفورهم من غير بنى جنسهم وتمسكهم بانساب أسلافهم الأقدمين وعدم اخلاصهم الى السكينة . لهذا كان هؤلاء العرب يترقبون الفرص أو دعوة من أشرافهم للفتك بالاشبيليين ونهب أموالهم وكان الاشبيليون يتوقعون منهم ذلك فكانوا يحاطون خشية أن يأخذوهم على غرة

كان يوجد بين سلالات العرب الساكنين في إقليم اشبيلية سلالتان ترأسان السلالات الأخرى وهما سلالة بنى حجّاج وسلالة بنى خلدون

فالسلالة الأولى وان كانت عربية إلا أنها كانت من نسل غيطشة ملك القوط قبل رذريق فان حفيده هذا الملك المسماة سارة Sara تزوجت عميرا Omais من قبيلة لخم اليمنية فولدت له أربعة أولاد كانوا أصولا لسلالات عظيمة منها سلالة بنى حجاج . وأما سلالة بنى خلدون فأصلها من حضر موت اليمن وأملا كما كانت في إقليم الشرف وكان من هذين البيتين زُراع وتجار وملاحون وأجناد وكانوا يسكنون أولا قصورهم في الرساتيق ثم سكنوا المدينة وبنوا فيها القصور الشاغخة اهـ

في مبدأ حكم الأمير عبد الله بعث ابنه محمدا على أشبيلية سنة ٢٧٦ قارب رؤساؤها وهم أمية بن عبد الغافر ( وكان جدّه أبو عبد معاملا عليها من قبل عبد الرحمن الداخل ) وكرىب من بنى خلدون وأخوه خالد وعبد الله من بنى حجاج وحصروه في القصر واضطروه الى العودة الى قرطبة فعاد في شهر جمادى الثانية من هذه السنة ثم استبدت أمية بولايتها ودس على عبد الله بن حجاج من قتله فقام أخوه ابراهيم مقامه وظاهر بنى خلدون على قتل أمية فقتلوه وكتبوا الى الأمير انهم ماقتلوه الا لنبيه طاعته فارسل اليهم عمه هشام بن عبد الرحمن الثاني واليا على أشبيلية فحبسوه وقتلوا ابنه وتغلب كرىب على الولاية<sup>(١)</sup>

(١) انظر تواريخ أشبيلية في الجزء الرابع من تاريخ ابن خلدون ومقدمة دوزى لتاريخ ابن عذارى ص ٥٣ ولا يخفى ما في هذا من المغايرة لما سبق في تاريخ كندى ورومى

وفي سنة ٢٨٢<sup>(١)</sup> أرسل الأمير عبد الله جيشا الى اشبيلية تحت امره ابنه المطرف ووزيره القائد عبد الملك بن أمية وكان هذا وزير محمد الاول وابنه المنذر وهو الذي حرّضه على قتل وزيره هاشم بن عبد العزيز وكان المطرف يبغيض القائد لانه كان يشهر على أبيه أن لا يقلّده ولاية العهد بعد قتله أخاه محمدا - فلما قرب الجيش من اشبيلية قبض المطرف على ابن أمية وقتله وقدم على قيادة العسكر أحمد ابن هاشم وناشب أهل اشبيلية الحرب فانهمزوا وقتل كثيرا منهم وقبض المطرف على خالد بن حجاج وابراهيم بن خلدون وكبلهما بالحديد ثم سار الى شذونة وكتب أمانا لأهلها فدانت له وقبض على واليها سليمان بن محمد بن عبد الملك وكبله بالحديد وضمّه الى ابن خلدون وابن حجاج وبعث بالثلاثة الى قرطبة فسجنوا رهائن على أداء الخراج ففي السنة عينها أتت جباية اشبيلية وشذونة وأطلق سراح المستجوين ولكن ترك ابن حجاج ابنه عبد الرحمن رهينة في قرطبة

اقتسم ولاية اشبيلية ابراهيم بن حجاج وكريب بن خلدون وبقي كذلك أعواما وكان الثاني مستبدّا عسوقا ففقر منه الناس ومالوا الى الاول لانه كان رفيقا بهم - انتهر ابن حجاج فرصة ميل الناس اليه ونفّورهم من قرينه فدسّ الى الأمير عبد الله يطلب الولاية ليشتدّ

(١) كذا في ابن عذاري وفي ابن خلدون ٢٨٣

بكتابه على ابن خلدون فكتب له بذلك عهده فآظهره للعامة فثاروا جميعا بكرييب فقتلوه وأخاه خالدا سنة ٢٧٦ .

فاستقم لابراهيم الامر وحده في اشبيلية والى كور الملاصقة لها وحصن مدينة قرمونة وجعلها مرتبط خيله - ولما قوى سلطانه وعظم شأنه طلب من الامير اطلاق ولده الرهين فلم يسعفه فنبذ الطاعة وظاهر ابن حفصون - ولم يزل ابراهيم يرسل من يشير على الامير باطلاق ولده حتى أجاب وأطلقه وأعظم الاحسان اليه فعاد ابراهيم الى الطاعة - قال حيّان بن خلف لما ملك ابراهيم اشبيلية وقرمونة وما والاها ارتفع ذكره وبعد صيته واتخذ لنفسه جندا ورتب لهم الارزاق فكمل في مصافه خمسمائة فارس وكان له قاض يقوم بالحكم وصاحب مدينة يقيم الحدود وجرى في ذلك كله مجرى السلطان وفي قرمونة كانت مرابط خيله وكان يكثر التردد بينها وبين اشبيلية ومن ذلك قول الشاعر أحمد بن عبد ربه في قصيدة طويلة يمدحه

واشبيلية ازهراء تزهو بوجهه      وقرمونة الغراء ذات الفضائل  
اذا ما تجلّت تلك من نور وجهه      غدت هذه للناس في زي عاقل  
وان حلّ هذى فهو يوحش هذه      فتهدى برسل نحوه ورسائل

وقد اختطفته المنون سنة ٢٨٨ وولى بعده ابنه عبد الرحمن الى أن مات سنة ٣٠١ وكان أخوه محمد بن ابراهيم صاحب قرمونة في

حياة أبيه و بعد موته وكانت دولته بقرمونة أضخم من دولة أخيه باشيبيلة  
وتوفي سنة ٣٠٢ (١)

### مقتل ابني عبد الله محمد والمطرف وغيرهما

قال ابن خلدون قد أكثر المطرف من السعاية في أخيه محمد عند  
أبيهما حتى اذا تمكنت سعائته وظهر سخطه على ابنه محمد لحق حينئذ  
بيلد ابن حفصون ثم استأمن ورجع وبالع المطرف في السعاية الى ان  
حبسه أبوه ببعض حُجَر القصر وخرج لبعض غزواته واستخلف ابنه  
المطرف على قصره فقتل أخاه في محبسه مفتاتاً بذلك على أبيه وحزن  
الأمير عبد الله على ابنه محمد وضم ابنه عبد الرحمن الى قصره وهو  
ابن يوم فرجى مع ولده ثم بعث الأمير عبد الله ابنه المطرف بالصائفة  
سنة ٦٨٣ ومعه الوزير عبد الملك بن أمية ففتك المطرف بالوزير بعد اوة  
بينهما وسطا به أبوه الأمير عبد الله وقتله شر قتلة ثار فيها منه بأخيه  
محمد وبالوزير وعقد ابن الوزير لابنه (٢) مروان فترفع على الوزراء  
فقتلوه وسدوا فيه عند الأمير بأنه بايع جماعة من سماسرة الشر لأخيه  
هشام بن محمد ولقت بذلك شهادات اعتماد القاضي حينئذ قبولها فتمت

(١) انظر ابن عذاري ص ٦٣٠ وما بعدها

(٢) يقول ابن خلدون لابنه «أمية» ويقول غيره ان ابنه (مروان) لا أمية

والظاهر صحة الأخير

الحيلة وقتل مروان وهشام سنة ٢٨٤

ويؤخذ من مقدمة دوزي لتاريخ ابن عذارى  
ان المطرف كان يحسد أخاه البكر محمدا على ولاية العهد لهذا  
كان يكثر السعاية فيه عند أبيهما فتأججت نار العداوة بين الأخوين  
حتى أن محمدا قابل يوما فارسا من فرسان أخيه فأنقض عليه وقتله  
فخشي من قصاص أبيه فحوّل على الفرار فكسر أبواب السجن وفك  
أسر السجناء وكانوا من المولدين والنصارى وفرّ بهم الى بدشت عند  
ابن حفصون شيخ المولدين الذي كان يظهر الاسلام ويبطن النصرانية  
ليجمع تحت رايته جميع العرب والبربر الناقمين ويكون مملكة نصرانية  
في الاندلس فبذل الأمير مافي وسعه في أن ينزع ابنه من حزب  
المولدين فخطبه أن يعود الى قرطبة وهو يعفو ويصفح فعاد محمدا لكن  
أخاه مازال يسعى فيه لدي الأمير ويتهمه حقا أو بهتاناً بأنه يفاوض  
ابن حفصون ويؤامره الى ان حبسه وقتله أخوه في ١٣ شوال سنة ٢٧٧  
(١٤ يناير سنة ٨٩١)

لما عاد المطرف الى قرطبة قتله أبوه في ١٠ رمضان سنة ٢٨٢  
(٢ نوفمبر سنة ٨٩٥) وكان ابن سبع وعشرين سنة كأخيه محمد  
حين قتله

وعهد الأمير عبد الله بأعمال وزيره المقتول الى ابنه مروان  
فتكبر على بطانة الأمير فاتهموه بالسعى في خلمه وتولية أخيه هشام

الذى كان والى جيّان وقائد ميمنة الجيش فعهد الأمير بتحقيق هذه التهمة الى القاضى فخوفاً من أن يجرى دوراتهامه حكم بصحتها وقد جرّت في ذيلها أحمد بن هشام حفيد عبد الرحمن الثانى وغيره فأمر الأمير بتنفيذ حكم القاضى فنفذ على المتهمين يوم السبت ٢١ شوال سنة ٢٨٤ (ابن الأبار)

### حوادث ريّة

ريّة كورة كبيرة مخصبة بالانداس قبلى قرطبة متصلة بالجزيرة الخضراء لها مدن وحصون ورستاق واسع<sup>(١)</sup> كانت عاصمتها أرشدونة<sup>(٢)</sup> ومن أعمالها مالقة<sup>(٣)</sup> وببشتر

أما مالقة فهي مدينة قديمة عامرة على ساحل البحر بين الجزيرة الخضراء والمرية وبالنظر لوضعها المناسب كثر قصد المراكب والتجار اليها فتضاعفت عمارتها حتى فاقت أرشدونة وصارت هذه كمرستاق لها<sup>(٤)</sup>

وأما ببشتر فهي حصن منيع على قمة جبل شامخ على فرسخ من غربى انةيرة ازاء نهر -<sup>(٥)</sup> بين الحصن وقرطبة ثلاثون فرسخا<sup>(٦)</sup>

(١) ياقوت (٢) البحوث دوزى ج ١ ص ٣١٩ (٣) بخطى دوزى ابن خلدون في أنريه اسم مالقه القديم - راجع البحوث ج ١ ص ٣١٩ (٤) ياقوت (٥) البحوث دوزى (٦) ياقوت



كان هذا الحصن ملاذ ابن حفصون من الدولة الاموية  
بعد موت المنذر وهو يحاصر ببشتير ورجوع الامير عبد الله الى  
قرطبة ( كما ذكرناه آنفا ) استفحل أمر ابن حفصون والثوار وتوالت  
عليه الغزوات والحصار وكاتب ابن الاغلب صاحب أفريقية وهاداه  
وأظهر دعوة العباسيين بالاندلس فتناقل على اجابته فأمسك وأكثر  
الاجلاب على قرطبة وبنى حصن ( بلالية ) قريبا منها وغزاه عبد الله  
حتى فتح هذا الحصن واستنجة وقصده في حصنه فحاصره أياما وانصرف  
عنه فاتبعه ابن حفصون فكرر عليه الامير وهزمه وانخن فيه وافتتح  
البيرة من أعماله ووالي الحصار عليه في كل سنة ٠٠٠٠ سار اليه الوزير  
أحمد ابن أبي عبيدة فحاصره فاستنجد بابراهيم بن حجاج الثائر  
باشبيلية وانما هزمهما وراجع ابن حجاج الطاعة وعقد له الامير عبد  
الله على أشبيلية ٠٠٠٠ ثم راجع ابن حفصون طاعة بني أمية عند  
ما هبأ الله للناس ما شأه من استفحال الملك واستنزال الثوار واستقام  
الى أن هلك سنة ٣٠٦ لسبع وثلاثين من ثورته كذا يؤخذ من ابن  
خلدون وهو كلام مجمل يفصله ما يأتي

يؤخذ من ابن عذاري أن عبد الله لما ولى الخلافة رأى ابن  
حفصون أن يدخل في طاعته فأرسل ابنه حفصا الى قرطبة مع جماعة  
من أصحابه على أن يعقدوا مع الامير صلاح على أن يستقر ابن حفصون  
في ببشتير على الطاعة فقبل الامير وأصدر ابنه ورساله محفوفين بالكرامة

والرعاية ووجه معهم عبد الوهاب بن عبد الرؤوف واليا على كورة  
رية ومشارك لابن حفصون فكثا شريكين في الأمر والنهي الى أن  
غلب ابن حفصون على عبد الوهاب وأخرجه من الكورة وتعدى  
على أهل البلاد وسلب أموالهم حتى هم الناس بالجلأ من قراهم ولم  
يبق بالقنباينة قرية الا غشيتها الخيل وعمتها الذلة والويل وملأ ابن  
حفصون استجة وارجدونة - فلما رأى الأمير ما أحاط بقرطبة أمر  
باخراج السراق الى فحص الرض بشقنة فلما شدد أطنا به ومدت  
حبائله وأسبابه بعث ابن حفصون خيلا لهاها تأخذ السراق السلطاني  
فخرج اليها الفرسان فردوها ووصلوا الى ابن حفصون فدفعوه من  
الجهة فأوى الى حصن (بلي) بقبرة فجمع له الأمير أهل قرطبة وسار  
اليه في نحو أربعة عشر الفا وحشد ابن حفصون نحو ثلاثين الفا  
فصدمه الأمير بمن معه فشرعته وفرق جمعه فعملت السيوف في رقابهم  
حتى رويت الأرض من دماهم ودخل الأمير عبد الله القلاع الثائرة  
وملكها ولما رجع ابن حفصون الى بيشتر حشد أعوانه وخرج بجحمة  
الى البيرة فتغاب عليها وقبض على عاملها فاخرج اليه الأمير العسكر  
مع ابن أبي عبدة فلما تدانى الفريقان هجمت خيل قرطبة على  
خيل العدو فبددت شمله وأثقل ابن حفصون بالجراح وآب الى  
حصن بيشتر

وثار سوار بن حمدون بحصن منت شقند<sup>(١)</sup> فقام الى جعد عامل البيرة وهزم جمعه وأخذ أسيرا ثم أطلقه وسار سوار الى غرناطة وأغار على حصون ابن حفصون فاجتمع أهل البيرة في نحو ثلاثة وعشرين الفا فلقبهم سوار في عدد قليل فانهزموا وقتل منهم نحو عشرة آلاف وذلك في سنة ٢٧٦

وكان جعد الثائر بالبيرة متفقا مع ابن حفصون فأعمل جعد الحملة في الغدر بسوار فأغار على جهته في نفر يسير وقد أكن له كهنا فبرز اليه سوار واقتفى آثاره فوقع في السكين وأحدقت به الخيل وقطع رأسه وانهزم عسكره وأرسل جعد رأس سوار الى ابن حفصون وثار سعيد بن جودي بالعرب وعارض ابن حفصون حتى ضايقه فعمد هذا الى الحملة حتى أسره وأقام عنده شهورا في ببشتر حتى فدى بمال كثير فأطلقه من وثاقه فخالف على الأمير عبد الله الى أن مكر به وقتل في دار عشيقه له يهودية

وتولى أمر العرب بجانب البيرة محمد بن أضحي فخارب ابن حفصون لكن هذا أسره حتى فداه العرب بمال جسيم وأطاع الأمير وثار سعيد بن مستنة بكورة باغة<sup>(٢)</sup> واقعد حصونها فاستفحل أمره وشربه وعم أذاه واصطفى من حصونها أربعة ذات حصانة ومنعة

(١) يؤخذ من غيره أنه حصن منت شيقر

(٢) قال ياقوت باغة مدينة بالاندلس من كورة البيرة بين المغرب والقبلة منها وفي

قبلى قرطبة منحرفة عنها يسيرا وبينهما ٥٠ ميلا

وفي سنة ٢٨٤ وما بعدها دخل ابن حفصون استجة الدخلة  
الثانية فأخرجه منها ابان ابن الأمير عبد الله وقائده ابن أبي عبدة  
وفي سنة ٢٨٦ أظهر ابن حفصون النصرانية وكان قبل ذلك يسرها  
قبراً منه خلق كثير ورأى جميع المسلمين أن حرب به جهاد فتتابعت عليه  
الغزوات بالصوائف والشواتي لا يني القواد عنه في الحل والترحال وفي  
ذلك قال ابن قززم لابن أبي عبدة

ففي كل صيف وفي كل مَشْي غزاتان منك على كل حال  
فتلك تبيد العدو وهذه تبيد الامام بها يلبث مال

وفي سنة ٢٨٧ صاب رجالان من رجال ابن حفصون يسمى  
أحدهما اسحاق قال الآخر حين رفع في الخشبة غدرت بي يا اسحاق  
فضررت مثلاً

وفي سنة ٢٨٨ قبضت رهائن ابن حفصون وتحوّلت الصائفة  
اشدونة وغيرها من السكور

وفي سنة ٢٩٢ خرجت الصائفة الى عمر بن حفصون وتحوّل  
المسكر الى حصونه فهتك بعضها وفيها كانت الوقعة العظيمة على ابن  
حفصون بوادي ( بلون ) من جيان وكان قد توالى اليه أهل الخلاف  
وخرج مغيراً على المسلمين فهزم وقتل كثير من رجاله

وفي سنة ٢٩٣ كان خروج الصائفة الى فهر بن أسد وهو بحصن  
تش من كورة جيان فافتتح الحصن وأخذ أسيراً وقدم به الى قرطبة

فامر الامام عبد الله بصلابه عند القصايين في ربيع الآخر  
وفي سنة ٢٩٤ غزا ابان ابن الامام عبد الله بالصائفة الى  
الجزيرة وقاد الخيل احمد بن محمد بن أبي عبده فحل بها يوم الجمعة  
لتسع بقين من رجب ثم تقدم الى حصن لوزة يوم السبت لانسلاخ  
رجب فخارب الحصن وحاصره وقتل جماعة ممن فيه ثم تقدم الى  
حاضرة رية وفيها مشاور بن عبد الرحمن فأحرقت أرباض الحاضرة  
وحوصر من كان فيها فدعا مشاور الى السلم وبذل الرهائن فأجيب  
الى ذلك ثم تقدم القائد الى الساحل فجال فيه أجمع وخرج على حصن  
إلبيرة وقفل منصرفا الى قرطبة فدخلها يوم السبت ليلتين خلتا من  
ذي القعدة

وفي السنين التالية غزا ابان ابن الأمير عبد الله وقائده أحمد  
ابن محمد بن أبي عبده ابن حفصون وأشياعه عدة غزوات كتب النصر  
فيها لهما والخذلان له

وفصل ابن عذارى وقعة (بلي) <sup>(١)</sup> في موضع آخر نقلا عن  
(بهجة النفس) فقال ماموذاه : في سنة ٢٧٨ (٨٩١) ألب ابن  
حفصون على الأمير عبد الله ثلاثين الفا من كور الاندلس وأقبلوا  
عند حصن بلي وضيقوا على اقليم قرطبة وأضرّوا به حتى أغاروا

(١) يقول ياقوت بلي ناحية بالاندلس من فحص البلوط ويقول ابن خلدون بلانية  
حصن بناه ابن حفصون قريبا من قرطبة ويقول ابن عذارى بلاي من عمل قبرة

على أغنامه فخرج اليهم عبد الله في ١٨ ألفا وقتلهم حتى هزمهم وقتل  
كثيرا منهم وفتح حصن بلي فوجده مُترعا بالذخائر والعدد ثم قصد  
استجة فخارب أهلها وقتل بهم فتكا ذريعا حتى رفعوا الاطفال على  
الأيدي في الأسوار مستصرخين راغبين في العفو فعفا عنهم

وقال النويري في هذه الواقعة لما تولى عبد الله أتاب ابن  
حفصون وحشد كور الاندلس حتى لم يبق فيها الا قرطبة وأقبل فيمن  
أطاعه من أهل الكور وخرج اليه الأمير عبد الله في أربعة عشر ألفا  
من أهل قرطبة خاصة وأربعة آلاف من حشمه ومواليه فبرز اليه ابن  
حفصون في سفح الجبل ونازله فلم يكن الا صدمة صادقة حتى أزالوهم  
عن مراكزهم ودخل ابن حفصون الحصن كأنه يفرج من بقي فيه  
فكلم فيه ثامة أخرج منها أهله وما كان له فلما انتهى ذلك الى أهل  
عسكره ولّوا مدبرين لا يلبى أحد منهم على أحد فقتلوا قتلا ذريعا  
ودخل منهم جماعة في عسكر الأمير فأمر بالتقاطهم وجلس لهم في مظلة فقتل  
من يديه ألف صبيرا

ويستخلص من دوزي ما يأتي :

سار السلطان في ربيع سنة ٨٨٩ هـ ( ٢٧٥ و ٢٧٦ ) الى قلعة بيشتر  
فحاصرها ثم عاد الى قرطبة بعد أربعين يوما وكانت نتيجة هذه  
الغزوة عقيمة

وعقب ذلك خرج ابن حفصون واستولى على بلاد وحصن منها

استعجة وبيان القلاع العظيمة التي في جنوب النهر الكبير وبالأجمال  
كان أغلب الاندلس في قبضة يده حتى ان السلطان المنلوب على أمره  
لم يستطع أن ينصب واليا في البيرة ولا في جيان .

استكبر ابن حفصون من امتداد سلطته وحدته نفسه أنه بعد استيلائه  
على قرطبة يصير حاكم الاندلس الا كبراسكنه يخشى أن ينازعه العرب  
في السلطان حينما يؤول اليه فرأى أنه اذا جاءه تقليد بولاية الاندلس  
من خليفة بغداد لا يأبى العرب طاعته فكاتب ابن الاغلب والى  
أفريقية في ذلك وهاداه فبعث اليه والى بهدايا نفيسة وشجعه على  
مقصوده ووعده بالسيادة الخليفة في مآربه — عندئذ طمع ابن حفصون  
ان يأخذ قرطبة ويرفع راية بني العباس فاقترب منها وجعل استعجة  
مركزه العام وفيها كان يتردد من وقت الى آخر الى بلى ليبحث على  
اتمام التحصينات التي كان أمر باقامتها فيها حتى تمير منيعة ويحجب  
اليها عساكره — بذلك احقق بقرطبة خطر عظيم وهددها بلاء جسيم .

حاصر ابن حفصون قلاع قبيرة التي كانت للسلطان واستولى اليأس  
على هذا القلة جنوده لكن فضل أن يموت في ساحة القتال موت  
الأشراف — فرح ابن حفصون وعجب من عزيمة السلطان على المقاومة  
وقال لابن مستنة « من يخبرني أن السلطان تحرك للسير نحونا أعطيه  
خمسائة درقة Ducat »<sup>(١)</sup> — بعد زمن قليل جاءه نيا وهو في

(١) نقد ذهبي يختلف مقداره باختلاف البلاد

استعجلة بأن خيمة السلطان العظيمة نقلت الى سهل شقندة - لما سمع هذا النبأ عزم على أن يحرقها حتى يجهل السلطان عرضة لاستهزاء المستهزئين فأخذ معه بعض الكتائب وساروا الى هذا السهل حتى بلغوه أول الليل وانقضوا على أحراس الخيمة . هؤلاء وان كانوا قليلين لكنهم دافعوا عنها بشجاعة واستنجدوا بعصر خاتمهم عساكر ضاحية المدينة فانجدوهم على الفور - رأى ابن حفصون أن العاقبة ستكون وبالاً عليه فنكص ومن معه على أعقابهم واتبعهم عساكر السلطان وفتكوا بهم حتى لم يدخل حصن بلي مع ابن حفصون الافارس واحد - في صباح تلك الليلة بكر أهل قرطبة وقابلوا عساكرهم وهم عائدون ومعه خيل مكسوبة ورؤوس مقطوعة ففرحوا بهذا النصر المبين في افريل سنة ٨٩١ (المحرم سنة ٢٧٨ ) أخذ السلطان وجنوده طريق حصن بلي وساروا حتى بلغوا يوم الخميس نهيرا يجري على مسافة نصف فرسخ من الحصن وكان عددهم أربعة عشر ألفا (١) منهم أربعة آلاف فقط عساكر منتظمة وكانت جنود ابن حفصون ثلاثين ألفا وكانت الواقعة في اليوم الثاني أي يوم الجمعة : في أول النهار أخذ ابن حفصون يرتب عساكره المعركة عند سفح الالكمة المقام عليها الحصن وأخذ جيش السلطان في السير نحوه وكان قائده العام عبد الملك بن أمية فلم يحسن قيادته اذ أمره بالتمهقر نحو جبل في شمال

(١) تقدم انهم ثمانية عشر ألفا



القلعة وفي هذا الوضع تكون ظهور المساكر جبهة العدو فخرج حينئذ قائد المقدمة عبيد الله بن أبي عبيدة الى السلطان وصاح « الى أين نساق يا أمير أنجمل ظهورنا نحو العدو فيظن أننا نخافه فينتفض علينا ويقطعنا قطعاً » فلم يماره السلطان في الحق بل سأله « ماذا ينبغي أن نفعل » فاجابه القائد « نتجه نحو الامام ونهجم على العدو هجمات صادقات ويفعل الله ما يريد » فامر السلطان أن يفعل ما بدا له فرجع مسرعاً الى فرقته وأمرها بالانقضاض على العدو بصرامة فابتدى القتال واستمرت ناره الى أن تقوى الجناح الايسر من المساكر السلطانية على الجناح الايمن من عسكر العدو وهزته وقطع رؤوس كثير من رجاله وحملها الى السلطان فوعده كل عسكري يقدم اليه رأساً بجزء حسن. بعد هزيمة الجناح الايمن هزيمة تامة انقض الجيش السلطاني كله على الجناح الايسر وكان قائده ابن حنصون نفسه فبذل كل ما في وسعه في أن يثبت أقدام عساكره فلم يفلح بل تركوا ميدان الوغى وروا الفاتكين بهم ظهورهم فاراً بعضهم الى استعجة والسيوف تعمل في رقابهم وبعضهم الى حصن بلي ومعه زعيمهم ابن حنصون وفي الليل ثلوا ثلثة في حائط الحصن وفرّوا منها مسرعين - في اثناء الفرار كان ابن مستنة بجانب ابن حنصون فمازحه قائلاً له « لقد نذرت أن تعطي خمسمائة درقه لمن ينيبك بمسير السلطان نحونا. الآن يجب عليك أن تفي بما نذرت. ليس من السهل أن تقهر الامويين كما كنت تظن

ماذا تفكر في ذلك » اجابه ابن حفصون وماء الفيظ يغلي في صدره  
« أفكر في أن الدائرة ما دارت علينا الا من جيبك وامثالك . أنتم  
لستم رجالا » لما بلغ ابن حفصون أرشدونة أمر السكان أن يرحلوا  
الى قلعة بيشتر واستمر في سيره اليها . أمر السلطان بقتل ألف أسير  
بالسيوف ثم دخل حصن بلي فوجد فيه كميات وافرات من النقود  
والذخائر وآلات الحرب وبعد أن أقام حامية فيه توجه الى حصن  
استجة فحاصرها بعض أساميع الى أن صعد النساء على الاسوار ورفسن  
أطفالهن على الايدي مستغاثات لما غشمين من الجوع فعفا السلطان  
عن المحصورين جميعا وأخذ رهائنهم ووئى عليهم واليا ثم توجه  
الى بيشتر ثم الى البيرة وأخذ رهائن من أهلها وعاد بجيشه  
الى قرطبة

هذه الواقعة من الوقعات الممدودات ولولا انتصار السلطان فيها  
لستطعت دولة بني أمية في الاندلس - بهذا الانتصار رجع الى السلطان  
مقامه الأول وعاد الى طاعته بلي راستجة وارشدونة وإلبيرة وجيان  
وانكسرت شوكة ابن حفصون وحصل انقلاب في الراى العام فرأى  
الناس ان السلام في طاعة السلطان وترك الفوضى . طالب ابن حفصون  
الصالح فأجابه السلطان اليه على شرط أن يقدم ابنه رهينة ففعل وقدم  
ابنا لغيره فكشف غطاؤه ولامه السلطان على الفش فنزع الى ديدنه  
وشن الغارة على أرشدونة وإلبيرة وجيان سنة ٨٩٢ (٢٧٩) <sup>(١)</sup>

وفي سنة ٨٩٣ غزا جيش السلطان تحت إمرة المطرف ضواحي بيستر  
وحاصر البيرة وآمن أهلها من كل خوف فسلموا إليه ضابط ابن  
حفصون وعساكره ومن ذلك الوقت عظم النفوذ السلطاني واستمر  
في ذلك الوقت انقسم عرب غرناطة الى حزبين حزب سعيد بن  
جودى ( يظهر أن المطرف نصبه على البيرة ) وحزب محمد بن أضحى  
أمير الحامة وكان أحدهما يحتد على الآخر ويسمى في قتله  
تفيط من سعيد كثير من الرؤساء لتكبره وفجوره حتى أن أحدهم  
المسمى أبا عمر عثمان لما بلغه أن امرأته ضربت موعدا لسعيد في بيت  
يهودية عزم على أن يغسل خنجره في دم الفاجر فترقب مجيئه في الميعاد  
وانقض عليه وقتله سنة ٨٩٧<sup>(٢)</sup> بعد قتل سعيد انفرد ابن أضحى  
بالرياسة على العرب

وفي سنة ٨٩٩ أظهر ابن حفصون النصرانية هو وذو قرباه  
وكان يخفيها من قبل خداعا فانصرفت قلوب المسلمين عنه وناصبوه  
الهداء اه

يؤخذ من ابن خلدون أنه في عهد الأمير عبدالله كان عبد الرحمن  
ابن مروان مستقلا في بطليموس وسعدون السمراسقي في قلنبهرة

---

(١) لا يخلو هذا من نظر فإنه بعد أن يقوم لابن حفصون قائمة بعد سنة من انكساره  
في وقعة بلى الانكسار الهائل

(٢) هذه العبارة تخالف ما قاله ابن عذارى في هذا الموضع

ومحمد بن تاركيت في ماردة وكان بها جند من العرب وكنانة فاعمل الخيلة في اخراجهم منها ونزلها هو وقومه مصمودة وعظمت الفتنة بينه وبين ابن مروان فخاربه هذا وهزمه واستلحم قومه فاستعجاش بسعدون فلم يعنه فقص هذا من جناح ابن تاركيت وعلا كعب ابن مروان الى أن هلك . . . . . وعقد الأمير عبد الله على بطليموس لأميرين من العرب فاضطربا وقتل أحدهما الآخر واستقل بطليموس ونازل حصون البربر حتى طاعوا وحارب ابن تاركيت صاحب ماردة ثم اصطالحوا وأقاموا جميعا طاعة الأمير عبد الله ثم تحاربوا فاتصلت حروبهم الى آخر دولته

توفي الإمام عبد الله ليلة الخميس مستهل ربيع الاول سنة ٣٠٠ هـ<sup>(١)</sup> وكانت خلافته خمساً وعشرين سنة وخمسة عشر يوماً ودفن في قصر قرطبة مع أجداده الأمراء وكان له من البنين أحد عشر منهم محمد المقتول أبو عبد الرحمن الناصر ومن البنات ثلاث عشرة

## ﴿ ذنابات ﴾

الأولى - كان للأمير عبد الله حاجب<sup>(٢)</sup> ووزراء وكتّاب وصاحب

(١) قال ابن عذاري أنه كان ابن اثنتين وسبعين سنة (٢) منصب الحاجب في ذلك الزمن الغابر كمنصب رئيس الوزراء في زماننا هذا « ١٣٣١ للهجرة »

شرطة وقضاة - فكان حاجبه عبد الرحمن بن أمية بن شهيد حاجب أخيه المنذر من قبل ثم عزله وولى مكانه سعيد بن محمد بن السليم ثم عزله ولم يولّ المجابة أحدا - ومن وزرائه براء بن مالك القرشي وعباس بن عبد العزيز القرشي وعبد الملك بن عبيد الله بن أمية وعبيد الله بن محمد بن أبي عبدة وأصبغ بن عيسى بن فطيس ومن كتابه عبد الله بن محمد الرجالي - وكان صاحب شرطته موسى بن زياد ولما ولى القضاء خلفه يحيى بن زياد ثم مات و بقيت الشرطة بدون وال سنتين ثم وليها قاسم بن الوليد السكبي . كان لا يخوف أكثر أيامه من مقاعدة وزرائه ووجوه رجاله فإذا انتفضي خوضهم في الرأي والتدبير لأ سباب مملكتهم وما كان يحاوله من حسم الفتن خاض معهم في الاغبار والعلوم - قد فتح بابا في القصر سماه باب العدل وكان يقعد فيه للناس يوما معلوما في الاسبوع لياشر أحوال الناس بنفسه ولا يجمل بينه وبين المظلوم سترا

الثانية - وكان الامام متفنا في ضرب العلم بصيرا بلغات العرب - اعتمر اليه يوما بعض مواليه فقال ان مخائل الأمور تبدل على خلاف قولك وتنبى عن باطل تنصلك ولو أقررت بذنبك واستغفرت لجرمك لكان أجمل بك وأسدل لستر الغفوة عليك قال قد اشتمل الذنب على وحق الخطأ بي وإنما أنا بشر وما يقوم لي عذر « فقال مهلا عليك رويدا بك تقدمت لك خدمة وتأخرت لك توبة

وما للذنب بينهما مدخل وقد سعت الفران » - وأملى كتابا الى  
بعض عماله « أما بعد فلو كان نظرك فيما خصصناك به واهتباك به  
على حسب متوترك بالسكتب واشتغالك بذلك على مهم أمرك لكنت  
من أحسن رجالنا عناء وأتمهم نظرا وأفضلهم حمزا فاقبل من الكتاب  
فيما لا وجه له ولا نفع فيه واصرف همك وفكرتك وعنايتك الى ما يبدو  
فيه أكفأؤك ويظهر فيه غناؤك ان شاء الله . وكان شاعرا مطبوعا له أشعار  
حسان فمن قوله يتغزل في صباه

وَيَحْيَى عَلَى شَادِنِ كَحِيلٍ	فِي مَثَلِهِ يَخْلَعُ الْمَذَارِ
كَأَنَّمَا وَجَّهَتْهُ وَرْدُ	خَالَطَهُ النُّورُ وَالْبَهَارُ
قَضِيبُ بَانَ إِذَا تَنَتَّى	يَدِيرُ طَرَفَا بِهِ أَحْوَارُ
فَصَمْنُو وَدَّى عَلَيْهِ وَقَفَ	مَا أَطْرَدَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ

ومن قوله

يَا مَهْجَةَ الْمُشْتَاقِ مَا أَوْجَعَكَ	وَيَا أُسِيرَ الْحُبِّ مَا أَخْضَعَكَ
وَيَا رَسُولَ الْعَيْنِ مِنْ لَحْظِهَا	بِالرَّدِّ وَالتَّبَايَعِ مَا أَسْرَعَكَ
تَذْهَبُ بِالسَّرِّ فَتَأْتِي بِهِ	فِي مَجْلَسٍ يَخْفَى عَلَى مَنْ مَعَكَ
( كَمْ جَاغَةَ أَنْجَزَتْ أِبْرَازَهَا	تَبَارَكَ الرَّحْمَنُ مَا أَطْوَعَكَ ) <sup>(١)</sup>

ومن قوله في الزهد

يَا مَنْ يَرَاوَعُهُ الْإِجْلُ      حَتَامَ يَلْبِيكَ الْإِمْلُ

(١) اقتصر ابن عذاري على الأبيات الثلاثة وزاد الرابع المرقى

حَتَّامٌ لَا تَخْشَى الرَّدَى      وَكَأَنَّهُ بِكَ قَدْ نَزَلَ  
اغْفَلْتَ عَنْ طَابِ النِّجَاةِ      وَلَا نِجَاةَ لِمَنْ غَفَلَ  
هَيْهَاتَ يَشْغَلُكَ الْمَنَى      وَلَا يَدُومُ لَكَ الشُّغْلُ  
وَلَهُ أَيْضًا فِي الزُّهْدِ

أَرَى الدُّنْيَا تَصِيرُ إِلَى فَنَاءٍ      وَمَا فِيهَا شَيْءٌ مِنْ بَقَاءٍ  
فَبَادِرْ بِالْإِنَابَةِ غَيْرَ وَارٍ      عَلَى شَيْءٍ يَصِيرُ إِلَى فَنَاءٍ  
كَأَنَّكَ قَدْ حَمَلْتَ عَلَى سَرِيرٍ      وَغَيَّبَ حَسَنَ وَجْهِكَ فِي الثَّرَاءِ  
فَنَافَسَ فِي التَّقَى وَاجْنَحْ إِلَيْهِ      لَهْلَكَ تَرْضِيَنَّ رَبَّ السَّمَاءِ

الثالثة - قد صرح الفقيه أبو محمد بن حزم بدم هذا الأمير وقال  
انه كان قتالا تهون عليه الدماء مع كثرة اقباله على الخيرات وترك  
المنكرات فانه احتمال على أخيه المنذر على ايثاره له ووطأ عليه  
حججه بأن سم له المبضع الذي فصده به وهو نازل بمسكركه على  
ابن حفصون ثم قتل ولديه مما بالسيف واحداً بعد واحد قتل محمداً  
والد الناصر وقتل أخاه المطرف ثم قتل أخوين له معا أيضاً قتل هشاماً  
منهما بالسيف والقاسم بالسم الى غير ذلك اه من ابن عذاري

## ☆ (٨ - عبد الرحمن الناصر) ☆

ابن محمد المقتول ابن الأمير عبد الله

من ٣٠٠ الى ٣٥٠ هـ

قتل محمد ابن الأمير عبد الله في ريعان شبابه وترك ولدا حديث عهد بالوجود اسمه عبد الرحمن <sup>(١)</sup> وقد سبق ذكر ذلك هذا الولد قد غنى بتربيته وتعليمه في القصر جده <sup>(٢)</sup> وكان يحبه ويؤثره على بنيه حتى بلغ أشده فكان يرشحه لولاية الأمراء بعده ويقيم مقامه أحيانا في أيام الأعياد لتسليم الزوار والجنود عليه حتى وصى أخيرا بولاية عهده له أمام الأمراء والوزراء وولاية الأقاليم فانجذبت قلوب أهل الدولة والرعية إليه وأحبته لجمال سجايه الفطرية وكمال مزياته الكسبية ولما وقد نفوسهم من قتل أبيه شابا

فلما مات الأمير عبد الله اجلسوا حافده عبد الرحمن <sup>(٣)</sup> على كرسي الخلافة ولم ينازعه فيها أعمامه ولا أعمام أبيه بل كانوا أول من بايعه

(١) يقول كندى ان أمه مسيحية تسمى مريم أومارية وفي التواريخ العربية أن أمه ام ولد تسمى مزنة (٢) يقول كندى قد أحسن مربوه تربيته منذ نعومة أظفاره ووقد انتخبهم له جده فأقرعوه القرآن ولما بلغ الثامنة علموه السنة والنحو والشعر والأمثال تاريخ حياة الملوك وسياسة الملوك وعلوما أخرى اجتماعية — ثم علموه ركوب الخيل وفن الحرب عند ما أخذ يخطو في الحادية عشرة (٣) الحافظ ابن الابن وكذا الحفيد



ووافق يوم توليته الملك يوم الخميس مستهل ربيع الاول سنة ٣٠٠  
(١٥ اكتوبر سنة ٩١٢) وفي ذلك اليوم يقول أحمد بن عبد ربه  
من قصيدة

بدا الهلال جديدا      والملك غض جديدا  
يانعمة الله زيدي      ان كان فيك مزيد  
ان كان للصوم فطر      فانت للدهر عيد

وكان عمره يوم ولايته ينيف عن ائتين وعشرين سنة \* ودام  
ملكه الى يوم الاربعاء ٣ رمضان سنة ٣٥٠ (١٦ اكتوبر سنة ٩٦١)<sup>(١)</sup>  
فتكون مدة حكمه نصف قرن ونصف سنة ونحو ثلاثة أيام

(١) قال روى (ص ٩٨ ج ٤) أن مدة حكمه ٤٩ سنة ويوم من ١٤ اكتوبر سنة  
٩١٢ الى ١٥ اكتوبر سنة ٩٦١ وفي تقييده أن المدة بالحساب الهجري ٥٠ سنة و٦ أشهر  
الا ٣ أيام من خمسة ربيع سنة ٣٠٠ (١٢٠ اكتوبر سنة ٩١٢) الى ٧ رمضان سنة ٣٥٠  
(١٥ اكتوبر سنة ٩٦١) اه وفي كلامه نظر فانه ذكر في أعلى صحيفته ان مبدأ تاريخه  
(١٤ اكتوبر سنة ٩١٢ لا ١٢٠ اكتوبر من هذه السنة وعلى حسابه الهجري تكون المدة  
خمسين سنة وستة أشهر زائدة ثلاثة أيام لا ناقصة هذه الايام فانه بدأها باليوم الخامس من  
ربيع وختمها في السابع من رمضان - « ومع هذا » المبدأ والنهاية مغايران لما هو مذكور  
« في التواريخ العربية الصحيحة

وقد اعتمدنا في مقارنة التاريخ الهجري بالتاريخ الميلادي على التقويمات الالهامية  
محمد مختار باشا المصري غير أنه جعل مبدأ ربيع سنة ٣٠٠ يوم الجمعة والتواريخ العربية  
تثبت أنه يوم الخميس

كان أسلافه الامويون في اسبانيا يلقَّبون بالأمرء فقط كن  
تولاها قبلهم منذ الفتح ولم ينزعوا الى اتحال القاب الخلفاء في الشرق  
مع انهم كانوا ملوكا متفردين بحكوماتهم وأعداء للعباسيين وكانوا  
يستعملون النقود الشرقية فلما تولى عبد الرحمن الثالث تلقب بالخليفة الناصر  
أمير المؤمنين وضرب نقودا جديدة كتب عليها اسمه وهذه الألقاب . قال  
أبو الفداء « كان أبيض أشبل حسن الوجه وهو أول من تلقب من الأمويين  
أصحاب الاندلس بالألقاب الخلفاء وتسمى بأمير المؤمنين وكان من قبله  
مخاطبون ويخطب لهم بالأمر وأبناء الخلفاء وبقى عبد الرحمن كذلك  
الى أن مضى من امارته سبع وعشرون سنة ( كذا ) فلما بلغه ضعف  
الخلفاء بالعراق وظهور الخلفاء المايين بأفريقية ومخاطبتهم بأمير المؤمنين  
أمر أن يلقب بالناصر لدين الله ويخطب له بأمير المؤمنين » <sup>(١)</sup>

وقال ابن خلدون « انه أول من تسمى بأمير المؤمنين عندما تلاشى  
أمر الخلافة بالشرق واستبدت موالى الترك على بني العباس وبلغه أن  
المقتدر قتله مؤنس المظفر مولاه سنة سبع وعشرين وثلثمائة ( كذا )  
فتلقب بالألقاب الخلفاء »

مأخذ عبارتي أبي الفداء وابن خلدون تاريخ ابن الأثير <sup>(٢)</sup>  
وقد جاريه في أن سنة التلقب السابعة والعشرون بعد الثلاثمائة ونحا

(١) انظر حوادث سنة ٣٥٠ من تاريخ ابن الفداء ص ١٠٨ ج ٢

(٢) انظر حوادث سنة ٣٥٠ في الجزء الثامن

( ١٧ - تاريخ العرب في اسبانيا )

منحى عبارة ابن خلدون المقرئ اسكنه خالفه في تاريخ هذه السنة كأنه يؤهّمه فقال « انه أول من تسمّى منهم بالانداس بأسيير المؤمنين عندما التاث أمر الخلافة بالمشرق واستبدّ موالى الترك على بنى العباس وبلغه أن المقتدر قتله مؤنس المظفر مولا سنة سبع عشرة وثلثمائة فتلقب بألقاب الخلافة » وفي تاريخ قتل المقتدر في كليهما نظر فان المقتدر قتل في سنة عشرين وثلثمائة كما يتبين ذلك من كلام ابن خلدون نفسه على بنى العباس<sup>(١)</sup>

خطأً روى أبا الفداء في سنة تلقب عبد الرحمن بألقاب الخلافة وأفاد أنه تلقب بهذه الألقاب منذ سنة ٣٠٢ وهالك تريب ما أخذناه منه في هذا الموضوع<sup>(٢)</sup> « في سنة ٣٠٢ (٩١٤) أمر عبد الرحمن الثالث بتغيير سكة نقود الذهب والفضة وكان اسلافه يحافظون على صورة رقاب نقود خلفاء دمشق فكانت نقود اسبانيا لا تختلف عن نقود الشرق الا في تعيين السنة والمحل اللذين ضربت فيهما سواء في ذلك دنانير الذهب ودرهم الفضة وفلوس النحاس فلما جاء أمر أن يكتب على وجه منها اسمه وألقابه التي منها منذ سنة ٣٠٢ لقب الامام المختص بالخلافة ( كذا ) وعلى الوجه الآخر ( الشاهدان ) الاعتراف بوحداية الله وبرسالة نبيه محمد كما جرت العادة بذلك في الشرق من

(١) انظر ج ٣ ص ٣٩١

(٢) ص ١٠٢ ج ٤

قديم من عهد معاوية وأن يكتب على حافة أحد الوجين السنة والمحل  
الذان ضربت فيهما ٠٠٠٠٠ لم يسبق لاحد من أسلافه أن تلقب  
بأمير المؤمنين فقد دلنا وصف مدينة ماردة بين الآثار على أن عبد  
الرحمن الثاني كان يلقب بالامير فقط فدعوي أبي الفداء بأن عبد  
الرحمن الثالث ماتلقب بأمير المؤمنين الا في السنة الخامسة والعشرين  
( كذا ) من حكمه باطله بأكثر من دليل وبخصوص المؤرخين الثقات  
التي أوضحها نص (العب Elabar) <sup>(١)</sup> وهو « لما علم عبد الرحمن الناصر  
الأمرى صاحب الأندلس درجة المجد التي ارتقى اليها المعز الفاطمي  
( في أفريقية ) وانه تلقب بأمير المؤمنين ورأى من جهة أخرى انحطاط  
خلفاء بغداد رأى امكان تسميته بأمير المؤمنين مثلهم ومن هذا الحين  
أخذ لقب الناصر أيضا الى أن مات سنة ٣٥٠ للهجرة »

وقال ابن الشحنة في سنوياته مع المصراحة

« وتسمى عبد الرحمن بن محمد بالناصر لدين الله مع لقب أمير  
المؤمنين الذي أخذه في السنة الثانية من خلافته في الوقت الذي انحطت  
فيه دولة العباسيين في الشرق من اعتداء ( موالى ) الترك عليها واسلافه  
لم يلقبوا الا بالامراء » فقد صرح كلا المؤرخين بما دعا عبد الرحمن

(١) لا يعلم الاسم العربي الذي يعنيه رومى بهذا اللفظ الافرنجى الا أنه قال  
في تقييداته « أنه بخطوط عربي من الاسكوريال Escorial » - ولعل اسمه (العب)

الى التلقب بألقاب اسعى من ألقاب أسلافه وقد عزيا ذلك الى  
أصلين ارتفاع سلالات ( كذا ) جديدة في افريقية وانخفاض العباسيين  
في الشرق لاستبداد الجنود التركية بأمرهم من عهد المعتز بالله  
( كذا ) يوتون الخلفاء ويعزلونهم على حسب أهوائهم . فعبد الرحمن  
الثالث هو أول من وضع اسمه وألقابه على النقود المضروبة في عهده .  
كان يقرأ على أحد وجهيه في الوسط « لا إله إلا الله وحده لا شريك  
له » وفي الخافة باسم الله ضرب هذا الدرهم في الأندلس في سنة ٣٠١  
( ٩١٢ ) ( كذا ) « وعلى الوجه الآخر في الوسط « الامام الناصر لدين  
الله عبد الرحمن أمير المؤمنين » وفي الخافة « محمد رسول الله أرسله بالهدى  
ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون » ( كذا )

وقد يرى على النقود العربية الاسبانية المضروبة في ذلك العهد  
اسماء الحجاب وربما دل هذا على اتساع دائرة نفوذهم . ذكر ابن  
حيّان أنه كان يضرب من دراهم الفضة بقدر ما يضرب من دنانير  
الذهب باسمه واسم حاجبه وكان يخطب باسم هذا في جوامع أسبانيا  
ويرى من نقود المنصور فيما يأتي أن اسم الحاجب كان يوضع عادة  
تحت ( شهادة ) وحدانية الله . . . الخ

انتهى ما عرّ بناه من كلام روى ولا يخلو من مغامز

( ١ ) فان لقب ( الامام ) ليس مختصاً بالخلفاء فان أصحاب المذاهب  
الأربعة يلقبون بالأئمة الامام مالك والامام أبي حنيفة والامام الشافعي

والامام أحمد بن حنبل ويقولون أيضا الامام الفزالي والامام الرازي  
وامام المحققين وامام المصلين اللهم الا ان يخصص بمن له السلطان  
الدينى والدنيوى على المسلمين (٢) وان أبا الفداء لم يذكر سنة خمس  
وعشرين كما عزاها اليه روى (٣) وأول كلامه لا يطابق آخره ففي  
الاول عين سنة ٣٠٢ (٩١٤) وفي الآخر أفاد أن النقود مكتوب  
عليها سنة ٣٠١ (٩١٣) (٤) ونصّ (العبّر Elabarar) لا يقوم دليلا  
لروى فان (المعزّ) الفاطمى لم يرتق الى الخلافة في أفريقية الا منذ  
سنة احدى واربعين وثلاثمائة (٥) وكان الظاهر أن يقول (ارتفاع  
الفاطميين) بدل قوله (ارتفاع سلالات جديدة) (٦) والمعز بالله  
الذى زاد اسمه على النصين اللذين جاء بهما خليفة عباسى تولى سنة  
٣٨٢ وشغب موالى الترك كان قبل هذا التاريخ أيضا (٧) وعبارته  
اولا تفيد أن (الشهادتين) الاعتراف بوحداية الله وبرسالة نبيه محمد  
تكتبان في وجه واحد وعبارته أخيرا تفيد غير ذلك

وقال ابن عذارى «هو أول من تسمى منهم بأمير المؤمنين وتلقب بأحد  
اللقاب السلطانية وهو الناصر ثم تسمى منهم من كان بعده من خلفائهم  
بأمرة المؤمنين وأثر اللقب السلطاني وذلك حين هاجت الخلافة العباسية  
وضعفت وظهرت الدولة التركية والديلمية فصارت أمرة المؤمنين لا تة  
بمنصبه وكلمة باقية في عقبه فاستعمل الخطيب في جامع قرطبة أحمد بن  
بقي بن مخلد يذكر هذا الاسم المخلد يوم الجمعة الاول من سنة ٣١٦ «

وذكر في حوادث سنة ٣١٦ أن الناصر رأى أن تكون الدعوة له في مخاطباته والمخاطبات عنه بأمر المؤمنين فعهد إلى أحمد بن يحيى صاحب الصلاة بقرطبة بأن تكون الخطبة له يوم الجمعة مستهل (كذا) ذي الحجة بلقب أمير المؤمنين ونفذت الكتب إلى العمال بمثل ذلك في يوم الخميس لليلتين خلتا (كذا) من ذي الحجة سنة ٣١٦ وهالك نسخة الرسالة النافذة في ذلك

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

أما بعد فإننا أحقُّ من استوفى حقه وأجدرُّ من استكمل حفظه وليس من كرامة الله ما ألبسه للذي فضلنا به وأظهر أثرنا فيه ورفع ساطعنا إليه ويسر على أيدينا دركه وسهل بدولتنا سرامه والذي أشاد في الآفاق من ذكرنا وعلو أمرنا وأعلن من رجاء العالمين بنا وأعان من انحرافهم إلينا واستبشارهم بدولتنا والحمد لله وليّ الأنعام بما أنعم به وأهل الفضل بما تفضل علينا فيه وقد رأينا أن تكون الدعوة لنا بأمر المؤمنين وخروج الكتب عنا وروودها علينا بذلك إذ كل مدعو بهذا الاسم متعجل له ودخيل فيه ومتمسِّم بما لا يستحقه وعلينا أن التماذى على ترك الواجب لنا من ذلك حق أضعناه واسم ثابت استعظمناه فأمر الخطيب بموضهك أن يقول به وأجر مخاطبتك لنا عليه ان شاء الله والله المستعان وكتب يوم الخميس لليلتين خلتا (كذا) من ذي الحجة سنة

(١) ٣١٦ هـ

وذكر في حوادث هذه السنة أيضا أن الناصر أسس بقائمة دار  
السكة داخل قرطبة لضرب الدينار والدراهم وولى خطتها أحمد بن  
موسى بن جدير يوم الثلاثاء لثلاث عشرة ليلة بقيت من رمضان وأقام  
الضرب من هذا التاريخ وكانت مثاقيله ودراهمه عيارا محضاً من  
خالص الذهب والفضة . فكلام ابن عذارى صريح في أن عبد الرحمن  
تلقب بأمر المؤمنين وأمر بضرب النقود في سنة ٣١٦ والظاهر أن هذا هو  
الصحيح المعول عليه ويؤيده ما قاله دوزي من أن عبد الرحمن أمر بأن يلقب  
بالقاب ( الخليفة وأمر المؤمنين والناصر لدين الله ) وأن يخطب له على  
المنابر بتلك الألقاب منذ يوم الجمعة سادس عشر يناير سنة ٩٢٩ (٢)  
استمرلى عبد الرحمن الثالث على عرش الأماة وأسبانيا قد ثار  
ثأثرها وفار فآثرها ونبتت كورها طاعة قرطبة وتفرد الولاة  
بولايانهم رقطوا وأواخي التبغ لبني أمية فأطفا نيران الثائرين وكبح  
جراح المخالفين حتى ثابوا الى الطاعة واستقامت له البلاد لكن أقاليم  
الشمال لم تدخل كلها في دائرة سلطانه بل بقيت جليقة في أيدي  
الجلالة

(١) انظر ابن عذارى « ص ٢٦٢ ج ٢ » ووفق بين قوله « يوم الجمعة مستهل  
ذى الحجة » وقوله « يوم الخميس لليلتين خلتا من ذى الحجة » والظاهر أن قلمه عكس  
التاريخين فوضع أحدهما موضع الآخر  
(٢) انظر دوزي ج ٢ ص ٤٩



« غزواته الداخلة »

(فتح استجة) في جهادي الاولى سنة ٣٠٠ (ديسمبر سنة ٩١٢)  
أغزى الناصر حاجبه بدر بن أحمد مدينة استجة فهدم سورها وفتحها  
وولى عمالتها حمدون بن بسيل  
(فتح جيتان و البيرة) وفي هذه السنة أراد عبد الرحمن أن  
يجنى ثمار النصر بنفسه ويقاسم جنوده تكاليف الغزو في ساحات  
الوغي لينال معهم الفخر والمجد فقاد جيشاً جراراً الى جيتان في ٧ رمضان  
(١٧ افريل سنة ٩١٣) ففرح الجنود بأمره ملكهم الشاب العظيم  
وانتمشت أرواحهم بالحاسة ولما وصل الملك الى كورة جيتان علم أن  
ابن حفصون اتفق مع الحزب الثائر في ارشدونة ففصل قسماً من جيشه  
وأمره بالتوجه اليها سرىما ليحول دون مأرب ابن حفصون فتم ذلك  
وخاب أمل الثائرين وحاصر السلطان حصن (المتلون) يوم الاحد  
فاذعن له بالطاعة أمير الحصن سعيد بن هذيل يوم الثلاثاء وعقب  
فتح هذا الحصن الحصين توالى فتح ثمانية حصون أخرى بدون ريث  
ولا توقف منها (شمتان) و (منتيشة) و (الشارة) وأمرأوها عبيد الله  
ابن أمية بن الشمالية واسحق بن ابراهيم وعبد العزيز بن عبد الأعلى  
وقد أذعن أمراء هذه الحصون كلها الى طاعة السلطان واستأمنوه  
فأمنهم وبعث بهم ونسائهم وأولادهم معهم كوكبة من الفرسان  
الى قرطبة وأقام في الحصون عمالاً يثق بهم ثم انتقل الى كورة البيرة

وفعل بحصونها كما فعل بامثالها من قبل غيران حصن فنيانة (Fīnāna) توقف لأن من به من أشياخ ابن حفصون أقنعوا السكان بأن المدينة منيعة ومع هذا لم تظل مدة التوقف فانهم لما رأوا الجنود يحرقون أرباضها خابروا السلطان وقبلوا أن يسلموا اليه شيعة ابن حفصون كما طالب ثم توغل عبد الرحمن في السبل الوعرة من جبال ( نقادة ) فأخضع أمراء حصونها - حين ذلك علم ان ابن حفصون يهدد مدينة البيرة فبعث اليها مددا يساعدها على دفع اغارته عليها فلما علم حاميتها بقرب وصول المدد اليهم خرجوا ودفعوا العدو بالقرب من غرناطة حتى ألجؤه الى الحرب وأسروا حفيده عمر بن أيوب - في اثناء ذلك كان عبد الرحمن يحاصر حصن ( شيليس )<sup>(١)</sup> وقد التجأ اليه من فروا من الحصون الأخرى وكان من أعظم حصون ابن حفصون منيعة وأصعبها مراسا ودام الحصار خمسة عشر يوما في نهايتها رضخ أهل الحصن لطاعة السلطان وأنزلوا اليه شيعة ابن حفصون فضرب رقابهم وأقام في الحصن من يدير عمله ثم سار في طريق البيرة ففتح مدينة ( شالوبينية )<sup>(٢)</sup> وقصد حصن ( استين ) وحصن ( بنة فراطة ) وكانا أعز مراسما من وكر العقاب يفرع منهما دائما سكان البيرة وغرناطة فاحدقت

(١) قال ياقوت شيليس حصن حصين بالاندلس من أعمال البيرة قريب من بركة .

(٢) قال ياقوت بفتح أوله ٥٥٥٥ حصن بالاندلس من أعمال كورة البيرة

جيشه بها وحاربوها عشرين يوما حتى استولوا عليها  
تطهرت حينئذ كورتا جيآن وإليرة وما والاهما من الأشقياء  
المفسدين وسرت في ربوعهم أروج السلام وقد تسنى للسلطان ذلك  
في نحو ثلاثة أشهر فقبل راجعا إلى قرطبة ودخل قصرها يوم عيد الاضحى  
(١٨ يولية سنة ٩١٣)

(فتح اشبيلية) بعد موت عبدالرحمن بن ابراهيم بن حجاج صاحب  
اشبيلية في المحرم سنة ٣٠١ (٩١٣) أقام أهلها أحمد بن مسلمة من سلالة  
بنى حجاج خلفا له فبعث اليها الناصر جيشا تحت قيادة الوزير أحمد بن  
جدير فخار بها وأوقع بأهلها . عندئذ جاء قرطبة محمد بن ابراهيم بن  
حجاج صاحب قرمونة وعرض نفسه على الخليفة لمحاربة أهل اشبيلية  
فبعثه لذلك مع قاسم بن الوليد الكلبي فحاصرها شهرا . لما رأى  
ابن مسلمة وأشرف اشبيلية أن المقاومة تطول ولا تجدى نفعا خابروا  
بدرا الحاجب وكان قد حضر المعسكر ليساعد الجيش المحاصر فوعدهم  
بان حكومة قرطبة تحفظ للاشبيليين ما كان لهم من العادات والخصائص  
في عهد بنى حجاج . حينئذ فتحوا أبواب المدينة يوم الاثنين ثامن عشر  
جمادى الاولى سنة ٣٠١ (٢٠ ديسمبر سنة ٩١٣) فدخلها بدر وهدم  
أسوارها وأصلح شؤون أهلها وأقام سعيد بن المنذر عاملا عليها<sup>(١)</sup>

عاد محمد بن حجاج الى قرمونة مغاضبا لأن أمر اشبيلية لم يؤل  
اليه وكان يترقبه فارسل اليه الناصر قاسما صديقه الحميم يستقدمه الى  
قرطبة فاقنعه فقبل بشرط أن يخلفه عامله حميد بن سواده في قرمونة  
ورجع الى الخليفة (في افريل سنة ٩١٤) فقلده الوزارة  
وأما أحمد بن مسامة فقد ولى الشرطة العليا في قرطبة

(فتح قلعة) في يوم الاربعاء ثامن عشر ذي القعدة سنة ٣٠١  
فتح أهل (الشعر) مدينة (قلعة) وكانت بأيدي المشركين<sup>(١)</sup>  
(فتح ربة) بعد فتح كورتى جيان وإلبيرة غزا الناصر كورة ربة فافتتح  
حصونها واسمائنه أهلوها فأمنهم ولم ينف اماءه الا حصن (طرش)<sup>(٢)</sup>  
Talox وكان فيه ابن حصون نفسه — ما كان يتوقع أن يفوز  
عبد الرحمن سرهما في هذه الكورة كفوزه في الكورتين السابقتين  
لأن ابن حصون نشر فيها لواء العصيان ونفخ في أرجائها روح  
النصرانية حتى كاد ظل الاسلام يتقلص من ربوعها لكن سهل فوز  
السلطان ما شهد به فيه نصارى اسبانيا من معاملة رعاياه بالحسنى والعدل  
سواء في ذلك المسلمون والنصارى وأنه كان يراعى شروط البلاد  
المفتوحة ولا ينقضها وأنه كان يخفف المغارم التي طالما أثقلت كواهل

(١) ابن عذارى (٢) قال ياقوت « طرش » بفتح أوله وتشديد ثانيه  
وضعه ناحية بالاندلس تشمل على ولاية وقرى

الأهلين : في هذا الحين قام أسطول له بأمر جلال وهو استيلاؤه على سفن ابن حفصون التي كانت تنقل اليه الاقوات من أفريقية . في أثناء عودة السلطان الى عاصمته مرّ على ( الجزيرة ) ثم على اقليمى شدونة وهو زور<sup>(١)</sup> Moron - ثم وصل الى قرمونة في اليوم الثامن والعشرين من يونية سنة ٩١٤ وكان فيها حبيب القائم قام محمد وقد رفع لواء الثورة . أمن تلقاء نفسه كان العجميان أم بايعاز من أميره ؟ ترجعت مهمة الشق الثاني عند السلطان فعمل محمد من عتبة الوزارة وأمر بزجه في السجن . حاصر المدينة عشرين يوما في نهايتها استأمن حبيب وفتحت المدينة أبراجها أما محمد بن حجاج فاطلق سراحه لكنه لم يتمتع بالحرية طويلا بل مات في افريل سنة ٩١٥ م وبموته انقضت دولة بني حجاج بعد أن لعبت دورا عظيما في تاريخ أسبانيا<sup>(٢)</sup>

لزيادة البيان في غزوة الناصر السابقة تأتي بما ذكره ابن عذارى فيها مع تصرف قال

( غزاة أمير المؤمنين الى كورة رية والجزيرة وقرمونة ) في ثامن شوال هذه السنة ( ٣٠١ ) فحصل غازي فوجّه حاجيه بدرا الى حصن ( بلدة )

(١) بزاي معجمة بعد الواو الاولى وراء مهمة بعد الواو الثانية . انظر الهامش الآتي — الاسم الافرنجى . أخوذ عن دوزي  
(٢) دوزي ص ٣٣٨ ج ٢

فألقى أهلها على غرة فقتل منهم وسبي وأسروا وتوجه الناصر نفسه  
بجيشه إلى حصن (طارش) وحاصره أيتاما يغاديهما الحرب ويماسيهم  
ويقطع ثمارهم ويحطم معاشهم ويقتل من تظاهر منهم وأبقى الحصار  
وتنقل إلى حصون رية ومعاقل ابن حفصون يتبعها معقلا معقلا ويوقع  
بأهلها المشركين وقائع عظيمة حتى ذهب كثير منهم وبعث برؤسهم  
إلى قرطبة وألقى لابن حفصون مراكب في البحر كانت تديره من  
العدوة فأحرقها وأسرع من كان بتلك الجهة من أهل (شابر) وفج  
(وسيم) و(قالبيرة) و(القصر) وما انتظم بها من أحواز (الجزيرة)  
إلى الدخول في الطاعة والاعتصام بها من الملكة فقبلهم وآمنهم وسكن  
أحوالهم وتنقل منها إلى حاضرة الجزيرة<sup>(١)</sup> ثم إلى كورة شدونة ثم إلى  
كورة مورور<sup>(٢)</sup> ثم أوفى على مدينة قرمونة فاحتلها يوم الثلاثاء مستهل  
ذي الحجة وكان حبيب قد أظهر الخلاف فيها فحوصر عشرين يوما  
حتى استأمن فأومن وأخرج بأهلها وأثقاله إلى قرطبة وقفل الخليفة  
إليها فدخلها يوم الاثنين الثامن والعشرين من ذي الحجة سنة ٣٠١  
وفي هذه الغزاة بعث في قاسم بن وليد الكلبي صاحب الشرطة

(١) يريد الجزيرة الخضراء فإن أعمالها اتصل بأعمال شدونة كما في ياقوت  
(٢) براءين بينهما وأوكذا في ابن الأثير وابن عذاري ولكن رأيت في ياقوت  
مانعه «موزور» اسم المنعول من الوزر اسم لكورة بلاندا لس متصل بأعمال  
قرمونة وهي عن قرطبة بين الغرب والقبلة كثيرة الزيتون والغواكه بينها وبين  
قرطبة عشرون فرسخا

وكان قد خالف بقرطبة فسجن وسجن معه محمد بن ابراهيم بن  
حجاج وعزل ابن مسامة عن الشرطة العليا ووليها عباس بن أحمد  
ابن أبي عبد الله اهـ

في سنة ٩١٥ ( ٣٠٣ ) أجذبت الارض وأعقب الجذب مجاعة  
هائلة فوباع حتى ان سكان قرطبة كانوا يموتون بالألوف وكانت سواعدهم  
عن دفن موتاهم وقد قام السلطان وأهل دولته ولا سيما حاجبه بدر  
بكل مافي وسعهم لتخفيف ويلات الفاقة بكثرة الصدقات على ذوي  
المترية — ولم يمكن أن يكون في هذه السنة غزو بل أن الناصر ضبط  
أطراف البلاد وتحفظ برعاياه من عادية أهل الخلاف سكان الجبال  
إذ كان يدفعهم الجوع الى شن الغارات على البلاد الموالية للخلافة  
وفي آخر سنة ٣٠٦ للهجرة <sup>(١)</sup> ( مايو سنة ٩١٩ الميلاد ) قضى  
نحبه عمر بن حفصون بعد أن صرف هو ووالده حفصون نحو نصف قرن  
في اثاره الثورات وشن الغارات على الأمويين حتى كاد ينشل عرش  
ملكهم من اسبانيا ولذا فرحوا بهبوط انوائه — بموت عمر بن حفصون  
لم تنقطع الحروب في اقليم رية بل مكثت عشرين سنين أيضا

ففي ذي الحجة سنة ٣٠٦ غزا الناصر مدينة ( بلدة ) فأحاطت  
بها العساكر فانضم من كان فيها من المسلمين اليهم واعتمدوا بأنهم

(١) كذا يؤخذ من ابن خلدون وروى كاسياني وفي ابن عذاري أنه هلك سنة ٣٠٥

كانوا مغلوبين على أمرهم فأكرمهم الناصر وقاتل النصارى المخالفين حتى  
ظفر بهم وملاك المدينة

ثم انتقل الى حصون رية فتقراها معقلا معقلا يفتح ماصر به  
منها ثم نزل على حصن يُدشتر فحاصره حتى سأل جعفر بن عمر بن  
حفصون الصلح وقدم اليه رهائن على طاعته وعلى أداء خراج سنوى  
فأجاب به الناصر الى ذلك وقفل الى قرطبة فدخلها فى المحرم سنة ٣٠٧  
وفى سنة ٣٠٧ احتل جنود السلطان بحصن طرُش وكان به  
عبد الرحمن بن عمر بن حفصون فأسلمه اليه بدون قتال وتوجه الى  
قرطبة فأُنزل وأكرم وكان غير داخل فى الحروب والفتن مدخل أبيه  
واخوته بل كان هالكا بالسكتب ونسخها لحسن خطه

يؤخذ من دوزى أن جعفرا اقترف خطأ عظيما كان طالعه عليه  
نحسا : اعتقد أن والده اخطأ فى اظهار نصرائته ونصرانية أسرته لأنه  
بذلك أبعد قلوب المسلمين عنه . هذا لا ريب فيه لكن الامر وقع  
ولا مرد له وكان يجب أن يركن بنو عمر الى جنودهم النصارى دون  
المسلمين فان هؤلاء وقد انكشف الغطاء لهم عن مواطن أولئك  
لا يصافونهم . وفيما وقع عند حصار مدينة ( بلدة ) شاهدته دقنق ومع  
هذا كان جعفر يعتقد أن فى الامكان استرضاء المسلمين عنه برجوعه الى  
دينهم فأظهر الاسلام ولم يحسب حسابا لما يحيط به فكانت العاقبة  
وبالا عليه فان جنوده النصارى غضبوا عليه واعتقدوا فيه الاتحاد



فأعزوا به وقتلوه سنة ٩٢٠ م وأعلنوا إمارة أخيه سليمان في بشت تر فبادر بالعودة اليها ( وكان في جند السلطان ) لكن كانت إمارة شؤما فقد ساد فيها الفساد وظهر فيها العصيان وطرده التأثير من المدينة وأطلقوا سراح من سجنهم ونهبوا قصره لكن بعد يسير من الزمن علم أشياعه أنه دخل المدينة خفية فانضموا اليه وتغلبوا على أخصامه وانقموا منهم شر انتقام ومع هذا لم يعيش زمنا طويلا بل قتله جنود السلطان أثناء مناوشة في ٦ فبراير سنة ٩٢٧ وخلفه أخوه حفص لكن دقت ساعة نحسه وجاءه جيش السلطان وحصر بشت تر من جميع الجهات وقطع معاشها حتى ألجأه بعد ستة أشهر أن يسلم المدينة في يناير سنة ٩٢٨ ( في ذي القعدة سنة ٣١٥ ) فاحتلها الجنود وحملوه واسرته الى قرطبة ناقت نفس السلطان الى رؤية هذا الحصن المنيع الذي صد هجمات أربعة ملوك في مدة خمسين سنة فتوجه اليه بنفسه بعد شهرين من افتتاحه فراه جانبا كالعقاب على طود شاهخ ذا قلاع حصينة وأبراج تناطح السحاب فأيقن ان ليس لهذا الحصن نظير في الارض بأسرها وسجد لله شكرا على أن ملكه آياه

لم يחדش وجه فخار الناصر الا ضعف عزمته أمام إلحاف فقهاء اتباعه وسألوه أن يخرجوا رفات عمر بن حفصون وابنه جعفر من قبورها فأذن فأزعجوا الاشلاء من نومها الابدى وبعثوا بها الى

قرطبة فصلت (١)

ثم استولى على المواقع التي كانت في أيدي الحفصونيين وأعدم  
أفرادهم وأبقى على آخرين وبعث بمن يخشى شرهم إلى قرطبة  
وبذلك استقامت له بلاد رية

لم يكن الغزو قاصرا في السنين السالفة على جبال رية بل كان  
يجاوزها إلى عدة جهات أخرى ففي سنة ٩٢١ م استنزل الناصر  
ذراري ابن مستنة من حصونهم في جبال باغة Priego وأخضع  
بربر بن المهاب في كورة إلبيرة وفي سنة ٩٢٢ م حاصر حصن منت  
روبي وكان من أمنع معاقل بني حفصون متوسطا بين جيان وإلبيرة  
مشيدا على جبل شامخ يعز على من رآه وطالما ألقى الرعب في قلب  
الحكومة وكان سكانه يغيرون على القرى المجاورة لهم وينهبونها  
ويسفكون دماء أبناء السبيل ويسلبون أموالهم ولم يفتحه السلطان  
إلا بعد أربع سنين من حصاره وفي سنة ٩٢٤ م اضطر عصاة كورة  
بالتسوية إلى الطاعة وبعد سنتين أغزى الناصر قائده عبد الحميد بن بسيل  
بني ذي النون فانتصر عليهم

رأى السلطان أن لا خوف حينئذ من جهة الجنوب فوجه كل  
قواه إلى عصاة كور أخرى فظفر بهم - وفي سنة ٩٢٨ م أغزى قائده  
أحمد بن اسحق إلى كورة تدمير فانتزع عصاتها - وفي السنة التالية

(١) دوزي

انتظمت باجة Beja في سلك الطاعة بعد أن قاومت خمسة عشر يوما ثم وجه السلطان جيوشه الى خلف بن بكر أميراً كشونية فأطاع والتزم باداء الجزية في كل سنة

وفي سنة ٩٣٠ خضعت مدينة بطليوس بعد أن حاصرها جنود السلطان سنة كاملة وكان يحكم فيها أمير من سلالة ابن مروان الجليقي.

ليكون عبد الرحمن وارثاً ملك أسلافه لم يبق عليه الا اخضاع مدينة طليطلة فبدأ بارسال وفد من الفقهاء الى أهلها ينيهم الى أنه ليس من الحكمة أن يتأدوا في غيهم ويصروا على عصيان السلطان وقد دخلت جميع بلاد اسبانيا في الجنوب والشرق والغرب في دائرة طاعته فلم ينجح هذا الوفد في مسعاه فارسل الناصر في شهر مايو سنة ٩٣٠ وزيره سعيد بن المنذر الى طليطلة فحاصرها - وفي شهر يونية سار السلطان بنفسه يقود جيشاً كثيفاً الى هذه المدينة ولما قرب من حصن مورة أمر صاحبه أن يخليه فلم يسمعه الا أن بادر بتركه فاقام فيه عبد الرحمن حامية ثم حوّل معسكره الى جبل جرنكش بالقرب من طليطلة وأخذت عساكره تحطم الزروع والأشجار وتحرق القرى التي في الضاحية ونهاجم الطليطليين بشدة عظيمة ثم عاد السلطان الى قرطبة بعد أن أمر ببناء مدينة على هذا الجبل فاقامت وسميت بمدينة الفتح فعلم الطليطليون من بناءها ان الحصار يدوم فاستنجدوا بتلك ليون

ولسكن جيشه صدته جنود السلطان - حينئذ أدركهم اليأس واشتدت  
بهم المجاعة فاضطروا الى فتح أبواب المدينة بعد حصار سنتين فعاد  
السلطان اليها ودخلها في أوائل أغسطس سنة ٩٣٢ وفرح السلطان  
بهذا الفتح كفرحه بفتح مدينة بشتري وشكر الله تعالى على ذلك  
وإزيادة اليان نعميد ذكر بعض الحوادث السالفة مأخوذة عن ابن  
عذارى مع تصرف فنقول

في سنة ٣١٤ ( ٩٣٦ م ) أغزى الناصر قواده بالصوائف ولم يغز  
بنفسه في هذا العام لحمل كان فيه وقحط شديد فاخرج عبد الحميد  
ابن بسيل الى الثغر الذي كان به بنو ذى النون فوقع بهم اذ كانوا  
مرقوعين الطاعة فقتل بعضهم وافتتح مدينة سُرته<sup>(١)</sup> فدرت جبايتها  
واستقامت ثم قفل عن الثغر وقد استقامت أحواله فاخرج به الناصر  
الى مدينة بشتري ليحاصر سليمان بن حفصون في جملة القواد المحاصرين  
له فعارض سليمان بعض المغيرين فتبادرت اليه الخيل من جهة عبد  
الحميد فصارع سليمان عن فرسه فاحتزوا رأسه وقطعوا يديه ورجليه  
يوم الثلاثاء مستهل ذى الحجة وبعثوا بأشلائه الى قرطبة فرفعت في  
خشبة عالية على باب السدة

(١) يضم فكسر فتشديد أو يضم فسكون ففتح مدينة بالاندلس متصلة الاعمال  
بأعمال شنت بربة وهي شرق قرطبة منحرفة نحو الجوف بينها وبين طليطلة عشرون  
فرسخا — انظر ياقوت

وفيه هلك العالج شائجة صاحب يبلونة وفيها كان القحط شديدا  
والهلل عاما واستسقى بالناس أحمد بن بقیّ ونفذت الكتب الى السكور  
في الاستسقاء فنزل الغيث

وفي سنة ٣١٥ (٩٧٧) غزا الناصر الى مدينة يبشتر لمحاربة  
حفص بن عمر بن حفصون فنزل عليها بجيوشه وحاصرها وأقام على  
حصارها بعض القواد ثم تنقل عنها الى مدن وحصون أخرى فافتتحها  
منها مدينة مالقة ثم عاد الى يبشتر فشدد الحصار عليها بالبنيان حولها  
وأقام عليها قواد يضبطون طرقها ويعترضون من يدخلها ومن يخرج  
منها حتي لا يدعوا للحفصونيين مرتقا ولا معاشا ثم عاد الى قرطبة  
فدخلها يوم الثلاثاء لعشر بقين من جمادى الآخرة وقد استكمل  
في غزاته هذه خمسة وستين يوما

لما اشتد الحصار على حفص بن عمر بن حفصون بمدينة يبشتر  
وأحيط بالبنيان عليه من كل جانب كتب الى الناصر يستأمنه على أن  
يخرج من الجبل فأمنه وجاء الوزير أحمد بن محمد بن جدير به وبآله  
وحاشيته الى قرطبة فدخلها في مستهل ذي الحجة وعفا عنه أمير المؤمنين  
وجعله من جملة حشمه ودخل جنود السلطان مدينة يبشتر لسبع بقين  
من ذي القعدة وضبطها سعيد بن المنذر وأحكم شؤونها

وفي سنة ٣١٦ (٩٢٨) كانت زيارة الناصر وولى عهده الحكم  
الى مدينة يبشتر ففصل من قرطبة يوم الثلاثاء للنصف من المحرم مارا

بطريق استتجة ثم اشونة حتى احتمل يبشتر يوم الاحد امشتر بقين من  
 هذا الشهر فلما دخلها وجال في أقطارها وعاین من حصانها وعملوا  
 مرتقاها وانقطاع جبلها ما يقن معه ألا نظير لها في الارض حصانة  
 ومنعة أكثر من حمد الله على ما افتتح - وأمر بنبش جيقتي عمر بن  
 حفصون وابنه فكشفت قبورها وألفيا مدفونين على ظهورها فأيقن  
 من شهاد ذلك من الفقهاء الغازين معه وغيرهم بانهما هلكا على دين  
 النصرانية فاستخرجا من الجودها وأتى بأعظمهما الى قرطبة ورفعت  
 في جذوع عالية الى جنب الملحد سليمان بن عمر وصاروا عظة  
 للناظرين . وقلد الناصر أمور مدينة يبشتر سعيد بن المنذر واستنزل  
 سكان حصون أخرى من أجلبهم وخرّبها ولم يبق للنصرانية بتلك  
 الجهة حصن ولا معقل وعادت كورة رية ليس فيها جبل مضبوط  
 ولا عذو مخدور وأبعد الى قرطبة من تخشى منه الفتنة ليكون الناس  
 أمة واحدة ورعية ساكنة - وقدّم عبد الحميد بن بسيل الى كورة  
 شنونة لهدم حصونها وتبسيط أهلها وجههم الى مدينة قلّسانة <sup>(١)</sup>  
 قاعدة الكورة - ثم قفل فدخل منية الناعورة يوم السبت لاحدى  
 عشرة ليلة خلت من صفر سنة ٢١٦ وقد استتم في سفرته هذه ستة  
 وعشرين يوما

وفي سنة ٢١٧ ( ٩٢٩ ) احتبس الغيث وظهر المثل وغلت

(١) بفتح فسكون ناحية بالاندلس من أعمال شنونة — انظر ياقوت

الاسعار واستسقى بجامع قرطبة يوم الجمعة ليلة بقيت من المحرم . وفيها غزا الناصر الى مدينة بطليوس فقطع ثمارها وقتل كثيرا من أهلها وأحرق ما أخلوه من ديارهم خارج سورهم وحاصروهم عشرين يوما ثم أبى عليهم أحمد بن اسحاق ورفيقا من الجند - ثم انتقل الى ماردة فأصاح أسوارها وولاهها محمد بن اسحاق - ثم عاد الى بطليوس ونزلت عساكره عليها من جهة أخرى وأضررها بشديد الحصار عليها - ثم انتقل الى باجة وحاربها ونصب عليها المجانيق وقتل كثيرا من أهلها وانحطت بعض أبراجها فاستأمن صاحبها عبد الرحمن بن مالك أمير المؤمنين فأمنه وأخرجه وأهله الى قرطبة ودخلها وولاهها عبد الله بن عمر بن مسلمة - ثم انتقل الى اكشونية بقرب الساحل الغربى فأطاع صاحبها خلف بن بكر فأقره الناصر وفرض عليه من الجباية ما اتزم ايراده له فى كل عام وعهد اليه بحسن السيرة والرفق بالرعية وألا يقبل فازعاولا يكتنف هاربا فالتزم جميع ما أمر به - وقفل الناصر ودخل قرطبة يوم الأحد لأربع عشرة ليلة خلت من رجب

وفى هذا العام ( ٣١٧ ) افتتحت مدينة شاطبة من بالنسية

وفى سنة ٣١٨ ( ٩٣٠ ) افتتحت مدينة بطليوس واستنزل صاحبها

ابن مروان الجليقي وأهله الى قرطبة .

وفىها بعث الناصر وفدا من الفقهاء وذوي الثقة الى الطليطيين

يدعوهم الى الطاعة والدخول فيما دخلت فيه الجماعة فلا ذوا بمعاذير

النجادة وجاوبوا الناصر بما لم يجهل اليه فبعث اليهم الوزير سعيد بن المنذر في جيش عرمرم فحاصر طليطلة ثم فصل اليها الناصر بنفسه في جيوش كثيفة يوم الخميس ثاني جمادى الاولى واستولى في طريقه على حصن مورة ثم احتل محلة جرنكش بقرب طليطلة ثم نزل محلة المقبرة على باب المدينة فشدد الحصار على أهلها وضايقهم مدة سبعة وثلاثين يوما قطع فيها مآرهم وخرب قراهم وحطم زروعهم ثم أمر سعيد بن المنذر ببناء مدينة في جبل جرنكش سماها بالفتح وأمر بنقل الاسواق اليها ثم أقام محمد بن سعيد على باب القنطرة في فريق من الجيش وعهد اليهما بالمبالغة في محاربة القوم - ثم قفل الناصر عن مدينة طليطلة ودخل قرطبة يوم الاثنين لاربع خلون من رجب

وفي سنة ٣١٩ ( ٩٣١ ) بعث بالخيال الى القواد المحاصرين طليطلة وأمدّهم بالسلاح وأمرهم بالجد والعزم في نكاية المحصورين وفيها ( ٣١٩ ) بلغ المحاصرين عزم الطليطليين على الخروج لانتهاز فرصة في ثغور المسلمين فنفر اليهم الوزير أحمد بن محمد بن جدير من قرطبة في جملة من الجنود فلما بلغهم خروجه سكنوا .

وفي سنة ٣٢٠ ( ٩٣٢ ) فتح أهل طليطلة أبوابها للناصر فانّ الحصار لما طال واشتدت وطأته عليهم استنجدوا بنصاري الشمال فلم يغنوا عنهم شيئا ولم يكشفوا عنهم ضرا بل هزمهم القواد المحاصرون فلما يئس الطليطليون من أن ينصرهم أحد استأمنوا أمير المؤمنين



فسار اليهم يوم السبت لاربع عشرة ليلة خلت من رجب حتى نزل  
محلة جرنكش فلقاه صاحبها ثعلبة مستقيلا من زلته فعنا عنه ثم آمن  
أهل طليطلة وخرجوا الى المسكر وابتاعوا المعاش التي طالما أجهدهم  
عدمها ثم ركب الناصر الى المدينة ودخلها وجال في أقطارها فرأى  
من حصانتها ومنعتها مادعا الى شكر الله تعالى كثيرا على فتحها ثم  
أمر باقامة بناء محكم ليكون مستقرا للثواد الملازمين فيها وأقام على  
البنيان قائده درى بن عبد الرحمن وملاها رجالا وسلاحا وتردد  
في ربوعها ثمانية أيام يصالح شؤونها ويسوس أمورها حتى سلكت  
بالمدينة الطمانينة وفتح أهواها الحيوانية وانتشر وافي الاسواق  
آمنين والحمد لله ثم قفل الناصر فدخل قصر قرطبة يوم السبت لعشر  
بقرين من شعبان

وفيها (٣٢٠) مات الحاجب موسى بن محمد بن جدير النصف من

شهر صفر

يروى روى وكندى تاريخ عبد الرحمن الثالث في العشرين  
سنة السالفة بلسان آخر فيؤخذ منهما ما يأتي :

كانت أسبانيا لاول امارة عبد الرحمن بن محمد تتنازعها قوى  
مختلفة فأبناء حنفصون تغلبوا في أسبانيا الشرقية على الأرض التي يرونها  
نهر إبرة المتوسط على الجانبين وبعض رؤساء القبائل في الجنوب نبذوا  
طاعة الامارة الاموية وأهل طليطلة ما كانوا لها خاضعين واولاد

أذفنش الثالث كانوا في الشمال يقتسمون حكومة أيهم فقسّموها الى ثلاث ممالك فأخذ منهم غربية الأرض التي بين مهر دويرة واستوريا والبراري القوطية المسماة قمبوس Campos وجعل عاصمتها ليون وأردن تملك على جليلة وفرويلة على استوريا فأول عمل عني به عبد الرحمن ان هدأ اسبانيا المضطربة فدعا المسلمين لجهاد أبناء حفصون المخالفين في طليطلة واسبانيا الشرقية فاجتمع تحت رايته جيش كثير العدد والعدد يبلغ أربعين الف رجل فقاده عمه المظفر حتى دخل اقليم طليطلة واستولى على قلاع كانت بأيدي الحفصونيين ولم يجرأ ابن حفصون على المقاومة بل التجأ هو ورجاله الى اسبانيا الشرقية تاركا لابنه جعفر الدفاع عن المدينة العظيمة التي اخذها في قلب اسبانيا مجتأ وعصداً لحزبه . عندئذ رأى الأمير ان محاصرتها تطول لوفرة مؤنّها المدخرة وامكان ثباتها زمناً طويلاً ففضل أن يتركها ويقتفى آثار أعدائه فلما أدركهم رتب المظفر فرسانه فتولى إمرة المقدمة وأعطى القلب للأمير ابن أخيه والميجنة للوالى عبد الرحمن بن بدر والميسرة الى جهوز بن عبد الله والمؤخرة والعساكر الاحتياطية لعبيد الله بن النمرى . كانت جنود ابن حفصون أكثر عدداً يقودها شجهمان اسبانيا الشرقية وجبال تدمير والبيرة لكنّها كانت أقلّ سلاحاً وخيلاً تقابل الجيشان في سهل متسع يمتد بين طليطلة وجبال قونكة Cuenca وأخذت الطلائع تتناوش ثم التحم الفريقان مع صرخات أفزعت

القلوب وصيحات أبواق ارتعدت منها الفرائص ودارت رحي الحرب  
طويلاً إلى أن رجح جيش الأمير واختل نظام جيش ابن حفصون  
وتبدد شمله تاركاً في ميدان القتال سبعة آلاف بين قتيل وجريح  
ملتجئاً إلى حصنه قونكة وخسر جيش قرطبة نحو ثلاثة آلاف رجل .  
أمر الأمير أن يعتنى بالجرحى من الفريقين ثم عاد إلى قرطبة يحيط به  
الحرس تاركاً عمه المظفر يداوم الحرب مع الحفصونيين . هذه أول  
واقعة شهدها الأمير

أخضع المظفر في غزوته هذه إقليم طليطلة من السفوح  
الشرقية لجبال الشارات إلى إقليم تدمير ماعدا مدينة طليطلة وكثيراً  
من مدن إسبانيا الشرقية فانها لم ترض إلا بامارة غالب بن عمر  
ابن حفصون

وقعت هذه الحوادث في السنتين الأوليين من حكم عبد  
الرحمن الثالث

في أثناء ما كان المظفر يحارب الحفصونيين في الشرق على شواطئ  
نهر ابره كان عبد الرحمن يقود جيشاً مؤلفاً من فرسان قرطبة ومن  
أحراسه إلى الجنوب نحو جبال البحر ليخضع العرب المخالفين المستأثرين  
بأفياء<sup>(١)</sup> الحكومة وثمرات البلاد وهم الذين عرفناهم فيما سبق يتحصنون  
في جبال البيرة وشمستان ورندة ويزدرون بالأسراء السالفين ويوالون

---

(١) الأفياء جمع فيء ويراد به الخراج

اغاراتهم على أراضى الموالين لحكومة بنى أمية . نجح الأمير في غزاته هذه وفتح البلاد بشهرته وسياسته ذات اللين والمجاملة وكان يفعل بذاته ما يفعله جيش بسلاحه فقد كان يأتيه كثير من رؤساء القبائل من تلقاء أنفسهم طائعين ملتزمين رضاء سائليه سلاحا يقسمون انهم يستعملونه بصديق في الذود عن بلادهم وحفظها خاضعة لسلطانة فكان يرحب بهم ويجذب قلوبهم بخطبه البليغة الى درجة انهم كانوا لا يودّون ان يتركوا معسكره ويودّون أن يقاسموه تكاليف الحرب وأخطارها

قد أثر هذا المسلك الحسن في تهدئة البلاد المضطربة أكثر مما كانت تفعله قوة السلاح حتى أن المحازين لحفصون الساكنين في هذه الاصفاع مدوا أيدي الطاعة لبيد الرحمن فتقبلهم بما فطرت عليه نفسه من الحسنى ناسيا عصيانهم وما جرّوه على البلاد من المصائب وخمس لكل منهم عملا يليق به فاقبلوا يرتقون الفقوق التي اتعت من جرّاء الحروب الأهلية وشقاق القبائل . وكان من الرؤساء ذوى الشأن الذين اتوا طائعين في هذه الغزاة الوالى أحمد بن محمد بن أضحى الهمداني الذي كان قائد العصاة في جبال البيرة فتقبله الأمير قبولا حسنا وقلّده قيادة الحامة وسنراء قريبا يعود الى الثورة ومنهم عميد الله بن أمية وكان صاحب قزونة ومن أتباع حفصون فلما جاء مطيعا وهو من الاشراف قلّده الأمير ولاية جيان

بعد ان زار الامير بلاد البيرة كلها بدون ان يجد مقاومة من أي جانب  
و بعد أن أخضع رؤساء العصاة الاقوياء و بعد أن فتح ما يليق عن  
مائتي مدينة عاد الى قرطبة وأعاد من صحبه من الرؤساء والقوادى الى  
مراكزمهم وكان دخوله فيها يوم عيد وسرور عام وقد استغرقت غزاته  
هذه سنة (٣٠٣ — ٩١٥)

لم يذكر المؤرخون حروباً بين المسلمين والنصارى في السنين  
الاولى من حكم عبد الرحمن الثالث ويظهر أن السلم الذي كان بين  
عبد الله وأدقش الثالث استمر مدة غربية كلها أى لغاية يناير سنة  
٩١٤ على الأقل

جاء عبد الرحمن الثالث بأعمال جليلة في أول حكمه فنظم شؤون  
الجوامع والخطابة فيها وضرب نقوداً جديدة وضع عليها اسمه وألقابه  
ونسخ القرآن بيده وشرحه وفسره للناس بنفسه وأمر بإنشاء جوامع  
في قرطبة وغيرها من مبادئ الأندلس وبإصلاح القديم منها وإنشاء  
نافورات ماء من الممر الجميل في جوامع قرطبة وأشبيلية ومحيط  
بهذه النافورات بؤح يفرس فيها شجر البرتقال والأكس وغيرها وأمر  
بإصلاح قنطرة النهر الكبير الغشبية المؤدية الى (مسقطة Mesquita)  
وخلق بالذكر وجد يربثة الأمير من اختاره لإدارة هذه الاعمال  
وهو نصار أبو عثمان فإنه أهل لكل اجلال لاسيما في هندسة الابنية  
وتصريف المياه وصيانة الطرق والمناظر

في أثناء ما كان عبد الرحمن يقوم بهذه الاعمال في قرطبة كان عمه المظفر يسيش في الخيام في أسبانيا الشرقية متعتبا عصاة ابن حنصون في هذا الحين جاء الامير كتاب من عمه يخبره بانه غلب العصاة في كل جهة وانهم التجؤا الى الجبال ولا يجرؤون علي دخول القرى الا خلفه ومع هذا يدعوه الى الحضور لاتمام اخضاعهم وتوطيد دعائم الراحة والأمن في البلاد وانه ينبغي لاجل ذلك ان يجمع الخيل والرجل من كورة تدمير ويطارد بهم العصاة ويقسو عليهم ويدع معهم سياسة اللين والرحمة جانباً فهم لا يدركونها وربما عدوها ضعفاً من أجل هذا الكتاب كتب الامير الى قواد بلاد تدمير وبلنسية الطائمين ان يأخذوا أهبة الحرب في أول فصل الربيع لغزو البلاد التي لازالت في قبضة العصاة ثم توجه الى كورة تدمير فقبول مع تهليلات القرح والسرور من سكان المدن مرسية وأريولة ولورقة وكتندة<sup>(١)</sup> Kenteda وزار المدن إشب وداية وشاطبة ونزوله<sup>(٢)</sup> Nules وطرطوشة وكان يقابل في كل مكان بهلائم الالتهاج — واقفي شواطئ نهر إبرة الى أن وصل الى القنت Elcanith ووقف فيها زمناً يستقبل رؤساء القبائل الذين أتوا اليه طائمين وكانت قصت عليهم الاحوال بالاندماج في حزب أبناء حنصون ثم رحل عنها في

(١) كتندة بلدة بالاندلس كانت بها وقعة مشهورة بين المسلمين والفرنج سنة ٥١٤

(٢) قال ياقوت نوله بكسر أوله وفتح ثانيه حصن من أعمال مرسية بالاندلس

جيش كفيف حتى وصل في وقت قريب أمام مدينة سرقسطة ولغالب  
 ابن حفصون فيها أشباع كثيرون ولكن أغلب سكانها شهر وأميالهم  
 إلى الامام عبد الرحمن الناصر وفتحوا أبواب المدينة وقدّموا أنفسهم  
 لرحمة الخليفة فلقبهم بما جبل عليه من الرأفة وشمل جميع السكان بعفو  
 حتى الحفصونيين ولم يستثن إلا أبناء حفصون أنفسهم فان العفو عنهم يقتضي  
 رابط وثيقة — وفي اليوم التالي دخل عبد الرحمن سرقسطة وكان  
 دخوله يوم عيد عند الاهلين وأقام في قصرها أياما اخلاذا إلى الراحة  
 مسرورا من وضعها ومزارعها الجميلة — وقتئذ أرسل إليه ابن حفصون  
 قائد بن يخبران في الصباح فقابلهما الأمير في معسكره على شواطئ نهر  
 ابرة غير محتفل بهما فعرض عليه أكبرهما بأدب أن الأمير حفصون  
 يرغب أن يعيش بسلام مع الأمير عبد الرحمن وأنه يأسف على الدماء  
 المسفوكة في هذه الحروب وأنه في مقابل ذلك يتعهد بالدفاع عن  
 حدود هذه الجهة ويساعد الأمير بجنوده عند الحاجة وأنه يقدم برهانا  
 على اخلاصه أن يسلم طليطلة وهو سقار Huescar وجميع الحصون  
 التي في قبضته — فأجابهما الأمير بتؤدة أنه يألم من أن يرى فردا من  
 رعيته شاقا عصا الطاعة يجرأ على أن يعرض على ملكه أمير المؤمنين  
 شروطا للصالح ويسلك مسلك أمير — ارجعوا وقولا له ان لم يأت طائعا  
 في ظرف شهر لا أقبله بعده أبدا — رجع الرسولان يجران ذيل الخيعة  
 بعد أن وطّد الأمير دعائم الحكومة في سرقسطة وأقام عمه

المظفر فيها كى يوالى الحرب على الحدود عاد الى قرطبة زائرا فى طريقه  
قسما كبيرا من اسبانيا الداخلة

لما حل ركابه فى قرطبة قابله الامه بتبليلات الفرح والسرور  
لكن كدر صفوهم ان جاءت أنباء تغيد بان عصاة جبال رندة قاموا  
بمركات جديدة تحت قيادة ابن أضحي الهمداني<sup>(١)</sup> وأن أكثر من مائة  
مدينة دخلت فى طاعته وسبب ذلك أن وزيرا دخل اقليم رندة ومعه  
فئة من العساكر وأجبر الأهلى على دفع المتأخر عليهم من غلال  
الزكاة<sup>(٢)</sup> فكبر هذا الأمر على عظماء العرب والمولودون فثاروا  
وقتلوا أغلب الفئة واتسعت دائرة الثورة واجتمع شيوخ هذا الاقليم  
واختاروا ابن أضحي رئيسا عليهم واقبوه بالذمر<sup>(٣)</sup>

غضب عبد الرحمن من خيانة الذمر وأشياعه وليعاقبهم ويدفع  
غائلتهم عن المدائن الموالية له والمضطهدة منهم سار فى جيش مؤلف  
من فرسان قرطبة وجنود استمجة وغيرها فأجلى العصاة عن المدن التى  
احتلوها ودفعهم الى الجبال ثم دخل جيان يوم الخميس رابع عشر  
شعبان سنة ٣٠٦ (١٩ يناير سنة ٩١٩) ليستريح من مطاردة العصاة  
وليعهد الى واليها باخضاعهم ثم عاد الى قرطبة ومعه شاعر يسمى

(١) سبق ان هذا جاء الامير طائما فقلده ولاية الحامة

(٢) يعنى خراج الارض (٣) يقول روى Somor فربناه بالذمر ككتف

أى الشجاع فحقق



أغلب بن شعيب

ما استقر قراره بقرطبة حتى جاءه نبأ من عمه المخلفر يخبره بفوزه على الحفصونيين وبموت غالب بن حفصون في حصن من إقليم وشقة في آخر سنة ٣٠٦ (مايو سنة ٩١٩)

وقد خلفه ولدان سليمان وجعفر فحمد الله عبدالرحمن على موت هذا الطاغية الباذر بذور الشقاق بين المسلمين

في الوقت عينه حل وباء باسبانيا والمغرب خرب البلاد وأهلك العباد وعكف الناس على المساجد يتضرعون الى الله أن يدفع عنهم سيل هذا البلاء الجارف وقد مات فيه اسماعيل بن بُشَيْر Boshair امام جامع قرطبة الكبير وكان مشهورا موقرا فدفن في مشيخته حافل ومع هذه اللاهية الدهماء هبت زوابع شديدة مكثت أياما حتى اجتشت اشجارا وقوضت بيوتا . مع انقياب هذه الكوارث لازالت الممارك تتعاقب بين والي جيّان لب بن عبيد الله والذمر والى الحامة وقائد عصاة جبال البيرة حتى استنجد لب بوالى قرمونة اسحاق بن ابراهيم بن صقر العقيلي لكن لم تجد مساعده نفعا بل قهرهما الذمر وكاد ينقض على جيّان . حينئذ جاء اسحاق قرطبة وبلغ الامير انباء هذه الممارك المحزنة فجمع عساكره وقادهم بنفسه الى جيّان فما وسع العصاة الا أن يتركوا أرضها ويلتجئوا الى جبالهم وأدرك الذمر وأصحابه المحلصون له حصن الحامة فحصره الخليفة فيه وكانت حوائطه تحيية جدا

ومحصنة بالابراج فأمر الأمير جنوده أن يثلثوا فيها ثلثة بالمعاول والنار ففعلوا ودخلوا المدينة وقتلوا رجالها ووجدوا بين جثث القتلى الذمير مغطى بالجروح يكابد سكرات الموت فأحضروه الى عبد الرحمن فأمر بقطع رأسه وارساله الى قرطبة وكان ذلك في أول سنة ٣١١ أو آخر سنة ٣١٠ أى في فصل الربيع من سنة ٨٣٦<sup>(١)</sup> للميلاد في افريل أو مايو ثم توجه الأمير من السلالة الى غرناطة ووقف فيها أياما اذ راقه جمال موقعها على نهر ( الشنيل ) في راد خصيب ذى بساين بهيجة وأمر أن يبنى فيها مسجد جامع وتُصَبَّ أبا حسن علي بن عمر المر واني قاضيا لها

بعد موت الذمير قطع سكان برجالة ورجال ( نقادة ) كل أمل في المقاومة فأتوا خاضعين بين يدى الخليفة معترفين بسطوانه وعلوشانه بعد أن سكن عبد الرحمن اضطراب جنوب اسبانيا حول انظاره الى فتح طليطلة وقد مكثت زمنا طويلا في أيدي أبناء حفصون . رأى ان منعتها تحول دون الهجوم عليها ففتحها عنوة فعمد الى وسيلة أخرى وهى التضيق عليها بالحصار الحازم وقطع معايشها حتى تضطرها المغمصة الى التسليم فأمر عبد الله بن يعلى Italy<sup>(٢)</sup> والى

(١) كذا في روى « ص ١٣٠ ج ٤ » وهو سهو فان سنة ٣١١ تنحصر في سنة ٩٢٣ وسنة ٩٢٤ كما في التقويمات

(٢) كذا في روى « ص ١٣٢ ج ٤ » ويقول في موضع آخر « ص ٢٠٠ ج ٤ »

سُرّة Zurita بأن يقود جيوش طليطلة وقلمنة رباح الى طليطلة  
ويُتلف مزارعها ويحاصرها بشدة فأخذ هذا يجول في ضواحيها  
وجيوشه تقطع الزروع والنخيل والأغاب وتمنع الطليطليين من جنى  
ثمراهم واستمر ذلك سنتين حتى ان جعفر بن حفصون الذي كان  
يدافع بشخصه عن المدينة رأى انه لا يمكنه المحافظة عليها بدون مؤونة  
لكن كبر عليه ان يرى مضطرا الى تسليم نفسه الى أعدائه فجمع  
ما يستطيع من النقود وعهد بالدفاع عن المدينة الى أحد قواده وخرج  
منها وقد أخذت طلّاع الصباح تهزم جيوش الليل مع نخبة من جيشه  
وبعض أخصائيه متجنباً لقاء أعدائه لضعف قوّته

وذلك انه في السنة الثالثة من الحصار أمر الخليفة ولاية ماردة  
وبلنسية ان يرسلوا أمدادا الى عبد الله فاجتمع جيوش كثيفة حول  
طليطلة وحلّ معسكر كثير العدد في جهة الجوف أو الشمال وهو الجانب  
الوحيد الذي يمكن منه أن تهاجم المدينة فان مياه التاجنة لا تحيط به  
وأما الجهة الذي يجري فيها النهر فكان يظهر المحاصرين انها منيعة  
فان الجبل التي هي عليه مرتفع غير مطروق ، حينئذ رأى عبد الرحمن  
أن حان الوقت المناسب ليحاصر المدينة بنفسه فتوجه مع حرسه  
ونخبة من أشرف قرطبة الى معسكر طليطلة فأثر حضوره في نشاط

---

عبيد الله ابن احمد بن يعلى Yali وينكر ابن عذارى « ص ٢٣٥ ج ٢ » ان من  
قواد الناصر عبد الله بن أحمد بن يعلى

المحاصرين وتشديد الحصار ولما لاحظ أنهم استولوا على الجزء الأعظم من مبنيات قديمة ( ربما كانت قوطية ) قاعة بين المعسكر والمدينة أمر بهدمها . - صارت طليطلة حينئذ مضغوطة عليها بشدة من الجهة التي يمكن أن تؤخذ ومحددتها بهمة زائدة على طول الجانب الذي يرويه نهر التاجه حتى صارت كل مقاومة مستحيلة لما رأت المدينة أنها محاطة بجيوش من نخبة اسبانيا الجنوبية وان المجاعة حلت بها افتكرت في أن تسلم وفكر ابن حفصون في إيجاد طريقة يتخلص بها من المدينة التي أحقدت بها الجيوش السلطانية وضيق دائرة الحصار عليها فجمع كبراء المدينة للتشاور في الامر فكان من رأى عقلائهم أن يتركوا أنفسهم الى رحمة الخليفة . وليحسنوا الاعتذار عن مقاومتهم العنيفة الطويلة رأوا من المناسب أن يسهوا صباح يوم الهروب على ثلاثة أو أربعة آلاف من الشجعان المدافعين عن طليطلة وان يفتحوا في الحال الابواب لعبد الرحمن - استحسن جعفر هذا الرأي وأخبر به رفقاءه وشجعهم على اتباعه بدون مهلة منذ فجر اليوم الثاني

لاح الفجر والنوم راخ سدوله على المعسكر لكن بعض الخيل انتبهت من ضوضاء سير في الأرض وقد قرب الصباح فصهلت في مدخل الخيام وقد خرج بغتة الفارس وفتحوا لأنفسهم ممرا في خلال معسكر العدو وكان كل فارس يردف وراءه راجلا وقد كاد ينجو نحو أربعة آلاف رجل في خلال هرج ومرج الا أن أفرادا منهم

أُمِسِكُوا . وقد حمل عساكر قرطبة كلهم السلاح غير أن الخليفة لما أدرك أن جعفرًا وجنوده هربوا من طليطلة منع جنوده من أن يقتنفوا آثارهم وقوى أماله في الدخول حالا إلى المدينة . وقد تحقق هذا الأمل في اليوم عينه فتدحضر إليه رسل من أهل المدينة يلتمسون عفوه ويعتذرون فعنا عنهم وعذرهم لاقامتهم في المدينة وخروج ابن حفصون وجنده منها واستأمنوه على أرواحهم وأموالهم فأمنهم وفتحوا له أبواب المدينة فدخلها في موكب حافل فتقبل من الأهلين بتبليلات الفرح والسرور من كل جانب وقد وافق دخوله المدينة سنة ٣١٥<sup>(١)</sup> (٩٢٧) بعد أن مضى عليها ماينيف عن ٤٢ سنة وهي خارجة عن حكم الأمويين وقد عهد بحكومتها إلى عبد الله أول محاصريها ورجع منصورا إلى قرطبة في نهاية هذه السنة ٣١٥

### ﴿ حروبه الخارجة ﴾

استطاع عبد الرحمن الثالث أن يطفى نيران الثورات المشتعلة في أنحاء الأندلس في نحو إحدى وعشرين سنة وكان خاتمة ذلك فتح طليطلة في سنة ٣٢٠ كما قصصنا ذلك آنفا . لم يكن يزعم أركان دولته هذه الثورات وحدها بل كان يهدد كيائها أيضا قوات

(١) اختلف المؤرخون في تاريخ فتح الناصر طليطلة فمنهم من يذكر أن فتحها كان في سنة ٣١٥ كما في رومي وابن الأثير وأبي الفداء ومنهم من يذكر الفتح في سنة ٣٢٠ كما في دوزي وابن عذارى فأبحث وحقق

مجاورتان لها وهما مملكة (ليون) القديمة في شمال اسبانيا ودولة  
الفاطميين الحديثة في افريقية<sup>(١)</sup> فكان بينهما وبين دولة الامويين  
حروب

ففي أول ولاية عبد الرحمن الثالث لم يكن في عزمه غزو  
اليونانيين (الجلالة) ومع هذا بدأ الاندلسيين بالعدوان فان ملكهم  
(أردن) الثاني عاث بجيوشه سنة ٩١٤ م (٣٠٢ هـ) في أرض  
ماردة يحرّق ويقتل حتى استولى على حصن (الحش)<sup>(٢)</sup> وضرب  
رقاب حاميته واستبعد نساءهم وأولادهم ففرع أهل بطليوس من  
ذلك فجمعوا هدايا نفيسة وقدّموها اليه فقبلها وانصرف منصوراً متقللاً  
بالغنائم واجتاز نهر التاجرة ونهر دويرة وعاد الى (ليون) وبني  
كنيسة للعدراء شكراً على فوزه

فأراد عبد الرحمن أن ينتقم من أردن لأهل ماردة وان لم يدخلوا  
في طاعته ليجذب قلوبهم اليه فاغزى الى أرض ليون في يوليو سنة  
٩١٦ (٣٠٤) جيشاً تحت قيادة الوزير ابن أبي عبده فوطئ اونكي في  
الاعداء وغنم وسبي وعاد سالماً

ثم أغزاه اليها ثانية في السنة التالية لان سكان التخوم شكوا من احراق  
اليونانيين قُرَى طلييرة على نهر التاجرة وأمره أن يحاصر قلعتهم العظيمة

(١) انظر الذنابة الاولى الآتية (٢) كذا الاسم في تاريخ بن خلدون ويقول

(سنت استيبن San Estevan) <sup>(١)</sup> ويسمونها قاشتر مورش  
فقد ابن أبي عبده جيشاً كثيفاً قسمه من عساكره بربر جلبهم السلطان  
من طانجة فشدد الجيش الحصار على هذه القلعة حتى كادت حاميتها  
تخضع وتسلم لولا أن أنجدها أردن فجاءوهاجهم بخيله ورجله ابن  
أبي عبدة. وكان في جيشه ممن لا يعتمد على شجاعتهم ولا ولائهم سوى  
البربر كثير من أهل الثغر ذوى النفاق فصاحوا وأظهروا الهزيمة  
وتبعهم غيرهم وأخلوا بنظام الجيش لكن ثبت القائد ومن كانوا على  
شاكلته من الأبطال ودافعوا وآثروا الموت في حومة الوغي على عار  
الفرار فقتلوا جميعاً وقال بعض المؤرخين أن الباقين من جيش المسلمين  
اتحدوا وخرجوا بدوابهم وأثقالهم إلى أرضهم سالمين <sup>(٢)</sup>

لم تقطع هذه الكارثة جبل الأمل من عهد الرحمن بل أخذ  
يتأهب لإعادة السكرة على الليونيين في السنة التالية لكن صرفه  
عن ذلك وقوع الخلاف في انحاء الأندلس وما هو حاصل في أفريقيا  
من اغارة الفاطميين على بلاد المغرب فخشى أن تم لهم فتحها أن يولوا  
وجهتهم نحو أسبانيا فطفق بمد يد المساعدة إلى امرأ هذه البلاد  
حتى يكون المغرب محجاً مملكته دون المغيرين فإنه لما تغلب عبيد

(١) الاسم العربي من ابن عذاري ص ١٨٦ ج ٢ والافرنجى من دوزى ص ٣٤ ج ٣  
ويقول ياقوت سنت اشتاني كورة من الأندلس

(٢) انظر دوزى ص ٣٥ ج ٣ وابن عذاري ص ١٧٨ ج ٢

الله المهدي على أفريقية كتب الى سعيد بن صالح<sup>(١)</sup> أمير نكور<sup>(٢)</sup>  
بالمغرب يدعوه الي طاعته وفي أسفل الكتاب آيات منها  
فان تستقيموا استقم اصلاحكم وان تعدلوا غني أقتلكم قتلا  
وأعلموا بسيفي قاهرا لسيفكم وأدخلها عذوا وأملوها عدلا  
فرفض سعيد وكتب شاعره في الذيل

كذبت وبيت الله لا تعرف المدلا ولا عرف الرحمن من قولك الفضلا  
وما أنت إلا كافر ومنافق تميل مع الجهال في السنة المني  
وهمتنا السلي الدين محمد وقد جعل الرحمن همتك السفلى  
فأحفظ هذا الجواب عبيد الله فكتب الى عامله في تهرت  
المسمى مصالة بن حبوس يأمره بمحاربة فنهض في ذي الحجة سنة ٣٠٤  
ونزل على مسافة يوم من مدينة نكور فخرج اليه سعيد فخاربه ثلاثة  
أيام بدون أن يظهر أحدهما على الآخر لكن خان سعيداً أحد  
قواده<sup>(٣)</sup> فرجح عليه مصالة وغلبه وقتله واجتزأ رأسه ودخل مدينة  
نكور سنة ٣٠٥ واتهبها وقتل رجالها وسبي النساء والذراري ونجا

(١) من سلالة عربية ملكت نكور وأرضها منذ زمن الفتح وبينها وبين دولة بني  
أمية في الاندلس مودة وتواصل

(٢) مدينة بالمغرب الاقصى تبعد عن البحر بخمسة أميال بناها سعيد بن ادريس وهي  
الآن مدينة المزمة أو قريب منها كذا يؤخذ من ابن عذاري ص ١٧٩ و ١٨٣ ج ١ ولأرد  
كتيبها في معجم ياقوت

(٣) انظر ابن عذاري ص ١٨٢ ج ١



بنو سعيد لانهم فرّوا منها وركبوا البحر الى الاندلس فنزلوا مالقة  
فأمر الناصر بالاحتفال بهم وكرام مشواهم وأفاض عليهم سحائب  
نعمه وخيرهم بين المقام في مالقة والنزول في قرطبة فاختراروا الاولى  
ليكونوا على مقربة من مجرى الحوادث في وطنهم - عاد مصالحة الى  
تاهرت بعد ان أقام في نكور ستة أشهر واستخلف عليها قائداً  
كتاميا اسمه ذلول وهذا انفض من حوله أغلب عسكره وعلم بنو سعيد  
بالامر وكانوا ثلاثة ادريس والمعتصم وصالحا فامتطى كل منهم  
ثبج البحر في سفينة في ليلة واحدة قاصدا نكور بعد أن اتفقوا على  
أن من يصل منهم قبل أخويه فله الأمانة فسبق الى الشاطئ أصغرهم  
وهو صالح بن سعيد فلاقاه الاهلون بحماسة شديدة وأعلنوا امارته  
وذهبوا به الى نكور وقتلوا ذلولاً وجنده وأعلن الأمير صالح سيادة  
ال خليفة الناصر على بلاده وكتب اليه يشكر له على جميله وينبئه بالنصر  
فأمده الخليفة بالاسلحة والخيام والرايات

أُلهت حوادث نكور عبد الرحمن عن ان يقتص من  
اليونانيين اقلتهم قائده الشجاع ابن أبي عبده وأبطاله وهزمهم جيشه  
سكن نصارى الشمال جاءوا بما نبئه الى ادراك ثاره

في فصل الربيع من سنة ٩١٨ الميلاذ (٣٠٥ للهجرة) خرج اردن  
ابن اذفونش صاحب ليون وشانجة بن غرسمية صاحب بنبلونة في

جموع كثيفة الى مدينة ناجرة <sup>(١)</sup> بالثغر الاقصى وعاشت الجموع في ذلك الثغر وأفسدت الزروع ثم تنقلت الى تطيلة وبلغت نهر كالس وجوانب مسقيرة ووادي طرسونة <sup>(٢)</sup> وعبرشانجة نهرايرة وقاتل حصن بلبيرة وقهر أهل الربض وأحرق المسجد الجامع فأحفظ ذلك كله عبد الرحمن الناصر وحرّكه لخبرهم

ففي سنة ٣٠٦ اغزى حاجبه بدر بن أحمد اليهم وهي غزاة مطونية ففصل في جموع كثيرة يوم الثلاثاء لحس بقين من المحرم ودخل أرض ليون وواضع اللبونيين القتال مرتين بالقرب من موضع يسمى (مطونية) وظهر عليهم وقتل كثيرا من حُماهم وأبطالهم وجنودهم وألجأ المنزعين منهم الى الاعتصام بالجبال وتم المنح لحس خلون من ربيع الاول وورد الكتاب بذلك على أمير المؤمنين يوم الجمعة لاهدى عشرة ليلة خلت من هذا الشهر فشكر الله على ذلك وقرئ كتاب الفتح في الجوامع وكتب به الى الاطراف <sup>(٣)</sup>

بهذا الفوز محمدا عبد الرحمن عارما لحق بجيشه في العام الماضي من القتل والهزيمة لكنه رأى أن هذا القصاص لم يكف لردع اللبونيّين ورام فوق ذلك أن ينال شرف النصر بنفسه

(١) قال ياقوت ناجرة بكسر الجيم مدينة في شرقي الاندلس من أعمال تطيلة وهي الآن بيد الاقرنج (٢) قال ياقوت بفتح أوله ونانية مدينة بالاندلس من أعمال تطيلة (٣) دوزي وابن عذاري ص ١٧٩ و ١٨٠ ج ٢

ففي سنة ٣٠٨ ( ٩٢٠ ) غزاهم غزاة ( مؤيش Muez )  
 ففصل اليهم يوم السبت لثلاث عشرة ليلة خلت من المحرم وفي اليوم  
 الرابع من فصوله نزل بمخاضة الفتح وورد عليه كتاب من قبل عامل  
 مدينة الفرج يذكر فيه أن أهل بجليقية أغاروا على ما ألفوه في بسيطهم  
 من الدواب والسوام وأنهم كانوا بحصن القليعة طامعين في التغلب  
 عليه فهب اليهم أهل المدينة بفارسهم وراجلهم وواضعوهم القتال  
 حتى قهرهم وقتلوا وأسروا كثيرا منهم فتفعل الناصر بالكتاب  
 ونهض بعساكره حتى نزل مدينة الفرج فنظر لاهلها وعزل بني سالم  
 عنهم واستعمل على المدينة مسهره ابن غزلان واستقضى عليهم محمد بن  
 مسور الفقيه فصاححت أحوالهم ثم نهض الناصر في جيوش تغص بها  
 السبل ويضيق بها الفضاء حتى احتل بشهر مدينة سالم فورد عليه  
 كتاب من عالج حصن وخشمة يعده ويمنيه اذا صرف جيوشه عنه  
 وجهها الى جهة أخرى فأرى الناصر أنه أعار كتابه أذنا واعية  
 وأظهر التوجه الى الثغر الأقصى نحو نهر ابرة وقدمت المقدمة نحوه  
 لكنه في الحال حوّل جيوشه الى اليسار وسار مسرعا حتى احتل  
 بوادي دويرة وباتت العساكر عليه ثم أخرج في الصباح الوزير  
 سعيد بن المنذر في جرائد الخيل وسرعان الفرسان الى حصن  
 وخشمة فغشوه على حين غفلة من أهله وأصابوا نعيمهم وسواهم  
 ودوايهم مهمة فاكتمسحوها وانصرفوا الى المعسكر سالمين غانمين -

وفي صباح الجمعة لاثنين عشرة ليلة بقيت من صفر اندفعت الخيل في  
أكل تعبئة الى هذا الحصن ففر عنه أهله وأخلاقه ولا ذواب الغياض  
والصخور فدخله عساكر الناصر وغنموا ما فيه ثم رحلوا عنه الى حصن  
قاشتري مورش وهي شذت اشتبين<sup>(١)</sup> بيضة النصارى وقاعدتهم فلما  
رأوا المسلمين أحلوا الحصن وفرّوا عنه فدخله المسلمون وغنموا ما فيه  
وخرّبوا حصن النبيلة المجاور له ثم ارتحل أمير المؤمنين الى مدينة  
قلونية وكانت من أمهات مدنها فالقوها خالية قد شرد عنها أهلها  
فغنم المسلمون ما أصابوه فيها وخرّبوا ديارها وكنايسها ثم ارتحل الناصر  
عنها الى ثغر تطيلة ملقيا نداء مسلميها اذ كان العليج شانجة قد ضايقهم  
فقطع السلطان المنار الأعظم مسارا لوادى دويرة حتى احتل حوز تطيلة  
ثم قدّم الخيل مع محمد بن اب عاملها الى حصن قلنّرة<sup>(٢)</sup> وكان فيه  
شانجة فأخلاه وضبطه المسلمون ثم نهض الناصر الى حصن قلنّرة وكان  
شانجة قد اتخذ معقلا فأخلاه وغنمه المسلمون ثم التقى جيش الناصر  
وجمع شانجة على حصن أرنيط<sup>(٣)</sup> فاقتتلا فانهزم الجمع حتى توارى في  
الجبال تاركا كثيرا من القتلى والجرحى وبات المسلمون ظاهرين على

(١) كذا في ابن عذارى والذي في ياقوت شفت اشتاني كورة من الاندلس

(٢) كذا اسم الحصن في ابن عذارى ويقول دوزى Carcar قرقر أو

كركر فجرر

(٣) يضم فسكون مدينة في شرقي الاندلس من أعمال تطيلة مطلة على أرض العدو

... ياقوت

عدوهم منبسطين في قراهم ومزارعهم ثم ورد الخبر على الناصر باجماع  
 العاجين اُردُن وشانجة وتماضدها طامسين في اعراض المقدمة أو  
 انتهاز فرصة في الساقية فامر عبد الرحمن بتعبئة المساكر وضبط  
 الاطراف وأوغل بهم في بلادها وواضع رجاله وأبطال الثغر وحماته  
 اعداءهم القتال حتى هزموهم وشتتوا شملهم وأخذوا يقتفون آثارهم  
 يقتلون من أدركوا منهم حتى حجز الظلام ولجأ عند الهزيمة أزيد من  
 ألف عالج الى حصن مؤيش ورجوا التمتع فيه فأمر الناصر بتقديم  
 المظلل وخيام المسكر الى الحصن فأحبط به من جميع جهاته حتى  
 تغلبوا عليه واستخرجوا جميع الملوغ منه وضربوا رقابهم بين يدي  
 الناصر وأصابوا من الامتعة والحلى المتقنة والآنية والتمرات والانعام  
 والخيول مالا يكاد يحصى كثرة ثم انتقل الناصر الى حصون المسلمين  
 ينظر في مصالحهم فكلما ألفى بقربها سقلا للمشركون هدمه  
 وأحرق بسيطه حتى اتصل الحريق في بلادهم عشرة أميال مربعة  
 واجتمع عند الجنود من الأطعمة والخيرات ما عجزوا عن حمله ولم  
 يجدوا لها ثمنًا تباع به حتى كانوا يبيعون ستة أقدرة من القمح بدرهم  
 فلا يوجد من يشتريها

وقفل الناصر يوم الثلاثاء لثلاث بقين من ربيع الاول حتى انتهى  
 الى مدينة انيسة<sup>(١)</sup> فأقام بها يوما ووصل رجال الثغر فكساهم وجعلهم

(١) كذا الاسم في ابن عذارى بنون فناء فناء ويقول دوزى Atienza ولم أجد

وأذن لهم في الرجوع الى مواطنهم ودخل قصر قرطبة يوم الخميس  
ثالث عشر ربيع الآخر وقد استكمل في غزاته هذه تسعين يوماً<sup>(١)</sup>  
كان يظن بعد ما حالف النصر المين عبد الرحمن في غزوة  
(مُؤَيْش) أن نصاري الشمال يسكنون زمنا طويلا عن شن الغارات  
على ثغور المسلمين لكن بعد سنتين هبَّ (أردن) وملك تاجرة  
وأغار (شأنجة) على بقرية واستولى عليها وقتل من كان فيها من  
الاشراف ووجوه الرجال كبنى ذى اللب وبنى ذى النون ففرح  
هذا الخطيب قلوب مسلمي أسبانيا وأثار أشجانهم فهب سلطانهم ليشفي  
نفوسهم بادراك نارائ المتقولين

ففي سنة ٩٢٤ (٣١٢) غزا عبد الرحمن النصارى ففصل من  
قرطبة في افريل (الحرم) ووصل نفاة (أرض بنبلونة) في ١٠  
يوليو (٤ ربيع الآخر) فأفزع اسمه اهلها حتى انهم كانوا يفرّون  
من حصونهم عند قرية منها فرّ على حصون كركر Carcar (قَلْقَرَة)  
ويزالته Peralta (بيطرة ألتة) وفلس Falces (فالش)  
وكركر كستيلو Carcastillo (قرقستال) وجنوده يدّمرون  
ويحرقون كل ما مروا به ثم توغل في داخل البلاد متجها نحو عاصمتها  
وقد حاول شأنجة مرّات أن يوقفه في المضائق فخاب وخسر في كل  
مرة . بلغ عبد الرحمن بنبلونة ولم يعقه عائق فأخلاها أهلها فخرّب

عساكره جملة بيوت منها وكنيستها التي كان يحج إليها كثير من  
النصارى في كل عام وكذا خربوا كنيسة أخرى على جبل قريب  
منها أنفق شائجة على بنائها نفقات طائلة وقد اجتهد في الذود عنها  
فلم يفلح وجاءته أمداد من قسطنطينة هجم بها على المسلمين وقد أخذوا  
في القبول فصدّوه وباء بالخسران وعادوا مظفرين ولم يخسروا في  
هذه الغزاة الا قليلا ويسمونها غزوة بنبلونة .

عربنا ما ذكرناه في هذه الغزاة من تاريخ دوزى مع تصرف  
وماأخذه فيها تاريخ ابن عذارى وقد أسهب في هذا الموضوع بما  
لا يخلو عن زيادة افادة وتبيان فلذا رأينا أن نأتى بما قال بعد  
تشذيبه وهو :

في سنة ٣١١ حاصر أهل بنبلونة حصن بقيرة وكان فيه عبدالله  
ابن محمد بن اب ومعه مطرف بن موسى بن ذى النون ومحمد ابن  
عمه وكثير من وجوه الرجال فتغلب الملج شائجة عليهم جميعا فأسروهم  
ثم قتلهم

وفي سنة ٣١٢ غزا الناصر الى دار الحرب الغزوة المعروفة  
بغزوة بنبلونة اذ أحفظه مآدار على بنى اب وبنى ذى النون بحصن  
بقيرة <sup>(١)</sup> فنقل من قرطبة يوم السبت لأربع عشرة ليلة بقيت من

---

(١) قال ياقوت (بقيرة) بالفتح ثم بالكسر مدينة في شرقي الاندلس معدودة في  
أعمال تطيلة — وبقيرة أيضاً حصن من أعمال ربة

المحرم فاحتل أول خروجه بمحلة (بالش) ثم أمّ كورتى تدمير وبلنسية واستصاح أحوال أهلها ٠٠٠٠٠ ثم نهض في عساكر كثيرة العدد حتى دخل ثغر تطيلة وتلقاه عمال الثغر في جنود عظيمة وعدة كاملة فدخل بلاد المشركين فحل حصن ( قلقة ) Carcar وكان العلاج شائجة قد أخلاه فأمر بهدمه وأحرق ما فيه ثم تنقل إلى موضع ( بيطرة آله )<sup>(١)</sup> وكان حوله حصون أخلاها أهلها وتركوها في بساطها أمتعتهم وأطعمتهم إذ عوجلوا عن نقلها ولجأ علوج منهم إلى ثلاثة غيران في شفير جرف على النهر فلم يزل العسكر يتسورون عليهم من أعاليها حتى افتحوها وقتلوا العلوج وسبوا الذراري وغنموا الأمتعة وهدموا حصون تلك الجهة

ثم دأب الناصر يتنقل إلى حصون شتى وجيوشه يحرقون ويحربون وينتهبون الأطعمة وكان أخيرها حصن قرقستال على وادي ارغون ثم أوغلوا في بلادهم ليتوصلوا إلى موضع قرارهم ونسكائهم في عقر دارهم فتقدموا من فج المراكير في أتم أتبئة فدخلوا مواضع غير مساوكة حتى نزلوا بقرية بشكونسة فهدموا مبانيها وأحرقوا ما كان فيها فجمع العلاج شائجة جموعه واستمدّ بنى جنسه فامدّوه ورجا بمن

(١) قال ياقوت بيطرة بالفتح اسم لثلاثة مواضع بالاندلس ٠٠٠٠ بيطرة شلج حصن منبج من أعمال أشقة و (بيطرة لش) حصن آخر من أعمال ماردة (وبيطرة) بلدة وحصن من أعمال سرقسطة — ولعل هذا الأخير المراد بحصن بيطرة التة



اجتمعوا اليه ان يكافح جيوش قرطبة ولكن خاب أمله فان جيوش  
الناصر لما توسطوا بين وادي هيعة هبطت خيل شانجة من الاجبل  
فعبه العساكر اليها النهر وواضعوها القتال حتى شرموها الى مرتقى وعر  
وجبل منقطع فتحموا عليها وقتلوا جملة منها وأصابوا الغنائم والسوام  
وضروب النعم وانصرفوا ولم يصيب منهم غير يعقوب بن أبي خالد  
التوبري ونفر يسير - ثم ارنحل الناصر الى محلة لنيرة ثم الى محلة لغين  
والجيوش لا تمر بموضع الا اصطلمته وتملفت زروعته وهدمت قراه  
وحصونه الى ان بلغ مدينة بنبلونة فوجدوها خالية فدخلها وأمر بهدم  
بنايتها ثم انتقل الى صخرة قيس فأحرقوا كنيسة لها ولم يقو العليج على  
حمايتها بل ولّى مهزوما وصرع من كان عنه محاميا ثم تنقل الناصر  
الى محلة أسارية وكان في ممره اليها فبحر هرقلة ضيق المسالك وعر  
المجاز فرام النصارى انتهاز فرصة في المسلمين فأمر الناصر بالتعبئة  
والاحتراس وجاوزت عساكره ذلك المضيق لكن أعداءهم اعترضوا  
الساقه متسعين لأعلى جبل فنهضت الخيل اليهم وقتلت طائفة منهم  
وهزمتهم فانقشعوا مدبرين ثم نزل المسلمون محلة اسارية ثم ارتحلوا  
من موضع الى موضع يقتلون ويخربون الى أن وصلوا الى شنت اشتيبن  
موضع العليج شانجة ومكان طمأنينته يوم الاربعاء لثمان بقين من  
ربيع الآخر فجمع جموعه واستجاش بمدود أخته من ألبة والقلاع  
فناشبههم المسلمون الحرب والتحم بينهم القتال فانهمز جموع شانجة

الى أعلى جبلهم وتفرقوا ثم انتقل الناصر يريد قلعة فتظاهر العاج  
بجموعه ثانية فتبادر اليه الفرسان فانهمزم وقتل له رجال وعقرت له  
خيل وبلغ الناصر حصن قلعة<sup>(١)</sup> فألفاه خاليا فأمر بهدمه ثم تنقل  
الى حصن بلتيرة من حصون المسلمين فبعد بادّخار الأطعمة عندهم  
وتفريق الأموال فيهم ثم احتل بمدينة تطيلة ثم رحل عنها قافلا ومر  
ببني ذى النون وكان يحيى بن موسى قد توقف عن الجهاد ودارت  
عليه معرة الجيش حتى أذعن واعترف للناصر بذنبه فغفرا عنه ثم  
دخل قرطبة يوم الخميس ثمان بقين من جمادى الأولى وقد استمر  
في غزاته هذه أربعة أشهر اهـ

قد أضعفت هذه الغزاة ملك نقارة وحطت من شأنه وقصّت  
من جناحه فلا يخشى سلطان قرطبة من جهته بأسا وكذا لا يخاف  
جهة ليون فان ملكها أردن مات قبل الشروع في غزوة بنيلونة  
وخلفه أخوه (فرويلة) فلم يحكم إلا سنة لم يقاتل فيها المسلمين الا  
أنه أمدّ شانجة ملك نقارة في هذه الغزاة . وبعد موته سنة ٩٢٥  
تنازع مملكة ليون أبنا أردن : شانجة وأذفئش فغلب الثاني لأن  
صهره ملك نقارة ظاهره على أمره ومع هذا لم يأس الأول فانه عند  
تتويج أذفئش في (شنت ياقب<sup>(٢)</sup>) وثب على ليون وتملك عليها لكن  
عاد أذفئش وانتزعها منه بمساعدة البشاريين في سنة ٩٢٨ ففر شانجة

(١) مدينة من أعمال تطيلة في شرقي الاندلس (٢) ويقال ياقوب

ابن اردن وتملك على جليقة القصوى الى أن مات سنة ٩٢٩  
وفي سنة ٩٣١ ماتت امرأة أذفُش فخرن عليها وتنازل عن الملك  
لأخيه (رامير) وترهب في دير (سَهَجُون Sahagun) لكنه رأى  
حياة الرهبانية لا تلائم فترك الدير وخرج على أخيه وملك  
(سيمَنكس Simancas) فسد القسوس نزوعه عن الرهبانية عارا  
كبيرا عليهم وهددوه بهذاب جهنم فعاد الى لبس المسح لكنه انتهز  
فرصة غيبة أخيه ليساعد طليطلة<sup>(١)</sup> وخرج ثانية وملك ليون فرجع  
اليه رامير سريرا وحاصره بها ودخلها عنوة سنة ٩٣٣ (٣٢٠) فحبسه  
وثلاثة أبناء عمه (فرويلة) لأنهم كان لهم ضلع معه في الفتنة وسمل  
عيونهم جميعا اتقاء منازعتهم إياه في الملك

ترك عبد الرحمن نصارى الشمال يقتتلون كما شاءت أهواؤهم وفي  
غضون حرو بهم الطويلة أخذ نيران الثورات المتأججة في بلاده  
ومدّ أنظاره الى بلاد المغرب والشيعة يفتتحونها ويضطرون أهلها  
الى الاخذ بمذهبهم ويخدعون الناس بانهم من سلالة فاطمة وأن فيهم  
الامامة على المسلمين وبألقاب سامية انتحلوها لأنفسهم كألقاب  
الخلفاء العباسيين وقد استصرخه بعض أمراء المغرب من جور هؤلاء  
الفاطميين المغيرين على بلادهم فاغاث المستصرخين وأمدّهم بالذخائر  
والعُدَد والأموال واتخذهم دعاة له في المغرب فاستمالوا البربر اليه

(١) كذا يؤخذ من دوزي . وفي ابن خلدون أن أذفُش كان غازيا في سمورة .

باسم (أمير المؤمنين الناصر لدين الله) فإنه لما رأى نفسه أحري بألقاب الخلافة لقوة سلطانه وضعف سلطان العباسيين في ذلك الحين وقد انتحلها من لم يبلغوا شأنه أمر أن يلقب بهذه الألقاب . ويؤخذ من دوزي ما معربه بتصرف أن أسلاف عبد الرحمن في أسبانيا كانوا يكتفون بلقب (أمير) أو (سلطان) أو (ابن الخلائف) معتقدين أن لقب (الخلافة) مخصص بمن تدخل المدينتان المقدستان مكة والمدينة في دائرة ملكه وقد تركوها للعباسيين أما الآن وقد تقلص ظل ملك هؤلاء ولم يبق لهم إلا بغداد وأرضها فليس ثم ما يمنع الأمويين من التلقب بألقاب ترفع أقدارهم في أعين رعاياهم ولا سيما الافارقة ومن أجل ذلك أمر عبد الرحمن أن يلقب بـ (الخلافة أمير المؤمنين الناصر لدين الله) وأن يخطب له على المنابر بهذه الألقاب منذ يوم الجمعة سادس عشر يناير سنة ٩٢٩ (ثاني ذى الحجة سنة ٣١٦)

ففي سنة ٣١٩ افتتح الناصر مدينة سبتة على بحر الزقاق (بحجاز جبل طارق) وخطب له فيها باسم أمير المؤمنين - وكتب إليه موسى ابن أبي العافية أمير مكناسة يرغب في الدخول في طاعته وأن يدعو إليه أهل العدو ويستعين به على محاربة الحسن بن أبي العيش بن ادريس العلوي فأجابه إلى ما رغب وأمدّه بالخلع والأموال فظهر أمر موسى من ذلك الحين وتجمع له كثير من قبائل البربر وتغلب على

مدينة جُراوة وأخرج عنها الحسن

وكتب الى الناصر محمد بن خزر أمير مَفراوة ( قبيلة من زناتة )  
يرغب في موالاته ويستنجده على الفاطميين فتبّله وأمدّه فظهر ابن  
خزر عليهم وقتل بيده قائدهم مصالة عامل تاهرت وطردهم من المغرب  
الأوسط ( أقاليم الجزائر الآن ) وأعلن فيه ولاية خليفة الاندلس .

قال ابن خلدون « ولما فشّت دعوة الناصر في المغرب الأقصى  
بعث عبيد الله المهدي قائده حميد بن يصل عامل تاهرت فزحف في العساكر  
الى المغرب سنة احدى وعشرين وثلاثمائة وكتب موسى بن أبي  
العافية الى الناصر يستنجده فأخرج اليه قاسم بن طماس في العساكر  
ومعه الاسطول فوصل الى سبتة وبلغه الخبر بأن موسى بن أبي العافية  
هزم عساكر حميد فأقصر ورجع »

وفي سنة ٣٢١ وصل الخبر الى قرطبة بولاية أبي المنصور بن المعز  
مدينة سجلماسة وهو غلام ابن ثلاث عشرة سنة فمكث في ولايته  
شهرين وقام عليه ابن عمه محمد بن الفتح وأخرجه منها وتمسكها وتسمى  
بأمر المؤمنين وتلقب بالشاكر لله وضرب الدنانير الشاكرية

وفي سنة ٣٢٢ وصل الخبر الى قرطبة بوفاة أمير أفريقية عبيد الله  
الشيبي الملقب بالمهدي وتقدّم ولده أبي القاسم الملقب بالقائم بأمر الله  
ويؤخذ من دوزي أن رامير ملك ليون بدّد شمل جيش من

المسلمين كان يحاصر وخشمة<sup>(١)</sup> Osma سنة ٩٣٣ فأثار هذا حمية عبد الرحمن سنة ٩٣٤ الى أن ينتقم ويجعل سهول وخشمة تشهد له بالنصر كما شهدت على جيشه بالخذلان فغزاها ورام أن يستنزل رامير من قلعتها الى ميادين القتال فاستعصم بها فترك الناصر فئة تحديق بها وسار نحو الشمال فعاشت جيوشه ولا سيما الأفرقة في بلاد أعدائهم وخربوا ( بُرغش<sup>(٢)</sup> Purgos ) قاعدة قشتالة وكثيرا من الحصون لكن في أثناء هذه الغزاة امتنع محمد بن هاشم والى سرقسطة من أن يضم قوته الى قُوَى الناصر ورفع لواء العصيان فنه كان سالف رامير ملك ليون على مناوأة الخليفة ودخل في محالفتها غرسية بن شاذبة ملك نغارة وكانت تكفله أمه طوطة لصفره - بهذا تم تحالف ممالك الشمال على عبد الرحمن . عصى محمد بن بعض قوادده واعتصموا بمعاقلهم حتى يسلموها لسلطان قرطبة لكن جاء رامير في جيوشه وانزعها منهم وسلمها الى خليفته

سكت دوزي عما كان من أمر عبد الرحمن في آخر هذه الغزاة وقد قال ابن خلدون في هذا الموضع أن الناصر غزا في سنة ٣٢٢ الى وخشمة واستدعى محمد بن هاشم من سرقسطة فامتنع فرجع اليه وافتتح حصونه وأخذ أخاه يحيى من حصن روطة ثم رحل الى بنبلونة فجاءته

(١) كذا الاسم العربي في ابن خلدون وابن عذاري والاسم الافرنجي في دوزي ويقرّب لفظه من (خشمة) بدون واو

(٢) كذا الاسم العربي في كتاب نزهة المشتاق والاسم الافرنجي في دوزي

طوطة ( أرملة شاذجة ) بطاعتها فعمد لابنها غرسية على بنبلوثة ثم عدل الى ( ألبه ) وبسائها فدوخوا وخرب حصونها ثم اقتحم جليقة وملسها يومئذ ( ردمير ) فخام عن اللقاء ودخل وخشمة فنازله الناصر فيها وهدم ( برعش ) وكثيرا من معاقليهم وهزمهم مرارا ورجع اه

وفي سنة ٣٢٥ غزا الناصر قلعة أيوب فحاصرها وقتل قائدها مطرفا التجيبي ومن كان معه من نصارى ( ألبه ) المبعوثين من قبل رامير ثم افتتح المدينة وثلاثين حصونا - ثم وجه جيوشه الى سرقسطة وحاصرها وقتل صاحبها ابن هاشم حتى سلم المدينة وأطاع فعفا عنه الناصر - ثم غزا بنبلوثة فان ملكتها طوطة انتقضت فأنزل بها النكبات حتى أطاعت واعترفت بسيادته على بلادها

الآن قد أطاعت أقاليم اسبانيا كلها خليفة قرطبة ماعدا مملكة ليون ( بنو اسحاق )<sup>(١)</sup> ان الذي كان يحاصر سرقسطة من قبل الناصر أمير أموى وهو أحمد بن اسحق قائد فرسانه وقد قلده الخليفة ولاية الشجر الاعلى سكن هذا القائد لم يقنع بل دفعته أضغاث أحلامه الى طلب ما فوق ذلك . كان أكبر أسرة بنى اسحق وكانت ذات

(١) دخل اسحاق المنتهى نسبه الى عبد الملك بن مروان الاندلس أول الدولة وسكن اشيلية أيام بنى حجاج ثم رحل الى قرطبة واستوزر له الناصر واستوزر بنيه من بعده ففتحوا الفتوحات وكفروا المهملات وعلت مقاديرهم في الدولة ثم كثرت فيهم السعاليات وصاروا في مجال الظنون فسطا بهم الناصر وغربهم في النواحي وكان منهم أحمد وأمية

قربى بعيدة جدا من عبد الرحمن وقد حَيَّيتْ أول أمرها في اشبيلية حياة فقر وخمول زمنا طويلا وصاهرت الى من دونها ولم ينكر الخليفة عليها نسبها استحياء بل قَرَّب أفرادها اليه وغمرهم باحسانه ومع هذا ما كانوا راضين عن مناصبهم السامية في الدولة فان أطماعهم ما كانت تقف عند حدٍّ . كتب أحمد وهو يحاصر سرقسطة الى الخليفة يطلب منه أن يقدِّمه ولاية العهد فأثار كتابه غضب الناصر من موضوعه ومن زمنه غير المناسب ومن دلالاته على التراخي والتساهل في الحصار فكتب اليه جوابا يعيِّره بسوء ماضيه ويمنّ عليه بحسن حاضره وعزَّله . عقب ذلك أخذ أحمد ينصب شباك الكيد واللائمار للناصر حتى حاول ان ينزع منه اسبانيا ويلقى بزمامها الى الفاطميين وكاتبهم في هذا الشأن فاطم الناصر على سرِّه فعده شيعيا وقتله

من أجل أخيه رفع أمية بن اسحق لواء العصيان في شتيرين ( سنة ٣٢٧ ) <sup>(١)</sup> لكنه خرج ذات يوم من المدينة فانتهمز ضابط فرصة خروجه وأقام فيها حكومة الخليفة فالتجأ أمية الى (رامير) ملك ليون ودَّاه على مواضع الوَهْن في مملكة الناصر <sup>(٢)</sup>

كان من وراء ذلك أن غزا الناصر رامير في سنة ٣٢٧ في نحو مائة الف من الجنود فغزل على مدينة ( سمورة ) وكانت ذات سبعة

(١) في ابن الاثير وأبى الفداء أن عصيان أمية بن اسحق كان سنة ٣٢٧ وفي ابى

خلدون سنة ٣٢٥ (٢) دوزى



أسوار محكمة البنيان وبين الأسوار خنادق ومياه وافتتح منها سورين وعبروا خندقا هناك لكن ارتد أهل المدينة عليهم فقتلوا وأغرقوا منهم نحو خمسين ألفا وانهمزم الباقون وكانت هذه الواقعة بعد ثلاثة أيام من كسوف الشمس الذي حدث في شوال هذه السنة — والذي منع ردمير من طلب المنهزمين أمية بن اسحاق ولولا ذلك لأتى عليهم جميعا — ثم تخلص أمية من ردمير واستأن من عبد الرحمن فأمنه وقبله أحسن قبول<sup>(١)</sup> وأسرى في هذه الواقعة محمد بن هاشم التجيبي وحاول الناصر إطلاقه فأطلق بعد سنتين وثلاثة أشهر وقعد الناصر بعدها عن الغزو بنفسه وصار يردّد البعوث والصوائف<sup>(٢)</sup> ويسمون هذه الغزوة بغزوة الخندق

ويؤخذ من دوزي أن السبب في فشل جيش الناصر في هذه الغزاة وهو مائة ألف أنه ولّى قيادته العامّة سلافيا<sup>(٣)</sup> (صَقْلِيًّا) من مواليه يسمى (نَجْدَة) فأسخط ذلك قواده العظام من العرب وأقسموا « أن الخليفة سَيُجْهَزُ على شرفه القديم بهزيمة مخجلة » وقد كان ما توقعوه فانهم ألقوا جبل الحرب على غاربها وتجنبوا القتال حتى قتل القائد العام وغطّت أشلاء القتلى وجه الأرض وتمزق شمل الجيش شذَرَ مَذَرَ وكاد يقتل أو يؤسر الخليفة نفسه لولا أن أنقذته يد المقدور ولم ينج معه من حرسه إلا تسعة وأربعون فارسا وقد أثرت هذه

---

(١) المسعودي وغيره (٢) ابن خلدون (٣) انظر الذنابة الثانية

الكارثة في نفسه حتى انه بعدها صار لا يصاحب جيوشه الى  
ميادين القتال

لم يذكر دوزى في هذه الغزاة مدينة ( سمورة ) ولا أسوارها  
ولا خنادقها ولم يسمها غزوة الخندق كغيره من المؤرخين الا أنه قال  
مامؤداه في سنة ٩٣٩ أخذ جيش قرطبة طريق سَمَنْكَس  
( Simancas ) فجاء لمقابله جيش رامير وطوطة وفي ه أغسطس دارت  
رحى الحرب حتى هزم الليونيون القرطبيين الى مقربة من مدينة  
( الحندقة Alhandaga ) في جنوب ( سلمنقة ) على شواطئ ( ترماس  
Tormès ) وهناك جمع المهزومون شتاتهم وواجهوا عدوهم لكن  
دارت عليهم الدائرة اه - فغزوة ( الخندق ) في كلام المؤرخين هي غزوة  
مدينة ( الحندقة ) <sup>(١)</sup> عند دوزى وبين الخندق والمدينة بون بعيد  
لم يتكلم ابن عذارى عن هذه الغزوة الشهيرة وقد شرحها روى <sup>(٢)</sup>  
ناقلا عن كندي فقال مامؤداه في سنة ٣٣٦ ( من نوفمبر سنة  
٩٣٧ الى ١ أكتوبر سنة ٩٣٨ ) أمر الخليفة بمشدد جنود الاندلس  
على حدود جليقة فأخذ القواد يجمعون جنودهم من جميع الجهات  
وخطباء الجمع يحضون الناس على الجهاد وتتابع ورود السالكين  
كل جانب تحف فوق رؤوسهم الاعلام حتى اكتظت الطرق بهم

(١) لم أجد الحندقة في المجلات فحرر

(٢) ص ١٦٤ وما بعدها ج ٤

وبآلات الحرب والبغال الحملة بالمؤن والذخائر — واحتشدوا في ضواحي مدينة سلمنقة حتى صارت ضفاف نهر ترماس وبرايرها معسكرا عاصما واسم الأرجاء — وفي أوائل سنة ٣٢٧ تم احتشاد الرايات وأعلن الولاة الجهاد ولم يبق الا حضور الخليفة ليفتح باب الغزو — قام عبدالرحمن من قرطبة ومعه حرسه ونخبة فرسان الاندلس وقام في الوقت عينه من ماردة عمه المظفر يقود فئة من الفرسان — وفي صفر (ديسمبر سنة ٩٣٨) حضر الخليفة في موكبه الحافل معسكر سلمنقة وتعهده وغمه معسكرات الأقاليم المحيطة في الضواحي ورتب الجنود وأعدّهم للغزوة التي رامها وكانوا ينفون عن مائة ألف مدججين بالسلاح فتسألمهم الى ثلاث فرق الأولى أخذ بزمامها المظفر والثانية قادها والي بطليوس عبيد الله بن أحمد بن يعلى والثالثة كانت تحت أمرة الخليفة نفسه واتخذ ولاية طليطلة وبلنسية وتدمير ضباطا لها — تحرك هذا الجيش العرمرم واجتاز نهر دويرة بدون أن يلقي مقاومة وانساب في أرض العدو كالسيل الجارف مخربا القلاع التي كان يمر بها ومنهار باط ووخشة وشتت اشتين الى أن حاصر مدينة سمورة وامتدت خيامه على طول نهر دويرة — كانت المدينة حصينة يكتنفها سبعة أسوار متينة البنيان من صنع الملوك السالفين يتخللها خنادق عريضة عميقة مملوءة بالماء وكانت حاميتها من شجعان الجلالة فقاومت هجمات جنود عبد الله بن القمري ووالي بلنسية وكانوا ذوى شجاعة فائقة وكانت

سيوف كلا الفريقين تدعى الفريق الآخر في معارك عنيفة  
 في هذه الاثناء جمع ردمير ملك الجلالة جيشاً كبيراً كان فيه  
 أمية بن اسحاق الذي كان والى شنترين والسبب الأول في هذه  
 الحرب الشعراء يقود فئة من فرسان المسلمين اقتفت أثره في خيانة  
 البلاد — واحتشد مع ردمير في برغش ( غرسية ) ملك نقارة أو  
 البشكنس وأمه ( طوطة ) و ( فردند ) كُوت قشتالة متحدين على  
 أن يقتالوا الجيش المحاصر سمورة — علم المظفر بسيرهم ومقصدهم  
 فتقدم بفرقة نحوهم وكان عددها أربعين ألفاً وتبعها فرقة الخليفة وكانت  
 مثلاً في العدد وفيها نخبة فرسان قرطبة — واستمر على حصار سمورة  
 عبدالله بن الغمري ووالى بالنسية ومعهما عشرة آلاف جندي

فتقابلت طلائع الجيشين على شواطئ نهر يصب في دويرة  
 (La Pisuerga) وجرت بينهما مناوشة خفيفة والتجأ كلاهما نحو معسكره  
 — وفي اليوم الثاني حدث كسوف هائل حجب نور الشمس بظلمة  
 مشوبة بصفرة فلأقرب شبان الجيش فزعاً ورعباً فانهم لم يروا مثله  
 في حياتهم ولم يكن أعداؤهم أقل تأثراً بهذه الحادثة — مرّ بومان ولم  
 تبد حركة من الجانبين لكن ملاح فجر اليوم التالي الا وقد بدت  
 الضوضاء في المعسكرين استعداداً لاختد العساكر أوضاعهم في السهل  
 وامتلاء الهواء بأصوات الابواق وصيحات الجيشين وارتجفت الارض  
 من وقع الاقدام وصف القواد جنودهم وامتطى المظفر فرساً قويا

سريع العدو واخترق صفوف جنوده بآثافي أرواحهم الحمية والاقدام  
على القتال وقاد بنفسه المقدمة والقلب وسلم قيادة الجناحين لوالي طليطلة  
وبطليوس وأما الخليفة فقد نصب سرادقاه وخيامه على ربوة مشرفة  
على ميدان القتال وحوله جنود الاحتياط — حمل أحد الجيشين على  
الآخر وقد ارتفعت الشمس وهجم المظفر في فرقة من الفرسان  
مدججة بالسيوف الهندية والرماح والاقواس لكنهما ما كانت مسربة  
بالدروع على جهة الوسط التي كان يقود زمامها ملك ليون نفسه لكن  
ثبت النصاري في مواقعهم وقاوموا هجمات فرسان المسلمين مقاومة  
عجيبة وكان رامير في مقدمة فرسانه المسربين بالحديد يتوغل في  
الميدان ويقتل بكل من شخص امامه — وكان بجانبه أمية بن  
اسحاق الغاز من وطنه وشر ذمة على شاكلته من فرسان المسلمين  
يقاتلون اخوانهم في الدين ويضربونهم برماحهم وسيوفهم الهندية  
كأنهم ألد أعدائهم — انتهى المسامون من هجمات رامير وجنوده وأمية  
وشر ذمته ولما رأى الخليفة اختلالا في الجناح الأيمن وتزعزع قلب  
الجيش عن مكانه لالعدو هجم تحف به فرسان قرطبة وأحراسه الصقالبة  
مدججين بطوال السيوف ومتوقين بتروس طويلة على جناح جيش  
العدو وضغطوا عليه بشدة فانكسر الجناح لكن حمل هذا الجيش  
بأجمعه على هذه الجهة وحمى وطيس القتال حتى تجمد على الأرض  
بالقرب من الخليفة فرسان شجعان أصيبوا بطعنات بعد أن جاءوا

بالمعجائب في هذه الحرب الزبون ومع هذا كان يظهر رجحان كفة المسلمين فان النصر اى اخلوا ميدان الحرب وانصرفوا لانهم كانوا دائماً فى القتال أمام جيش قوى يسير فيه الخليفة ممتطياً جواداً أبيض مرتدياً بُرداً طويلاً على رأسه تاج الخلافة خفيف العدة ممسكاً بيده مصحفاً مفتوحاً على السرج مسمماً الآيات التي تبعث فى المتقاتلين روح الشجاعة — لكن بينما هو محاط بأحراسه الأبطال يحى شخصه فيهم أمل الفوز اذ أرخى الليل سدوله فحال دون القتال وبقي النصر غير محقق لفريق دون آخر وقد عزاه كلاهما الى جهته — بقي المسلمون فى ميدان الحرب وهو مغطى بالشلاء القتلى والجرحى ونصبوا خيامهم فيه مع السرعة وقضوا ليلتهم فيها باثنتين بين الاموات مترقبين مع الضجر طلوع الشمس ليعيدوا كرة القتال — ومع هذا كانت خسائر المسلمين أعظم من خسائر النصر اى ولو كان هؤلاء أعادوا القتال فى اليوم التالى لكان النصر بلا ريب حليفهم — كذا يصرح العرب أنفسهم بذلك قائلين ان السبب فى نجاة جيش المسلمين اشارة ابن اسحاق على رامير فى الليل بأنه لا يعود الى قتال أعدائه خشية خداعهم ولأنهم أكثر عدداً من جنوده فاعتقد صحة ذلك ورجع وحرمه الله من الفوز والقدرة على مساعدة المحصورين فى سمورة لما رأت جيوش عبد الرحمن ان الأعداء رحلوا وان لا فائدة من اقتفاء آثارهم تركوا فصائل من الفرسان على شواطئ النهر ورجعوا

الى معسكر سمورة وقد هجم المحاصرون على أسوارها المحصنة بالقلاع  
هجمات عنيفة ولكن المحصورين دافعوا عنها دفاع الابطال حتى ان  
الهاجمين ما كانوا يخطون الى الامام الا باراقة دماء كثير من شجاعتهم  
- قوى عزائمهم حضور الخليفة وعمه المظفر فتحملوا وهدموا سورين  
ثم تقدموا الى حظيرة مستديرة يقطع وسطها خندق واسع عميق مملوء  
بالماء فأصابهم وابل من نبال الحامية وهب عليهم إعصار من سهامها  
فهلك منهم ألوف مؤلفة فجاء جنود الغرب وجنود طليطلة والقوا جثث  
اخوانهم فى الخندق حتى كونوا شبه قنطرة مروا عليها - حينئذ لم  
تستطع الحامية أن تدافع فتسلى الجنود الأسوار وكسروا أبواب  
الحديد المزدوجة وفتكوا بالرجال وأبقوا على النساء والاطفال وصارت  
اعلام النصر تخفق فوق قلاع سمورة كلها فى شوال سنة ٣٢٧

عاد عبد الرحمن الى ماردة ومنح القواد الذين امتازوا فى هذه  
الغزاة أسلحة وخيلا ثم رجع الى قرطبة فقبول من أهلها بالحفاوة  
هذه غزوة الخندق الشهيرة وكان شرها مستظيلا على الغالب  
والمفلوب .

مارواه كندى فى هذه الغزاة صريح فى أن عبد الرحمن انتصر  
فيها وملاك سمورة وهذا لا يطابق مارواه المسعودى ودوزى وقد  
ناقش هذا الموضوع رومى ثم قال أخيرا مامعناه  
كل هذا يحمل على اعتقاد أنه عقب العودة الى معسكر سمورة

من واقعة سمنكس التي كان النصر فيها غير محقق شدد الخليفة والمظفر الحصار على المدينة فعاد رامير وحاصر المعسكر فصار المسلمون في هذا الموضع غالبين ومغلوبين فاستولى بعضهم على سمورة ورفعوا عليها أعلامهم ولكن اشتروا ذلك بثمن غال وهو خسارتهم الفادحة التي نوه عنها المسعودي — وأخذ بعضهم تحت إمرة الخليفة والمظفر يقاتلون محافظين على النظام راجعين القهقري الى سلمقة — وبناء على هذه النتيجة وأظن أنها قريبة من الحقيقة يكون هناك محل لنصيحة ابن اسحاق لرامير ولعودته الى عبد الرحمن التي ذكرها المؤرخون جميعا . . . ولما علم رامير بتقهقر الخليفة الى جنوب نهر دويرة ظهر أمام سمورة ولم يلاق صموداً في الاستيلاء عليها ومن هنا يتبين أنها لم تمك في أيدي العرب الا بضعة أيام وقد وقع أغلب المدافعين عنها في قبضة يد العدو اه

في السنة التالية غزوة الخندق نزعت ولاية قشتالة الى الانفصال من مملكة ليون وجاهرت بالعصيان فأعلن رامير أنه لحسم الخلاف بالحسنى سيقدم مجاساً يكون له القول الفصل في الأمر ودعا الي المجلس رؤساء قشتالة الاربعة فجاءوا فأمر بالقبض عليهم وحبسهم فعدّ القشتاليون هذا العمل خيانة وأقاموا الكونت فرديناند جونسكين رئيساً عليهم لينتقم من الليونيين فشهر الحرب على ملك ليون لكن كان من المقدور أن انتصر رامير على خصمه ففاجأه وألقاه في سجن ليون



فتعلقت قلوب القشتاليين به حتى صنعوا له تمثالا وعبدوه ولما ضجروا من طول سجنه عزموا عزما أكيدا على تخليصه بالقوة من السجن فاجتمعوا جميعا شبانا وشيوخا وأقسموا أن لا يعودوا الى قشتالة بدون سيدهم وأن كل من يتخلف يعدّ خائنا فتركوا برغش وأرياضها خالية ليس فيها غير النساء والاطفال وساروا رافعين تمثال وراية فردنند من اقتراهم خشى الملك فعدل عن رأيه وأطلق لهم زعيمهم على شروط ملائمة وقد أقسم هذا يمين الطاعة ولتوثيق عرى الصداقة زوج ابنته براقّة أردن بن رامير<sup>(١)</sup>

قال روى ان الكونت فردنند والكونت ديدقوس شهرا الحرب على الملك رامير لاسباب غير معلومة وبعد ان جمعا جيشا فاجأهما الملك وحبسهما ولم يطلقهما الا بعد ان أقسما ان لا يعودا الى محاربتة — استتب السلام بين رامير وفردنند واقترن ابن الاول المسمى أردن الثالث بابنة الثاني المسماة براقّة Urraca<sup>(٢)</sup>

كان تنازع نصاري الشمال من الاسباب التي أدت الى توالى نصرات المسلمين عليهم

ففي سنة ٣٢٩ أغزى الناصر قائده أحمد بن يعلى الى أرض

(١) دوزي (٢) بحث روى في الاسم الافرنجي وردّه الى الاسم العربى وقال ان معناه اللعاعة أو ذات الالوان أو المشوبة بالبياض والسواد وأن العرب تطلق هذا اللفظ على ما كان أبيض أسود وعلى العين والعتز والبطن والغراب وأنه لازال اللفظ الافرنجي يطلق على الاخير في اللغة الاسبانية — فانظر وجرر

ليون فعات فيها وقتل وأسرى وسبي وأرسل إلى قرطبة مائتي عالج أسرا<sup>(١)</sup>  
 بروى روى عن كندی هنا أن الوالي عبد الله القرشي جمع  
 جيوشه واجتاز بها حدود جليقة فقاتله جيوشها في مكان صعب  
 يكتنفه نهر دويرة من جانب وجبل عال وصخور منحوتة من جانب  
 آخر وصار القتال لامناص منه ولم يبق أمل للمسلمين في السلامة إلا  
 بالفوز فدارت رحى الحرب فكان النصر حليفهم وملكوا قلعة (سان  
 استيفان دوغومز)<sup>(٢)</sup> واحمر وجه ماء النهر من دماء الأعداء والله يعلم عدد  
 قتلهم وكانت هذه الواقعة سنة ٣٢٩ (من ١٥ أكتوبر سنة ٩٤٠ إلى ٢٤  
 سبتمبر سنة ٩٤١) وقد ذكرها القرشي هذا في شعره قالوا إن معناه  
 (من جهة يكتنفنا دويرة ومن أخرى جبل شامخ ولا سبيل إلى الخلاص  
 إلا بالنصر ولا أمل إلا في الشجاعة . سالت دماء المشركين فأخجلت  
 مياه دويرة)

وفي سنة ٣٣٢ أغزى الناصر قائده أحمد بن إلياس إلى أرض  
 ليون فدخلها وغنم وأحرق جملة من حصونها ورجع  
 يقول رومي مامعناه « إنا لان ردمير لم يلاق نجاحا في ذلك الزمان  
 واما لانه ملّ الحروب أرسل في سنة ٩٤٤ (٣٣٢) رسلا إلى قرطبة  
 ليتكلموا في الصلح فقابلهم عبد الرحمن بالحفاوة — وعقدت هدنة

(١) ابن عذارى ج ٢ ص ٢٢٦ (٢) هي شنت اثنين التي تقدم ذكرها

بين الامتين مدة خمس سنين وأرسل الخليفة وزيره أحمد بن سعيد (شهيد)  
الى ليون ليبلغ سلامه الى الملك فعاد الوزير مسرورا — ومع ذلك  
جرى في خلال هذه الهدنة قليل من الحوادث من جهة العرب »  
وفي سنة ٣٣٥ أعاد الناصر بناء مدينة سالم وقواتها في الثغر  
الايوسط الشرقى مواجهة لمدينة قشتالة فكانت ردة للعرب وشجعا  
في حلق القشتيليين

وفي سنة ٩٤٩ ( ٣٣٧ ) انقطعت الهدنة بين ليون وقرطبة  
فاعندى ردمير على طليبة — يروي من جهة أنه قتل اثني عشر ألفا  
وأسر سبعة آلاف وعاد منصورا ويروي من أخرى أن عبد الرحمن  
أعلن الجهاد في هذه الصائفة وجمع الرايات من الأقاليم ودعا من  
أفريقية والى فاس محمد بن الخير اليفرنى الزناتى فجاء في جيش من  
البربر — وعهد الخليفة بقيادة الجيش العام الى حاجبه أحمد بن شهيد  
فدخل أرض النصارى وطردهم من سِتْمَنِيَّة Setmanica ودفعهم  
الى الجبال وغنم غنائم واسعة — وقد أعلت شأنه هذه الغزاة وأمدت  
صينه وأناله من الخليفة كل رعاية

أعقب ذلك روى بأنه يظهر أن هذه الصائفة جاءت بعد حملة  
رامير على طليبة في أثناء ما كان هذا الملك تخامرة سكرات الموت  
وفي سنة ٣٣٩ أخرج الناصر قائده أحمد بن يعلى الى أرض ليون  
فافتتح ثلاثة حصون منها وسبي نحو ألف سبية وانصرف — وفيها مات

رامير ملك ليون وخلفه ابنه أرذُن ونازعه أخوه شانجة وقيل غرسية وكان من وراء نزاعهما أن ظهر المسلمون عليهم في السنين التالية حتى أنهم في سنة ٣٤٤ قتلوا نحو عشرة آلاف منهم وأرسلوا الى قرطبة رموس خمسة آلاف فملقت على سور قرطبة - وفيها أرسل اردن سفيرا الى قرطبة ليسأل عبد الرحمن الصلح فصفا اليه - وفي السنة التالية (٣٤٥) أرسل الى ليون سفيرين محمد بن حسين وابن شبروط اليهودي ليتفقاها وأردن على شروط الصلح فتساهل ووضعوا أساسها وعاد السفيران الى قرطبة ليوقع عليها الخليفة فأفضاها بعد أن ارتضاها ابنه الحكم يقول دوزي مامناه أن رامير تزوج امرأتين إحداهما جليقية ولدت له أرذُن والأخرى (براقة) أخت غرسية ملك نقارة ولدت له شانجة - فبعد موت رامير طلب أردن كرسى الملك لنفسه لانه البكر وطلبه شانجة أيضاً لانه من بيت الملك في نقارة واستمال الى حزبه فردند زعيم قشتيلة وزوج خالته فان أم شانجة وامرأة فردند أختان أمهما طوطة فهذه من جهة حماة فردند ومن أخرى جدة شانجة - وكيف مال فردند الى شانجة ومال عن صهره أرذُن لأن الظروف قضت عليه بذلك فدعا رجاله الى حمل السلاح وسار معه شانجة وجيش من النصارى الى مدينة ليون لنزع تاج الملك من أردن - في أثناء ما كان الفريقان يقتتلان تحت أسوار ليون كان قواد الناصر ينتصرون في جميع مواقع النخوم وتورد الرسائل تنرى الى قرطبة مبشرة بالفتوحات ومعها جملة

أجراس وصلبان وروس مجتزة وقد بلغ عدد ماورد من هذه الروس في سنة ٩٥٥ خمسة آلاف رأس ومع هذا قد انتصر فردندد بالقرب من (سان استيفان) ونهب أردن اشبونة بعد أن دفع أخاه وأخضع الجلالة الثائرين ولكن كان الجزاء ضئيلا فلم يعدل ماناله المسلمون من النصارى خشية من تجدد الاغارات رغب أردن في الصلح فأرسل رسولا الى قرطبة يطلبه في سنة ٩٥٥ فبعثها اليه عبد الرحمن وأرسل في السنة التالية الى ليون محمد بن حسين وهسداي بن شبروط اليهودي المدير العام للجمارك — فلم تطل المفاوضات فان أردن تساهل في قبول مطالب الرسولين ( يظهر أنه وعد بتسليم بعض الحصون أو هدمها على الأقل ) وأقرّوا جميعا دعائم المعاهدة وعاد الرسولان الى قرطبة ليقرّها الخليفة ايضا فرآها شريفة ومفيدة ولكنها غير كافية وليس في أجله متسع لتنفيذها فانه كان قد بلغ نحو السبعين وانها تختص بزمان ابنه الحكم فألقاها اليه ليقطع فيها أمرا فوافق عليها فأمضاها الخليفة — وبعد قليل من الزمن أمضى معاهدة أخرى مع فردندد فلم يبق عدو المسلمين في أسبانيا سوى النصارىين اهمعربا

في آخر سنة ٣٤٥ مات أردن الثالث ملك ليون فخلفه شانجة المعروف بالسمين لسمن أصاب جسمه فأعياء وبعد سنة من حكمه ائتمر به الاشراف وخلعوه لاستبداده وولّوا عليهم أردن بن اذففس فغرب شانجة الى بنبلونة حاضرة نقارة وشكا أمره الى جدته الملكة

طوطة وابنها الملك غرسية ثم سار في وفد الى قرطبة سنة ٣٤٧ مظهرا  
انه يرغب في التداوي عند اطباء العرب الماهرين في الطب في ذلك  
الحين - لكن دَلَّ على أن غرضه كان سياسيا أيضا خروجه في  
جيش من المسلمين سنة ٣٤٨ للاغارة على مملكة ليون وقد تم  
استرجاعها اليه في سنة ٣٤٩ - هذا القدر المجمل من تاريخ شانجة  
السمين هو الذي يمكن الحكم بصحته - وازيادة البيان نعرب ماقاله  
دوزي وماقاله روي في هذا الموضوع مع تصرف

فيؤخذ من دوزي انه لما مات أردن الثالث في مارث  
سنة ٩٥٧ خلفه على مملكة ليون من كان ينازعه فيها وهو أخوه  
شانجة<sup>(١)</sup> فلم يقبل معاهدة الصلح التي كانت أبرمت بين أردن وعبد  
الرحمن وكان من شروطها التزام الأول بهدم الحصون القريبة من ثغور  
المسلمين فأمر الناصر قائده الشهم احمد بن يعلي والى طليطلة أن يغزو  
ملك ليون الجديد فغزاه وانتصر عليه انتصارا مشهورا في يوليو هذه السنة  
فسر هذا النصر الخليفة وقوى عزيمته على غزو عدوه الآخر في أفريقية  
فكانت ولاية شانجة شؤما على البلاد وأيضا على نفسه لأنه اجتهد في  
كسر شوكة الأشراف ومحو نفوذهم واستبد بالحكم المطلق فكرهوه  
وفوق ذلك استفحل به مرض السَّحْن حتى كان لا يستطيع ركوب الخيل

---

(١) كذا في دوزي - وفي ابن خلدون وابن عذارى ان الذي كان ينازع أردن بن  
ردمير هو أخوه غرسية

ولا يمشی الا متكئا على آخر فكان الشعب يهزأ به ويعدّه اضحوكه  
 فاتخذ (فردند) كونت قشتيلة سخط الليونيين على ملكهم ذريعة لخلعه  
 فأمر هو والجيش به فخلعوه في فصل الربيع من سنة ٩٥٨ واختاروا من  
 بيت الملك أردن بن اذفونش الرابع ملكا عليهم (وزوجه (فردند)  
 ابنته (براقة) ارملة أردن الثالث — التبعأ شانجة الى بنبلونة وشكا  
 ما أصابه الى جدته طوطة التي كانت تحكم نقارة باسم ابنها غوسمية  
 مع انه كان قد بلغ سن الحكم بنفسه منذ زمن بعيد فامتعضت من  
 الليونيين والقشتيليين وأقسمت لتسردن الى حفيدها ملكه مهما كلفها  
 ذلك من الصعاب — لكن ليس الامر سهلا لان نقارة وحدها لا تقوى  
 على مهاجمة ليون وقشتيلة معا ولان شانجة ليس له في مملكته القديمة  
 من راغب — فلم تر طوطة امامها إلا أن تحالف الناصر الملك القوي  
 وتستعين به على مآربها وتطلب منه طبيا من نطس قرطبة التي كانت  
 وقتئذ مطلع الأنوار ليعالج حفيدها من سممه الفظيع حتى اذا عاد اليه  
 كرسي الملك في ليون يمكنه أن يتبوأه بنفسه ولا يصير هزأة للناظرين  
 لهذا أرسلت طوطة سفراء الى قرطبة — فلما عرضوا على الخليفة سبب  
 محيبتهم أجابهم بأنه سيرسل طبيا الى بنبلونة ليداوي شانجة من علته  
 ويعرض على بيت الملك شروطا فإذا رضى بها أمده الملك المخلوع بجيش برد  
 اليه كرسي ملكه — بعد رحيل السفراء دعا عبد الرحمن اليه (هسداي  
 Hasdai) اليهودي وكان ماهرا في الطب ذا دهاء في السياسة

عارفا لغة النصارىين و بعد أن زوّده بتعاليمه أرسله الى عاصمة نقارة  
 فاستمال اليه شانجة ووعده بالشفاء القريب وقال له ان الخليفة يطلب منك  
 أن تتنازل عن عشرة حصون وهو ينيك مأربك فوعد شانجة بتسليمها  
 بمجرد عودته الى ملكه — لم يكن ذلك فقط مهمة ( هسداي ) بل  
 كلفه الخليفة أيضا باستمالة الملكة وابنها وحفيدها الى زيارة قرطبة  
 ليتحالفوا ويتفقوا على خطة السير فيما يرومونه باطناء وداواة الحفيد ظاهرا  
 فنجح ( هسداي ) في ذلك ووصلت الملوك الثلاثة طوطة وغرسية  
 وشانجة الى قرطبة فاحتفل الناصر بلقائهم احتفالا باهرا وأنزلهم في  
 الزهراء — و بعد زمن هاجم جيش النصارىين قشتيلة وهاجم جيش  
 المسلمين مملكة ليون يصحبه شانجة وقد عوفي من ورمه وصار نشيطا  
 خفيها فاستولى الجيش أولا على سمورة وفي شهر ابريل سنة ٩٥٩ خضع  
 لشانجة جزء كبير من المملكة وقد قاومت عاصمتها زمنا لكن هرب  
 أردن الرابع منها الى استوريا أسقطها سنة ٩٦٠ — ولما ناب الى شانجة  
 ملكه أرسل الى الناصر يشكره على صنيعه

ويؤخذ من رومي ان موت أردن فتح باب التملك لاخيه شانجة  
 الاول بعد ان كان مؤصداً في وجهه فسار على رغبات أشرف ليون  
 في السنة الاولى من حكمه لكنه استبد عليهم بعدها فقموا منه ذلك  
 وخلصوه وكان روح هذه الفتنة ( فردند ) كونت قشتيلة مع انه  
 كان عضداً له أولا وملكوا عليهم ابن اذقش الرابع ( الراهب



(والاعشى) وكان يسمى أردن وزوجه الكونت ابنته برّاقة مطلقة وأرملة أردن الثالث فاضطر شانججة إلى الفرار من ليون ولاذ بخاله الأكبر غرسية في بنبلونة فقبله قبولاً حسناً لكنه لم يساعده بمجيش يزد ليون اليه - ومع هذا كان مأوى شانججة الجديد خيراً من القديم فإنه منذ سنين كان عرضة لاستفحال السمن بجسمه ولا يبعد أن يكون ذلك هو الحامل على اقصائه عن كرسي الملك فإن سمته الثقيل كان يمنع جسمه من ممارسة الاعمال حتى صار لا يقدر على ركوب الخيل ولا أن يحفظ نفسه فوق ظهورها وذلك مما كان يشين الملك في ذلك الزمان - لعل شانججة الشائنة ولشهرة أطباء العرب في تلك الحقبة أشارت عليه أسرته في نقارة أن يعرض نفسه عليهم في قرطبة - ومع هذا كان سفر شانججة إلى دار الخلافة يرمى إلى غرض سياسي وهو استمالة الخليفة إلى مساعدته بقوة عسكرية ترد إليه ملكه المملوك فان غرسية ملك نقارة أرسل إلى قرطبة وفداً المعروف من أمره أنه يصحب شانججة لغرض شفائه من علته ولكنه كان مكلفاً بمفاوضة الخليفة في التحالف وفي استرجاع مملكة ليون وقد اشتركت طوطة أم الملك في هذه السياحة فرحب عبدالرحمن بشانججة وأنزله في قصره وخصص له أطباء فداؤوه بشراب مركب من عصارات الاعشاب حتى أضاعوا من جسمه كثافة الشحم وردّوا اليه لطافته وخفته - ويؤخذ منه في موضع آخر أن زيارة شانججة قرطبة كانت سنة ٩٥٦ وأنه حصل

فيها على صحته ونشاطه الاول وانه أقام فيها زمناً طويلاً بين العرب حتى تعلم لغتهم وعاداتهم ونال محبة الخليفة وخبراته ثم أظهر رغبته في رد مملكته المقتضبة وطرده اردن الدخيل من ليون وكتب الى خاله غرسية بذلك وفاوض ديوان قرطبة في هذا الشأن فعلاً له جيشاً قلده الخليفة قيادته — لم يذكر التاريخ شروط المعاهدة التي أبرمت بين الملك الخلويع والخليفة لكن يظهر من عدة شواهد أنها لم تكن ثقيلة ولا مزرية بشرف الاول وأنها كانت تنطوي على الاتحاد الودّي بينه وبين الثاني — توجه الجيش نحوليون في وقت كان الليونيون فيه يمتقنون اردن الرابع لاجحافه بمقوقم ولفساد أخلاقه وكان يحسّ من رعيته البغضاء له فلما بلغته اشاعة سير جيش العرب نحوليون لخلعه واقامة شانجة في كرسيه لم يسعه أن ينتظر دونه منها بل فرّ ليلاً الى الاستوريين — لم يُرَ من جيش العرب أثناء مسيرة اعتداء ولا قسوة بل كان يعامل بالحسنى المدائن التي تفتح أبوابها لشانجة بدون مقاومة ويقهر المدن التي تأتي قبوله الى الدخول في الطاعة — وكانت البلاد المفتوحة ترحب به وتهلّل وتعدّه مخلصاً لهم وما زال يتنقل الجيش من مدينة الى مدينة ومن تهليل الى تهليل حتى بلغ ليون حيث كان ينتظر شانجة جمهور عظيم ليعتفلوا به — عند ذلك اضطر اردن الى الرحيل بأسرته من استوريا الى برغش حيث كان يحكم صهره فردند فلم يجد فيها مأوى

كما كان يأمل إمّا لغية فردند كما يقول ذلك بعض المؤرخين <sup>(١)</sup> وإمّا  
لتغير أواصر المصاهرة بينهما لاسباب مجهولة في التاريخ فالجئي أردن  
وحده الى الانزواء في بلاد المسلمين <sup>(٢)</sup>

ويؤخذ من المقرئ <sup>(٣)</sup> في تاريخ الناصر في حوادث سنة ٣٤٥  
وما بعدها ان حافد طوطة ملكة البشكنس الذي انتقضت عليه أهل  
جليقية وتولى كبرهم قومس قشتيلة فردند هو ( غرسية بن شانجة )  
لإشانجة بن أردن مع أنه قال في تاريخ الحكم ابن الناصر في حوادث  
سنة ٣٥٤ « ثم كانت وفادة أردن بن أذفونش ملك الجلالقة وذلك  
أن الناصر لما أعان عليه شانجة بن ردمير وهو ابن عمه وهو الملك من  
قبل أردون وحمل النصرانية على طاعته واستظهر أردون بصهره  
فردند قومس قشتيلة توقع مظاهرة الحكم لإشانجة كما ظاهره أبوه الناصر  
فبادر الى الوفاة على الحكم مستجيراً به ..... »  
نرجع الى حوادث أفريقية فنقول

كان المغرب في النصف الاول من القرن الرابع الهجري بين قوتين

(١) يقول ذلك البعض ان فردند كان غائباً حين جاءها أردن الرابع يتلمس مأوى  
وان ملك نفارة كان يحارب فردند وحبه وأولاده في (سيرونيا Cirue nal) سنة ٩٦٠  
ثم أرسل جميع الاسرى الي ببلونة ويؤيد ذلك ما يؤخذ من دوزي من أن غرسية وعبد  
الرحمن اتفقا على انه حين يهاجم جيش العرب ليون يهاجم جيش النفارين قشتيلة  
(٢) يذكر المقرئ في تاريخ الحكم ابن الناصر أن أردن بن أذفونش وقد عليه  
مستجيراً في سنة ٣٥٤ (٣) ص ١٧٢ ج ١

تجاذبانه الامويين في الاندلس والفاطميين في أفريقية وقد أتى حين من الدهر قويت فيه القوة الاولى فامتد سلطان عبد الرحمن الناصر على المغرب الاقصى والايوسط وكانت تواليه القبائل التي أسلمت منذ الفتح الاسلامي مثل قبائل زناتة وأما قبائل اليهود والوثنيين والشيعة مثل قبائل صنهاجة وكتامة فانها كانت توالى عبيد الله وبنيه — وكان بعض قبائل البربر ينزع تارة الى خليفة قرطبة وأخرى الى خليفة القيروان على حسب مقتضيات الاحوال — وكذا كان شأن بقايا الادارسة بعد أن تقلص ظل ملكهم من فاس وتلمسان<sup>(١)</sup>

كان للناصر ولالة قائمون بدعوته في المغرب منهم بنو سعيد بن صالح امرأء نكور<sup>(٢)</sup> من ساحل المغرب وقد سبق كلام عنهم في حوادث سنة ٣٠٥ ومنهم موسى بن أبي العافية كان أمير مكناسة وعلى يده ويد مصالة بن حبوس قائد الشيعة زال ملك الادارسة من فاس سنة ٣٠٧ أو سنة ٣٠٩ ثم صار موسى عاملاً للشيعة على فاس والمغرب ولأ سباب خلع طاعتهم ومال الى الخليفة الناصر ووالاه ونشر دعوته في المغرب<sup>(٣)</sup> فجاء ميسور الصقلبي قائد الشيعة وحارب موسى وأجلاه عن عمله الى الصحراء مستعيناً عليه ببني ادريس أعدائه وآل اليهم ما كان في يده سنة ٣٢٣ — من أجل ذلك انصرفوا

(١) انظر الذنابة الاولى الآتية ٢ يؤخذ من ابن خلدون أن نكور في الريف على ساحل المغرب الاوسط لكن يستفاد من ابن عذارى فيما سبق انها على ساحل المغرب الاقصى ٣ انظر حوادث سنة ٣١٩ السابقة

الى الفاطميين مع أن هؤلاء لما أزالوا ملكهم من فاس انخرفوا عنهم الى  
الأمويين - ومع هذا أقصاهم ولاية الناصر عماد ملكوه فأنا بواليه وفي سنة ٣٣٣  
نقض بنو محمد الادارسة طاعة الناصر وأسروا واليه في سبنة فأغزاهم قائده  
قاسم بن محمد فجنحوا الى السلم وأطلقوا الوالي سنة ٣٣٣ وبعثوا برهائهم  
الى قرطبة مؤكدين الطاعة فقبل الخليفة انابتهم وأكرم وفادتهم

ومن ولاية الناصر في المغرب بنو خزر عظماء زناة يقال ان جدتهم  
خزر بن صولات هاجر وأسلم على يد عثمان بن عفان - أغاروا على  
مدينة تهرت وأسروا ميسورا عاملها من قبل الشيعة وأقاموا فيها الدعوة  
لخليفة الأندلس وكتبوا اليه بذلك سنة ٣٣٣

ومن دعاة الناصر أيضاً أبو يزيد محمد البقرني الزناتي الخارجي  
ثار على الشيعة في أفريقية وأوقع بهم وتغلب على القيروان وورقادة وأقام  
فيهما الدعوة لامير المؤمنين الناصر لدين الله - وجاءت رسل منه ومن  
أهل القيروان الى قرطبة ينبؤون الخليفة بهذا الفوز المبين سنة ٣٣٤

كان أهل المغرب ينزعون الى طاعة الناصر فرارا من مذهب  
الشيعة المنحرف عن الاسلام الحقيقي فلما نظاهر أبو يزيد أول الامر  
بأنه ينصر شريعة الاسلام المطهرة من بدع الشيعة ويدحض ترهاتهم  
الثقة واحوله ونصروه وكاد يعجز على دولة الفاطميين في أفريقية لكنه  
لما استباح المحرمات انقض أغلب جنوده من حوله وخذله وفي سنة ٣٣٤ جاء  
رسول من القيروان الى قرطبة ينبئ أن المنصور الشيعي لاقى أبا يزيد

في مدينة سوسة وهزمه الى القيروان  
يؤخذ من ابن عذارى<sup>(١)</sup> أن الناصر أغزى قائديه احمد بن  
يعلي<sup>(٢)</sup> وحيد بن يصل<sup>(٣)</sup> المكناسي الى بني محمد الادارسة  
الحسينيين في سنة ٣٣٨ فقاد جيشا الى الجزيرة الخضراء فجاء رسول  
منهم الى الخليفة يذكر طاعتهم له وانقيادهم لأمسه في هدم مدينة  
تيطاون التي أنكر عليهم بناءها فقبل انابتهم — ثم وصل محمد بن أبي  
العيش الحسني فأكرمه الناصر ثم جاء نبأ بوفاة أبي العيش فعزى الخليفة  
الابن عن أبيه وعقد له على عمله ووصله وخلع عليه وعلى الوافدين معه  
وصرفهم فبادر محمد الى عمله في المغرب — كان عند وفاة أبيه قصدا بن  
عمه قنون الى بلده فاستولى على ماله وأهله لكن لما بلغ البربر اقبال  
محمد بن أبي العيش من قبل الناصر رجعوا الى عيسى بن قنون وقد خرج  
عن تيكديساس فسلبوه ما كان أخذه لابن عمه وقتلوا أكثر أصحابه فلم  
يخلص الا في سبعة فوارس .

ويؤخذ منه في موضع آخر<sup>(٤)</sup> أن بني محمد الادارسة شرعوا في  
اعادة بناء مدينة تيطاون سنة ٣٤٧ بعد أن هدموها فشكا أهل سبتة  
من ذلك الى الناصر لأن في بنائها ضررا يلحق بهم فأغزاهم الناصر

(١) ص ٢٣١ و ٢٣٢ ج ٢ (٢) أرى لفظ (يعلي) مضبوطا في البيان المغرب  
بكسر الياء وفتح اللام وهذا الوجود له في لغة العرب ولاجل أن يكون من عداد كلماتها  
يلفظ به بضم الياء (٣) لفظ (يصل) تارة يكتبونه أيضا (يصال) وأخرى (مصال)  
ويظهر أنه لفظ بربري (٤) ص ٢٣٠ ج ١

قائده احمد بن يعلى وكتب الى حميد بن يصل صاحب تيجيساس<sup>(١)</sup>  
أن يعين القائد فلما اجتمع العسكران على بني محمد كفوا عن البناء واعدوا  
أن لا يعودوا اليه وبعثوا بأولادهم الى قرطبة رهائن على وعدهم

وفي سنة ٣٣٩ جاء الى قرطبة الخير بن محمد بن خزر الزناتي  
كبير أمراء المغرب يذكر للخليفة ما أتاح الله له من دخول تاهرت وظفره  
بميسور الصقلبي وابن بكار اليفرنى من قادة الشيعة فقرأ كتابه  
بجامع قرطبة وجامع الزهراء

وفيها جاء كتاب الى قرطبة يذكر أن بني محمد الأدارسة زحفوا  
الى حميد بن يصل قائد الناصر ونزلوا عليه والتفوا به ولكن دارت  
عليهم الدائرة وانصرفوا مغلولين

وفي سنة ٣٤١ جاءت الانباء الى قرطبة بأن زيرى الصنهاجي  
عامل الشيعة على تاهرت أسر سعيد بن خزر زعيم زناتة

وفيها وصل الى قرطبة فتوح بن الخير كبير أمراء زناتة ومعه وجوه  
أهل تاهرت ووهران وعرضوا على الناصر رؤوسا مجترزة من كبار الشيعة  
وبنودا طبولاً لهم فرفعت هذه الرؤوس والبنود والطبول على باب قصر  
قرطبة وأقيمت لفتوح ولما جاء معه الكرامات الواسعة

---

(١) تارة يكتبونها بالكاف وأخرى بالجيم ولم أرها في معجم ياقوت - وفيه تيفاش  
مدينة بافريقية شامخة البناء ذات عيون ومزارع كثيرة وهي في سفح جبل

يؤخذ من روى <sup>(١)</sup> انه في سنة ٩٥٥ (٣٤٣ و ٣٤٤) كتب  
والي فاس الى الخليفة الناصر يخبره بنجاح جيوشه في المغرب ويستأذنه في  
بناء قبة الجامع الكبير في عدوة القرويين فأذن له وبعث اليه بمال وافر  
من خمس الغنائم المسكوبة في غزوة جليقة فوسّع الوالي الجامع وبنى القبة  
ووضع في قمتها سيف ادريس مؤسس مدينة فاس - وفي هذه السنة  
احتلت جيوش الناصر مدينة تلمسان وأعلنوا فيها حماية للأداسة  
وفي سنة ٣٤٤ أنشأ عبد الرحمن سفينة كبرى في أشبيلية لنقل  
البضائع من أسبانيا الى مصر والشام فلقبت أثناء سيرها مركبا يقل  
رسولا من صقلية الى المعز الفاطمي في أفريقية ومعه رسائل اليه <sup>(٢)</sup>  
فاعترضت السفينة المركب وأخذت مافيه غصباً ووالت سيرها وباعت  
بضائعها في الاسكندرية واشترت منها غيرها ورجعت الى الاندلس .  
بلغ ذلك المعز فجز أسطولا وأمر الحسن بن علي عامله على صقلية  
أن يقوده الى ساحل المرية فلما اقتربوا منه أبصروا السفينة الكبرى  
وهي عائدة فاقتفوا أثرها حتى قنصوها واجمضوا أحمالها وكان فيها  
أمتعة لعبد الرحمن وجوار مغنيات ثم حملوا على مراكب الميناء فسلبوا  
مافيهما وأحرقوها ثم صعدوا الى البر فقتلوا منهموا وعادوا فرحين  
بغنيمتهم وادراك ثأرهم

١ ص ٢٠٣ ج ٤ ٢ يقول ابن الاثير أبو الفداء ان الرسول كان من صقلية  
الى المعز ويقول كندي وروى أنه كان من المعز الى والي صقلية



كان صدى هذا الاعتداء أن أمر الناصر بلعن الفاطميين على جميع منابر الاندلس وان كآف قائده غالبا أن يهاجم باسطوله سواحل أفريقية لكن لم تأت حملته بالنجاح الذي كان ينتظره الخليفة فان الاندلسيين مع انهم فازوا بعض الفوز في مبدأ أمرهم دفعهم الافارقة واضطروهم الى الاقلاع<sup>(١)</sup>

قال ابن خلدون في هذا الموضع بعث المعز الى الحسن بن علي عامل صقلية سنة ٣٤٤ أن يخرج باسطوله الى ساحل المرية من بلاد الاندلس فعاث فيه وغنم وسبي ورجع فأخرج الناصر صاحب الاندلس أسطوله الى سواحل أفريقية مع غالب مولاة فمنعتهم المساكر وأقلعوا ثم عادوا سنة ٣٤٥ في سبعين مركبا فأحرقوا مرسى العنزر وعانوا في جهات سوسة ثم في نواحي طبرقة ورجعوا اهـ — كلام صريح في أن الناصر غزا الفاطميين في أفريقية غزوتين واقتصر ابن الاثير وأبو الفداء على الغزوة الأولى في سنة ٣٤٤

ويؤخذ من كندى ورومي أن هجوم عامل صقلية على ساحل المرية أثار سخط خليفة قرطبة وكان حاجبه وقتئذ احمد بن سعيد<sup>(٢)</sup> الذي امتاز بفوزه في غزوة جليقة الاخيرة فحقق للخليفة إمكان انتقامه من المعتدين وجمع السفن من شواطئ اسبانيا وقادها الى

١ دوزي ص ٧٧ ج ٣ ٢ الذي في تقع الطيب ( احمد بن عبد الملك ابن شهيد )

وهران<sup>(١)</sup> مقلّة عددًا عظيمًا من رجال الحرب الأشداء وجمع من فرسان  
الاندلس المحتلين بلاد المغرب خمسة وعشرين ألف فارس ثم هجم  
بالرّجلان والفرسان على أفريقية فقاتله الحسن بن علي بجيوشه ودارت رحى  
الحرب بين الفريقين حتى غلب وهزم الانداسيون قبائل صنهاجة وكتامة  
وكان يتألف منها معظم جيش الافارقة واتبعوا آثارهم مشتتين شملهم  
ومحرقين بلاد المواليين للقاطمين حتى وصلوا الى ضواحي تونس وكانت  
غنيّة بتجارها الواسعة يسكنها كثير من تجّار اليهود الاغنياء فحاصروها  
برًا وبحرًا وشدّدوا الحصار عليها فلما رأى أهلها ان الخطر محقق بهم  
ولامفيث لهم عرضوا أن يسلموا المدينة وقدّموا مقدارًا جسيمًا من المال  
الى ابن سعيد فطالب منهم مقدارًا أجسم مما قدّموا فاضطروا الى أدائه  
وأخذ منهم أيضًا أنسجة مختلفة الاجناس وطرفًا من الحلى وذها وحجارة  
كريمة وملابس من الصوف والحرير للرجال والنساء وأسلحة وخيلا  
وعددا عظيمًا من الارقاء — وغنم أيضًا سفن الميناء وأثقالها وضمّها الى  
سفنّه وسير أسطوله الى اشبيلية مشحونًا بهذه الغنائم الواسعة — قدّم  
الحاجب منها الى الخليفة الخمس وقيمة سفينته الكبرى وأحمالها التي  
قنصها الحسن وأعطى القواد والرؤساء والجنود الذين دخلوا في غمار هذه  
الغزاة أنصبتهم كلاً على قدر منزلته حتى صاروا جميعاً راضين وبقي للحاجب

(١) قال ياقوت وهران مدينة على البحر الاعظم من المغرب بينها وبين تلمسان

سرى ليلة

قسم كبير من الغنائم — وقد رقاها الخليفة الى اسعى مراتب الشرف ورتب له في كل سنة مائة ألف قطعة من الذهب

يحمل أن ابن سعيد أهدي هديته المشهورة الى الخليفة بعد عودته من هذه الغزاة — وفي كندی ان الهدية قدّمت الى عبدالرحمن بعد رجوع احمد من غزوة جليقة لكن الاقرب الى الحقيقة انها أخذت أو قسم كبير منها على الاقل مما اختص به الحاجب من غنائم تونس ومهما يكن من الامر فكتاب العرب يعدّون أصناف الهدية هكذا أربع مائة رطل من الذهب الخالص من التبر<sup>(١)</sup> — وقيمة أربع مائة وعشرين ألف دينار من سبائك الفضة<sup>(٢)</sup> وأربع مائة رطل من عود الهند<sup>(٣)</sup> — وخمسمائة أوقية من العنبر الأشهب — وثلاثمائة أوقية من الكافور — وثلاثون ثوبا من الحرير الابيض الموشى بالذهب ومائة وعشرة فراء من الفئك الخراسانية<sup>(٤)</sup> وثمان وأربعون ملحفة من

(١) الذي في ابن خلدون والمقرئ خمسمائة ألف مثقال من الذهب العيين وأربع مائة رطل من التبر (٢) الذي في ابن خلدون ومصارفة أربعون ألف دينار ومن سبائك الفضة مائة ثوب (٣) في ابن خلدون اثنا عشر رطلا من العود الهندي الذي يتخم عليه كالشمع ١٠٠٠٠ انظر المقرئ — وزاد ابن خلدون ومائة أوقية من المسك الذكي وقال ابن الفرزي ان المسك مائتان واثنتا عشرة أوقية (٤) عبارة ابن خلدون ومن اللباس ثلاثون شقة من الحرير الختم المرقوم بالذهب كلباس الخلفاء المختلف الالوان والصنائع وعشرة أفربة من تالي جلود الفئك الخراسانية — انظر في المقرئ ما قاله ابن الفرزي — في القاموس الفئك بالتحريك دابة فروتها أطيب أنواع الفراء وأشرفها وأعدلها صالح لجميع الامزجة المعتدلة — وزاد ابن خلدون وستة من السرايا العراقية

الحريير والذهب مصنوعة في بغداد باتقان نادر المثال لزينة الخيل أيام  
الاحتفالات<sup>(١)</sup> وأربعة آلاف رطل من الحريير المغزول<sup>(٢)</sup> - وثلاثون  
بساطا فارسية<sup>(٣)</sup> طول كل بساط منها عشرون ذراعا - ومائة طنفسة  
للصلاة<sup>(٤)</sup> وخمسة عشر نخا من الخز وهو نوع من البسط المصنوعة من  
الجهتين على السواء<sup>(٥)</sup> وثمانمائة شبكة وتجفاف<sup>(٦)</sup> من الحديد المصقول  
لخيل الحرب - وألف ترس ومائة ألف سهم - وخمسة عشر فرسا من  
الخيل العرب الجميلة التي تصلح لركاب الخليفة وخمسة أخرى ملجمة  
مُسرجة بسروج من الخز العراقي وثمانون فرسا مهيأة ومروضة لركوب  
الحاشية في الحرب<sup>(٧)</sup> - وعشرون بفلايسر وجها واجلالها السابغة<sup>(٨)</sup>

- (١) ومازاده ابن خلدون هنا عشرة قناطير من السمور فيها مائة جلد والظاهر أن  
رومي أضاف جلود السمور إلى جاود الفلك - في القاموس السمور كتنور دابة يتخذ من  
جلدها فراء ممتعة - (٢) زاد ابن خلدون وألف رطل من الحريير المتقى الاستغزال ...  
(٣) عبارة غيره وثلاثون بساطا من الصوف مختلفة الصناعات ....  
(٤) عبارة غيره ومائة قطعة مصليات من وجوه الفرش المختلفة الصناعات من جنس  
البسط (٥) كذا يقول رومي - وفي القاموس النخ بالفتح بساط طويل - ووهم  
من قال (نوخا) (٦) الشبكة بالكسر السلاح - والتجفاف بالكسر أيضاً آلة  
للحرب يلبسه الفرس أو الإنسان ليقه في الحرب - وعبارة ابن خلدون ومن السلاح  
والعدة ثمانمائة من تجايف الزينة أيام البروز والمواكب (٧) عبارة ابن الفرضي ومن  
الخيل مائة فرس منها من الخيل العرب المتخيرة لركاب خمسة عشر فرسا وخمسة من عرض  
هذه الخيل مسرجة ملجمة لراكب الخلافة مجالس سروجها خز عراقي وثمانون فرسا مما  
يصلح لوصفاء والحشم وقال ابن خلدون مائة فرس من عتاق الخيل التي تصلح للركوب في  
المتصرف والغزوات (٨) عبارة ابن خلدون وعشرون من بغال الركاب مسرجة ملجمة

وأربعون غلاما وعشرون جارية مكتسيات بكسًا فاخرة<sup>(١)</sup> انتهى ما عرّبناه من رومي - يظهر أن غزوة تونس التي فصلها رومي ناقلًا عن كندي هي الغزوة الثانية التي أجملها ابن خلدون في كلامه السابق - وما ذكره رومي من احتمال أن تكون هدية ابن سعيد بعد عودته من هذه الغزاة يمنع منه أن بعض المؤرخين نص على أن الهدية كانت في سنة ٣٢٧ - من هذه الهدية يدرك الانسان ما وصلت اليه بلهنية العيش و ضخامة دولة الامويين في الاندلس في ذلك الزمان

قد أزعج استيلاء الحاجب احمد بن سعيد على مدينة تونس المجاورة لمدينة القيروان خليفة المهديّة المعزّ الشيعي فحبّ لاخذ الثار وشهر الحرب على بلاد المغرب التي كانت تحت حماية خليفة قرطبة الناصر السنيّ منذ سنين . فأرسل المعزّ قائده جوهر الرومي يقود عشرين ألف فارس من قبائل كتامة وصنهاجة الى هذه البلاد وأمره باخضاعها وإذلال أهلها والقسوة على رؤسائها فقام جوهر من القيروان الى المغرب سنة ٣٤٧ مضمرا في نفسه تنفيذ ما أمره به مولاه - حينئذ دعا يعلى بن محمد اليفرنّي والنائب عن الناصر في المغرب رجال قبائل يفرن وزناتة الى حمل السلاح وقتال جوهر - تقابل الجيشان بجوار تاهرت ودارت رحى الحرب وحمي وطيسها وكان الكتاميون يرمون الى غرض واحد

---

عراك خلافة مجالس سروجها خز جعفرى عراق (١) عبارة غديره ومن متخير الرقيق اربعمون وصيفا بكسونهم وجميع آلائهم وعشرون جارية بكسونهم وزينتهم

وهو قتل يعلى رئيس جيش المغرب فان جوهر افرق فيهم أموالا لهذا الغرض خاصة قبل الدخول في المعركة - قابل يعلى هجمتهم بثبات لكنهم أدركوه وحوله عدد قليل من أتباعه فأسقطوه عن جواده وأثقلوه بطعنات رماحهم وترجل أحدهم بسرعة وقطع رأسه وحمله الى قائدهم ففرح بهديتهم وكافأهم عليها بمال جسيم وبعث بالرأس الى المعز فأمر باطافته في القيروان - ولت قبيلة يفرن بعد قتل رئيسها وقد اجتهد ابنه هارون في تسكينها فلم يجد نفعا - عتبئذ سار جوهر الى سجلماسة وشدّد الحصار عليها حتى فتحها ونهب أموالها وأسر صاحبها محمد بن الفتح وشدّد وثاقه وكان يلقب نفسه بالخليفة أمير المؤمنين الشاكر لله و يضرب نقودا باسمه ويظهر عدلا في أحكامه ومحافظة على السنة ويعمل بمذهب مالك الذي بقي متبعا في أفريقية وكذا في أسبانيا مدة حكم العرب فيها - ثم اتجه جوهر الى فاس وحاصرها من جميع الجهات ثلاثة عشر يوما ودخلها في يوم الخميس ٢٠ رمضان سنة ٣٤٩ (١٣ نوفمبر سنة ٩٦٠) وضرب أعناق بعض أهلها وأسر واليها من قبل الأمويين وهو أحمد بن أبي بكر الزناتي ونهب المدينة وخرّب كثيرا من منازلها - ثم أخذ يطارد جنود بني أمية من جميع بلاد المغرب حتى استولى عليها ومع هذا لم ينتهك حرّمات المدن التابعة للأمير الحسن ابن قنّون الإدريسي فان هذا بادر بالاعتراف بسيادة المعز الفاطمي والدخول في حمايته

بعد أن أخضع جوهر بلاد المغرب وسفك دماء حماة أنهارا  
وقسا على أهلها وأذاهم ومحا اسم الخليفة الأموي من خطب الجوامع  
وأثبت فيها اسم الخليفة الفاطمي عاد إلى أفريقية ومعه من الأسرى  
محمد بن الفتح الذي كان أمير سجلماسة وأحمد بن أبي بكر الذي كان  
والي فاس وخمسة عشر من أعاضهم مشايخها مصنفين في أقفاص محمولة  
على جمال فأمر أن يطاف بهم في شوارع القيروان وأسواقها ثم حملوا  
إلى المهديّة وسجنوا أياماً ثم أهلكوا<sup>(١)</sup> كذا يؤخذ من روى وقد  
نقل عن مؤرخ سماء عبد الحليم - ويؤخذ من ابن الأثير وابن خلدون  
أن المعز الفاطمي صاحب أفريقية أغزى وزيره جوهر الصقلي إلى  
المغرب في صفر سنة ٣٤٧ في جيش كثيف وخرج معه جعفر بن علي  
صاحب المسيلة<sup>(٢)</sup> وزير بن مناد الصنهاجي صاحب أشير<sup>(٣)</sup>  
فساروا إلى تاهرت فلقاهم يعلى بن محمد الزناتي صاحب المغرب الأوسط  
جائئاً من مدينته إفكان<sup>(٤)</sup> فأكرمه جوهر ثم قبض عليه لخالفته وناشته  
سيوف كتامة فذارت أصحابه فقاتلهم جوهر وهزمهم إلى إفكان  
ودخلها بالسيف ونهبها ونهب قصور يعلى وأسر ابنه وكان صبيها وأحرق  
المدينة في جهادي الآخرة ثم سار إلى فاس ونازلها فامتعت عليه فرحل

(١) انظر روى ج ٤ ص ٢٤٨ وما بعدها (٢) كقبيلة مدينة المغرب اختطها  
أبو القاسم محمد بن المهدي في سنة ٣١٥ وتسمى المحمدية (٣) كامير مدينة في  
طرف أفريقية الغربي (٤) مدينة بالمغرب ذات أرحية وحمامات وقصور

الى سجلماسة وأخذها وقبض على صاحبها محمد بن الفتح من بني واسول  
من مكناسة الملقب بأمر المؤمنين الشاكر لله والضارب السكة باسمه  
وولّى ابن المعز من بني عمه مكانه ودوّخ بلاد المغرب الى البحر ثم  
عاد الى فاس وحاصرها حتى افتتحها عنوة على يد زيري بن مناد تسنم  
أسوارها ليلا وفتح أبوابها وأوقد المشاعل ودق الطبول فدخلها جوهر  
وقبض على واليها محمد بن بكر الجذامي في رمضان سنة ٣٤٨ وطرده عمال  
بني أمية من سائر المغرب وضمّ تاهرت الى زيري واثقل الى القيروان  
ظافرا ومعه احمد بن بكر ومحمد بن الفتح أسيرين في قفصين فحملهما الى  
المعز في المهديّة في يوم مشهود

ويؤخذ من ابن عذارى أن جوهرًا قائد المعز دخل في سنة ٣٤٧  
بلاد المغرب واستولى على فاس ثم توجه نحو تيطاون ففر أمامه الحسن  
ابن قنون الادريسي الى قرطبة ثم وصل القائد الى سبتة فلم يقدر عليها  
فقصد سجلماسة وملكها بعد أن فر عنها صاحبها محمد بن الفتح الملقب  
بالشاكر لله ثم جرى به أسيرا الى جوهر ومكث هذا بالمغرب نحو سنة  
ويؤخذ منه في موضع آخر أن الناصر أمر قائده احمد بن يعلى  
سنة ٣٤٧ بأن يغزو في الأسطول الى بلاد الشيعي معدّ بن اسماعيل  
صاحب افريقية فبرز لغزاته هذه يوم الخميس لثمان خلون من المحرم ٠٠٠  
وفي جمادى الآخرة ورد كتاب منه من افسلان من عمل تلمسان  
يذكر أن جوهرًا قائد معدّ ( المعز ) قتل يعلى بن محمد اليفرنى صاحب



مدينة إفكان غدرا وأن ابن عمه انتصب مكانه باقامة قومه له ثم رجع قائد الاسطول الى قرطبة

مناقشات - (١) يؤخذ من روى أن يعلى جاء الى جوهر محاربا ويؤخذ من ابن عذارى انه جاء مسالما فقتله جوهر غدرا (٢) ويؤخذ من روى أن ابن يعلى بعد قتل أبيه أراد المقاومة فخذله قومه ويؤخذ من ابن الاثير ان جوهر اسره وهو صبي عند أخذ إفكان (٣) لم يذكر روى إفكان مدينة يعلى وقد جاء ذكرها في كلام ابن الاثير وابن خلدون وابن عذارى ولم يذكر توجهه الى فاس وامتناعها عليه قبل توجهه الى سجلماسة كما جاء في ابن الاثير وابن خلدون (٤) يذكر روى أن جوهر ادخل فاس يوم الخميس ٢٠ رمضان سنة ٣٤٩ ويذكر ابن الاثير وابن خلدون أن دخوله فيها كان في رمضان سنة ٣٤٨ ويؤيد صحة كلامهما ما جاء في التقويمات من أن أول رمضان سنة ٣٤٨ يوافق يوم السبت فيكون يوم ٣٠ منه بالبداية يوافق يوم خميس - وأما رمضان سنة ٣٤٩ فأوله في التقويمات يوم الخميس فيكون يوم ٣٠ منه يوافق يوم الثلاثاء - وقد ذكروا أن جوهر ابتداء غزوته في صفر سنة ٣٤٧ ومكث في المغرب نحو سنة وعلى كلامه يكون قد مكث نحو سنتين (٥) ويذكر روى أن اسم والي فاس (احمد بن أبي بكر) ويقول غيره احمد بن بكر ولم يذكر ان فتح هذه المدينة كان على يد زيري بن مناد كما نص غيره على ذلك (٦) ويؤخذ من روى أن جوهر لم يطارد الحسن بن قنون الادريسي

ويؤخذ من ابن عذارى أنه فرّ منه الى قرطبة (٧) ويذكر رومي أن جوهرًا أخذ معه من الأسرى خمسة عشر سوى والي فاس ووالي سجلماسة واقتصر المؤرخون على الوالين (٨) يقولون غزا جوهر في جيش كثيف ويقدر رومي عدد الجيش بنحو خمسة وعشرين ألفًا (٩) ينصون على أن جعفرًا صاحب مسيلة وزيري صاحب أشير خرجا مع جوهر وقد أغفل هذا رومي (١٠) زاد ابن عذارى أن جوهرًا توجه الى تيطاون ثم وصل سبتة فامتنعت عليه

وفي ذى القعدة سنة ٣٤٨ م أرسل الناصر جماعة من وجوه الموالي والعرفاء ورجال الجند مع بدر الفتي صاحب السيف الى مدينة سبتة من أجل جولان جوهر قائد معدّ الشيعي صاحب القيروان ثم عادوا في آخر ذى الحجة بعد أن انفرجت الأزمة

ويؤخذ من رومي أن حوادث أفريقية شغلت بال عبد الرحمن الثالث وضاعفت أحزانه فانه كان لا زال يبكي عمه المظفر وولده عبد الله وحاجبه ابن سعيد الذي مات من أمد غير بعيد - ولرتق فتوقه في أفريقية وإدراك ثأره من أعدائه فيها وجهًا الى المغرب اسطولا قويا يقلّ كثيرا من الجيوش فما لبثوا أن أعادوا شرف الخليفة الى ذروته فانهم لم يجدوا في المغرب مقاومة تذكر الا أمام فاس ومدن أخرى فلما كوها بعد معارك عنيفة بينهم وبين جنود من كتامة وصنهاجة وأخضعوا كلّ البلاد الممتدة من فاس الى البحر المحيط وعاد خطباء

المنابر في جميع المساجد يخطبون باسم الامام عبد الرحمن الثالث أمير المؤمنين وقد عمّ السرور شعوب السوس وقبائل زناتة واضطر الأمير الحسن بن قنّون الادريسي الى أن يعود الى طاعة الناصر وقد أطاع وليّ عهده الحكم أيضاً

— منشورات —

١ - كان من عجائب الدنيا مدينة الزهراء التي اختطها عبد الرحمن الناصر في أول محرم سنة ٣٢٥ (نوفمبر سنة ٩٣٦) في شمال قرطبة على نحو خمسة أميال منها وجعل طولها من الشرق الى الغرب ألفين وسبعمائة ذراع وعرضها ألفاً وخمسمائة - يحكى في سبب بنائها ان الناصر ماتت له سرّية وترك ما لا كثيراً فأمر أن يفك به أسرى المسلمين فلم يوجد أسير في بلاد الأفرنج فقالت له جاريتة الزهراء وكان يحبها حباً جما اشتيت لو بنيت لي به مدينة تسميها باسمي ففعل وقد اتقن بناءها وأحكم الصنعة فيها وجعلها مسكناً للزهراء وحاشيته وأرباب دولته - وقال ابن خلدون اختط الناصر مدينة الزهراء وأخذها منزله وكرسياً للملكه وأنشأ فيها من المباني والقصور والبساتين ما علا على مباني أسلافه وأخذ فيها محلات للوحش فسيحة الفناء متباعدة السياج ومسارح للطيور مظلة بالشباك وأخذ فيها دوراً للصناعة الآلات من آلات السلاح للحرب والحلى للزينة وغير ذلك من المهن اه - يروى

المؤرخون انه كان يعمل في عمارة الزهراء عشرة آلاف رجل وألف وأربعمائة بغل وكان من الرجال من له درهم ونصف ومن له الاثنان والثلاثة أجرة في اليوم وكان من البغال ألف بالسكراء لكل بغل في الشهر ثلاثة مثاقيل - وكان يصرف في العمارة كل يوم من الصخر المنحوت المعدل ستة آلاف صخرة سوى الأجر والصخر غير المعدل وكان يجلب اليها الرخام الأبيض من المرية والمجزع من رية والوردي والأخضر من أفريقية من أسفاقس وقرطاجنة والسواري من رومة وكان يصل جالبي الرخام على كل رُخامة صغيرة بثلاثة دنائير وعلى كل سارية ثمانية وأهدى اليه ملك القسطنطينية مائة وأربعين سارية وكانت تشتمل مباني الزهراء على أربعة آلاف وثلثمائة سارية وعلى ماينيف على خمسة عشر ألف باب ملبسة بالحديد والنحاس المموه وكان يسكنها من الاناث ٦٣١٤ ومن الذكور ١٣٧٥٠ منهم ٣٧٥٠ من الفتيان الصقلية وكانوا الحراسا للخليفة وخدماء في قصره وقيل أن عددهم كان ٦٠٨٧ وكان لهؤلاء من اللحم في اليوم ١٣ ألف رطل تقسم من عشرة أرتال للشخص الى مادون سوى الدجاج والحجل وأصناف الطير وضروب الحيتان - وكان بها بحيرة ذات حيتان يرمى اليها كل يوم مقدار عظيم من الحبز والحمص الأسود المتنوع لتربيتهما وحماهما احداهما للامانة والاخرى للخاصة وجامع وقصر للخلافة : فالجامع كان يعمل فيه من حذاق العملة ألف عامل وثلثمائة بناء ومائتا نجار وخمسمائة من

الاجراء وسائر الصنائع فاستتم بنيانه واتقانه في ثمانية وأربعين يوما في شعبان سنة ٣٢٩ وكان ذا خمسة أبهاء ومحراب ومنبر بديع ومقصورة عجيبة وصومعة (مأذنة) وصحن مكشوف وجميعه مفروش بالرخام الخمرى وفي وسطه فؤارة يجرى منها الماء وطول الجامع من الجنوب الى الشمال سبع وتسعون ذراعا وعرضه من الشرق الى الغرب تسع وخمسون وارتفاع الصومعة أربعون وعرضها عشر في مثلها<sup>(١)</sup>

وأما قصر الخلافة فكان فخما عليه حلة من الجلال ممرّدا مشرفا على الرياض فيه مجلس مقرمدة قبة وحيطانه بقرامد الذهب والفضة يعرف بمجلس الذهب وضع في وسطه للأولوة اليتيمة التي أهداها ليون ملك القسطنطينية الى الناصر خليفة قرطبة وفيه حوض عجيب منقوش بتماثيل الانسان قالوا انه لاقيمة له لفرط غرابته وجماله وانه لما جلب من القسطنطينية نصبه الناصر في بيت المنام في المجلس الشرقى المعروف بالمؤنس وجعل عليه تماثيل من الذهب الأحمر مرصعة بالدر النفيس مما عمل بدار الصناعات بقرطبة ترى في هذه التماثيل صور الأسد والغزال والتمساح والثعبان والعقاب والفيل والحمامة والشاهين والطاووس والدجاجة والديك والحداة والنسر تمجّ الماء من أفواهاها الى الحوض يؤخذ من نفح الطيب انه كان في كل جانب من هذا المجلس ثمانية أبواب قد انعقدت على حنايا من العاج والأبنوس المرصع

بالذهب وأصناف الجواهر قامت على سواري من الرخام الملون والبلور الصافي وكانت الشمس تدخل على تلك الأبواب فيضرب شعاعها في صدر المجلس وحيطانه فيصير من ذلك نور يأخذ بالابصار وأنه كان في وسط هذا المجلس صريح عظيم مملوء بالزئبق وكان الناصر إذا أراد أن يفزع أحدا من أهل مجلسه أو ما إلى أحد صقالته فيحرك ذلك الزئبق فيظهر في المجلس كلعان البرق من النور ويأخذ بمجامع القلوب حتى يخيل للحاضرين أن المحل قد طار بهم .

وجاء فيه في موضع آخر « لما بنى الناصر قصر الزهراء المتناهي في الجلالة والفخامة أطبق الناس على أنه لم يبن مثله في الاسلام البتة وما دخل اليه أحد من سائر البلاد النائية والنحل المختلفة . . . . . الا وكلهم قطع انه لم ير له شها بل لم يسمع به بل لم يتوهم كون مثله . . . . . ولو لم يكن فيه الا السطوح الممرّد المشرف على الروضة المبارهي بمجلس الذهب والقبّة وعجيب ما تضمنه من اتقان الصنعة وفخامة الهمة وحسن المستشرف وبراعه الملبس والحلة ما بين مصر مسنون وذهب مصون وعمد كأنما أفرغت في القوالب ونقوش كالرياض وبرك عظيمة محكمة الصنعة وحياض وتمائيل عجيبة الأشخاص لا تهتدى الاوهام الى سبيل استقصاء التعبير عنها » لكفاه فوقانا على ما سواه من القصور

واستمر العمل في مدينة الزهراء نحو أربعين سنة من سنة ٣٢٥

الى آخر دولة الناصر وابنه الحكم

وقدّر بعضهم ما كان ينفق في عمارة الزهراء كل عام بثلاثمائة ألف دينار مدة الخمسة والعشرين عاما التي بقيت من دولة الناصر فاذا صحّ هذا التقدير كان مجموع ما أنفق في هذه الأعوام سبعة ملايين ونصف مليون دينار أى نحو ثلاثة ملايين وثلاثة أرباع مليون جنيه لكن هذا لا يستقيم مع قول ابن بشكوال « كان الناصر يقسم جباية البلاد أثلاثا ثلث للجنود وثلث مدّخر وثلث ينفقه على عمارة الزهراء وكانت جباية الاندلس خمسة آلاف ألف ألف (مرتين) دينار وار بمائة ألف ألف (مرتين) وثمانين ألف دينار » ولا يخفى ما في هذا القول من الغلو فإنه يبعد أن تكون جباية الاندلس خمسة مليارات وار بمائة مليون وثمانين ألف دينار ويظهر ان كلمة (ألف) في المكرر مقحمة فتكون الجباية خمسة آلاف ألف (خمسة ملايين) وار بمائة ألف وثمانين ألف دينار - بعد كتابة هذا رأيت في المقرئ في موضع آخر ما يؤيده قال مانصه « وقال غير واحد أنه كان يقسم الجباية أثلاثا ثلث للجنود وثلث للبناء وثلث مدّخر وكانت جباية الاندلس يومئذ من السكور والمقرئ خمسة آلاف ألف وار بمائة ألف وثمانين ألف دينار وعن السوق والمستخلص سبعمائة ألف وخمسة وستين ألف دينار وأما أخماس الغنائم العظيمة فلا يحصيها ديوان »<sup>(١)</sup>

كان القاضي منذر بن سعيد<sup>(١)</sup> ينكر على الناصر اسرافه في البناء .  
 في المسهب في أخبار المغرب ان منذر بن سعيد دخل يوما على الناصر  
 باني الزهراء وهو مكب على الاشتغال بالبناء فوعظه فأنشده الملك  
 هم الملوك اذا أرادوا نشرها من بعدهم فبالسن البنيان  
 أو ما ترى الهرمين قد بقيا وكم ملك محاه حوادث الازمان  
 ان البناء اذا تعظم شأنه أضحى يدل على عظيم الشأن  
 ودخل منذر على الناصر مرّة وهو في قبة جعل قمردها من ذهب  
 وفضة واحتفل احتفالا ظن أنه لم يصل اليه أحد من الملوك فقام  
 خطيبا والمنجس قد غص بارباب الدولة فتلا قوله تعالى « ولولا أن  
 يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من  
 فضة ومعارض عليها يظفرون » واتبع الآية بما يليق بذلك فوجم الملك  
 ولم يسهه الا احتمال منذر اعظم قدره في علمه ودينه وحضر معه يوما  
 في الزهراء فأنشد الرئيس أبو عثمان قصيدة للناصر منها  
 سيشهد ما أبقيت انك لم تكن مضيعا وقد مكنت للدين والدنيا  
 فبالجامع المعمور للعالم والتقى وبالزهرة الزهراء لالملك والعليا  
 فاهتز الناصر وابتهج وأطرق منذر ساعة ثم أنشد  
 ياباني الزهراء مستغرقا أوقاته فيها أما تهمل

(١) سبب تعلقه بالناصر بخطبته المشهورة أثناء الاحتفال برسل ملك الروم كما  
 سيأتي قريبا



لله ما أحسنها رونقا لو لم تكن زهرتها تذبل  
فقال الناصر اذا هبّ عليها نسيم التذكار والحنين وسقتها مدامع  
الحشوع لا تذبل اه وقد ذبلت الزهراء في سنة ٣٩٨ وسيا تي بيان ذلك  
حكى أن الوزير ابن جهور قال وقد وقف على قصور الامويين المتقوضة  
قلت يوما لدار قوم تفانوا أين سكانك العزاز علينا  
فاجابت هنا أقاموا قليلا ثم ساروا ولست أعلم أين

(٢) — في سنة ٣٣٣ ليلة الاثنين لتسع خلون من ذى القعدة  
حدث في قرطبة زلزلة هائلة دامت ساعة ففزع الناس ولجئوا الى  
المساجد ودعوا الله في كشفها فصرعها عنهم — وفي صباح ليلة الزلزلة  
هبّت عاصفة ردفها أخرى فاقتلعت كثيرا من الشجر والنخل — ونزل  
أثر ذلك مطر وابل يحمل برّدا غليظا فقتل كثيرا من الطير والوحش  
والماشية وأتلف ما أصاب من الزرع<sup>(١)</sup>

(٣) — عن الناصر بتربية ابنه الحكم وتهذيبه واختار لتعليمه  
كبار الاساتذة وشهراءهم حتى استدعي اليه من بغداد اسماعيل بن القاسم  
المعروف بأبي علي القالي وكان ذا حظوة عند العباسيين وشهرة في العراقيين  
العربي والفارسي وكان يصاحب الحكم في قصر الزهراء — ويتردد  
اليه في ذلك القصر أيضا نخبة العلماء والادباء فشبه مولعا بالعلوم  
والآداب ذا حلم ومكارم أخلاق محبوبا عند الرعية — لذلك ولكونه

أكبر أخوته كان أهلاً لولاية عهد أبيه لسكن حسده على هذه الولاية  
أخوه عبد الله وكان أيضاً ذا علم وحذاقة في الفقه والشعر يعرف علم  
الهيئة والفلسفة وقد كتب تاريخاً للعباسيين — ومع هذا سوات له  
بطانته أن يتخذ الوسائل الحائلة دون تولية أخيه فأتمروا به في القصر  
المرواني في ضاحية قرطبة ليقتلوه في يوم عيد الاضحى فبلغ أسرهم  
الخليفة فبادر بارسال كوكبة من فرسانه الصقالبة تحت قيادة أحد  
وزرائه فدخلوا القصر ليلاً باسم الخليفة وباغتوا الأمير عبد الله ومعه  
صاحبه الفقيه أحمد بن عبد البر وشريف آخر يسمى أحمد بن العطار  
ويعرف بصاحب الورد وساقوهم الى الزهراء وسجنوهم فرادى ثم  
اشخصوا الأمير الشاب أمام أبيه فسأله عن جريمته فكانت اجابته  
الاضطراب والبكاء ثم سأله وزيران من مجلس الحكومة في غير حضرة  
أبيه فاعترف بما فعله هو وابن عبد البر اعترف بأنه فقد رشده بسماعه  
وساوس هذا الفقيه وان هذا ألقى في أمنيته خطته السوداء انتقاماً من  
حكومة الناصر لأنها لم تعهد اليه بوظيفة قاضي القضاة وأنه لا شريك  
له في المؤامرة سواء وبراً صاحب الورد من أن يكون له يد في الامر  
فلم ينفع عبد الله بكأوه ولا صدقه ولا شفاعته أخيه بل حكم عليه  
بالاعدام في اليوم الذي كان موعد تنفيذ ما تأمروا فيه وحكم على ابن  
عبد البر بضرب العنق فمزعت روحه في السجن وكانت هذه الحادثة  
في ذى الحجة سنة ٣٣٧ هـ - وقد مات في هذه السنة المظفر أسوفا عليه .

كذا يقتبس من روى وماأخذه تاريخ كندى وهاك تعريب  
مافيه بتصرف : —

عهد عبد الرحمن بولاية العهد لابنه الحكم خلف له الوزراء  
والولاة والقضاة والكتّاب يمين الطاعة وكان الأمير عبد الله أخوه مولعاً  
بالعلوم ويساميه فيها وفي الحركات البدنية وركوب الخيل واستعمال  
الأسلحة وكانت محبة الناس الملتفين حوله آياه تعادل محبتهم اخاه فقد  
جذب قلوبهم اليه ببشاشته وكرمه وكان هذان الاميران يتفقان في حسن  
الشيء ويتصفاان بالخلق وسعة المدارك

ولكن عبد الله نفخه ما كان يسمعه من كلمات التملق فاخطأ محبة  
الصواب ولجأ اليه الناس المتعلقون راجين من وراء ذلك نيل أغراضهم  
فقامت بنفسه افكار كان من جرّائها أن تغيرت حياته السعيدة ذات  
الشرف والمجد الى حياة ذات بؤس وشقاء فنزع الى انتزاع المملكة  
التي عهد بها والده الى أخيه فأجبرته المخاوف التي تحف بهذا الأمر  
الى العمل في الخفاء — يذكر أبو عمر بن عفيف هذه الحادثة في كتاب  
تاريخه الذي أتمه ابن حبان بالصورة الآتية

كان أعز صديق حميم للأمير عبد الله رجل ذو قدرة خارقة للعادة  
يسميه بعض الكتّاب الفقيه احمد بن محمد ويعرف بابن عبد البر وكان  
يلازم الأمير ملازمة شديدة حتى يقال انه لم يفارقه قط فكان  
يصاحبه في غداوته وروحاته ويندر أن يري عبد الله بغيره —

كان هذا الرجل يكتم في صدره مطامع واغراضا فكان يصانع من فوقه ويعتو على من دونه ويخفي تحت ثياب تنبيء عن الحشمة والوقار نفسا خبيثة ذات مكر ودهاء وعزم أكيد على القيام بمطالبها الخفية أمكن هذا الرجل أن يخدع الأمير عبد الله فذكر له أن الأشراف في قرطبة والأقاليم يظنونهم حزينا لأن أباه آثر أخاه الحكم عليه بتوليته إياه ولاية المهد وأظهر له أنه ممتاز عليه بكثير من الصفات الحسنة مما جعل الناس اجمعين يحبونه ولما وجد الأمير معيرا أذنا لكلامه زاد أنه إذا أراد أن يخطو بضع خطوات في سبيل انتخاب الجمهور إياه فانه لا يجد أدنى صعوبة في هذا الأمر وإن هذا هو العلاج النافع لما أصابه من ظلم أبيه وقد ذهب أحمد بن محمد شوطا بعيدا إذ قال أخيرا لعبد الله إن الملك والده ربما يضطر إلى تسليم عرش المملكة إليه بدون ريث وأكد له أن جميع ما يعمل في ما يؤدي إلى مثل تلك النتيجة هو عين الحق .

ضلّ عبد الله السبيل وفتن بالمنظر الذي أراه إياه ابن عبد البر وتخير حينما سمع منه كلمات الملق ووعده بأنه هو الذي يقوم بجميع ما في الأمر ضامنا له حياته وذكر أن ذلك عنده من السهولة بمكان وأنه جهّز المعدات التي لا يشك في أنها تؤدى إلى النجاح . أثرت تلك الكلمات في الأمير المخدوع فكانت سبب نحس طالعه فانها هي التي قادته لاطويته السليمة إلى أن أذن لهذا الرجل أن يكون له حزبا

ويأخذ هو في جذب قلوب وزراء وقوادأيه الى جانبه — كلاً  
عبد الله أصحاب ابن عبد البر بعين الرعاية ونصبهم في بعض المناصب  
وأسبل عليهم رضاه التام وفي الوقت نفسه كان يتعرف بأناس من جميع  
الطبقات كما أشار عليه مرشده الخادع

لم يعجب أحد حين رأى أن الأمير عبد الله يذهب الى منازل  
العلماء الذين طنّ صيتهم في آذانه وأن هؤلاء العلماء يترددون على  
قصر مروان الذي كان يسكنه الأمير لانه كان اشتهر بولوعه بالعلوم  
الادبية ولكن ابن عبد البر لم يقصر دخول القصر على من يشق بهم  
بل جعله عاملاً لكل زائر ولم يخصّص الناس الذين يزورهم عبد الله  
فكانت نتيجة ذلك ان ذهب أحدهم الى عبد الرحمن وأفشى اليه كل  
شئ وأكده ان هذه الافاعيل لا تؤدي فقط الى صعود عبد الله  
فوق كرسي المملكة بل الى انتفاض ملكه العاجل والقضاء على  
حياة الأمير الحكم أيضاً فان أقل مافى عزم المتآمرين قتله حتى يكون  
ضماناً لحياتهم وجدد اليوم المزمع فيه انجاز الجريمة وهو يوم عيد الاضحى  
الذي كان قرب ميعاده .

لم يزل عبد الرحمن غير مصدّق هذه الرواية الا أنه لم يهمل شأنها  
اعظمه فدعا عمه الأمير المظفر وأطلعه سرّاً على ما بلغه واتفقا على أن  
يرسل أحد الوزراء في جنح الليل الى قصر الأمير عبد الله ويقبض  
عليه ويقوده الى مدينة الزهراء حيث كانت تجتمع المحكمة . فأعد

الوزير معدّات ذلك وذهب الى قرطبة ودخل باسم الملك قصر مروان الذي كان يبعد قليلا عن المدينة فأدهش ذلك الأمير الذي كان في تلك الآونة في صحبة الفقيه ابن عبد البر والفارس احمد بن عبد الله ابن المطار المسمي بصاحب الورد فقبض الوزير على هذين الشخصين لاشتباهه في أمرهما وساقهما الى الزهراء وحبسهما منفردين لكي يمنعهما من المحادثة

ولما مثل عبد الله بين يدي أبيه قال له أبوه يظهر لي انك استأثرت من عدم تبوئك عرش مملكتي فلم يحرج الامير جوابا ولم يمكنه غير البكاء فأمر والده بأن تغلق عليه حجرة .

أمر الخليفة وزيرين أن يذهبا ويستطلعا سر المؤامرة من عبد الله ففعلا ذلك ولم يتردد الامير في الاقرار بما حصل الى الساعة التي قبض عليه فيها

الآن صار من الجلي ان تحريضات ابن عبد البر هي التي ألبأت عبد الله الى المؤامرة ضد أخيه وانه هو الذي مهد السبل للجريمة فان عبد الله لم يعرف أحدا سواه من الذين لهم ضلع فيها وان صاحب الورد كان بريئا لأن عبد الله شهد بأنه لم يدخل في تدبير هذه المكيمة . وقصارى القول أنه قد ظهر للعيان ان الأمير عبد الله لم يحدث الا عن وساوس ابن عبد البر وعن المكيمة التي دبرها وانه لم يعرف سواه من المتآمرين وان هذا الفقيه أراد بذلك أن

يحصل على وظيفة قاضى قضاة اسبانيا ٠٠٠٠ فلم يحصل على مبتغاه  
وقد حكم عليه بالاعدام في اليوم الذى كان موعد تنفيذ جريمته ليكون  
ذلك شاهدا عدلا على اجرامه — لما علم ابن عبد البر بهذه الحقيقة قال  
(يبدى لا يدعرو) وقتل نفسه فى السجن فى ليلة اليوم الموعود وكان  
ذلك فى شهر ذى الحجة سنة ٣٣٨

تتفق الروايات فى أن الحكم طلب العفو عن أخيه ولكن عبد  
الرحمن الناصر أجابه ان شفاعتك وطلبك العفو لآخيك الجليلان  
ويعودان بالنفع عليك وانى اذا كنت فى مرتبة أحد الاشراف  
لكان الأمر كما أحببت وكما يميل على ضميرى ولكن لكونى ملكا  
فلا بد أن أنظر الى المستقبل وأكون لأمتى مثالا حسنا وانى وان  
كنت سابكى ولدى وأحزن عليه ما حبيت مضطرا الى أن أفعل ما توحى به  
إلى العادلة ويجب على أن اتخذ الخليفة العظيم عمر بن الخطاب  
قدوة وأسير على منواله فى العدل وعلى ذلك لا تستطيع دموعك المنسكبة  
أويأسى المنقطع أو الحزن الذى سيخيّم على أهل بيتنا ان تنقذ أخاك  
من قصاص ذنب لا ريب فى أنه اقترعه

يقال ان الأمير عبد الله كتب الى والده بشأن صاحب الورد  
قائلا له لا تدع انسانا آخر يؤخذ بجريرتى . وفى الليلة نفسها قتل  
الأمير فى سجنه وفى اليوم التالى دفن فى مدفن الرصافة واحتفل  
بجنازته ومشى فى مشهده الحكم وأخوته وغيرهم من اسرة مروان

وكثير من اهل المدينة — لم يمض زمن مديد على تلك الحادثة المحزنة حتى أصيبت أسرة الخليفة برزء جديد وهو موت الأمير المظفر عم الملك عبد الرحمن فجزع عليه جزعاً شديداً لأنه كان يحبه كأبيه وهكذا سنة الدهر فان مصائبه يتلو بعضها بعضاً .

وقال ابن خلدون في هذا الموضوع كان الناصر رشح ابنه الحكم وجعله وليّ عهده وآثره على جميع ولده ودفع اليه كثيراً من التصرف في دولته وكان أخوه عبد الله يساميه في الرتبة فغصّ بذلك وأغراه الحسد بالنكثة فنكت وداخل من في قلبه مرض من أهل الدولة فأجابه وكان منهم يأسر الفتى وغيره ونهى الخبير بذلك الى الناصر فاستكشف أمرهم حتى وقف على الجلى فيه وقبض على ابنه عبد الله وعلى يأسر الفتى وعلى جميع من داخلهم وقتلهم أجمعين .

٤ — قوّة الناصر البرية التي أخذ بها تيران الفتن التي كانت مشتعلة في الاندلس والتي قهر بها نصارى الشمال وقوته البحرية التي أمكنته من الاستيلاء على سبتة مفتاح المغرب وعلى تونس القرية من القيروان احدى عواصم مملكة الفاطميين في أفريقيا وضخامة ملكه في العمران وعظمة شأنه في الحضارة والعرفان كل ذلك أكسبه شهرة ملأت الآفاق ودفعت ملوك الأمم الأخرى الى الازدلاف اليه .  
ففي سنة ٣٣٨ ( ٩٤٩ ) بعث اليه قسطنطين بن ليون ملك الروم رسلاً يحملون اليه هدية وكتاباً يرغب فيه تجديد المحالفة القديمة التي



كانت بين أسلافهما على خلفاء بغداد وكان الكتاب مكتوباً بحروف من الذهب في رقّ ذي لون سماوى وفيه طرس سماوى أيضاً مكتوب بحروف من الفضة يصف الهدية وأصنافها وكلاهما بالخط الاغريقى وعلى الكتاب طابع ذهب يزن أربعة مثاقيل على أحد وجهيه صورة المسيح عليه السلام وعلى الآخر صورة قسطنطين وابنه رومانوس والكتاب موضوع في علبة من فضة منقوش على غطاها إطار من ذهب فيه صورة قسطنطين مرسومة على زجاج ملوّن بأبداع رسم - والعلبة في جعبة ملبسة بالدياج وكان مفتوح الكتاب ماترجمته في السطر الأول « من قسطنطين ورومانوس المؤمنين بالمسيح المالكين العظيمين ملكي الروم » وفي السطر الثاني « الى العظيم صاحب المجد الشريف النسب عبد الرحمن الخليفة الحاكم على العرب في اسبانيا أطل الله بقاءه » لما أخبر الناصر بوصول الرسل الى الحدود وجّه للقائهم القائد يحيى بن محمد تحفه كوكبة من الفرسان فتلقاهم بالتجالة ورافقهم في الطريق ولما قربوا من قرطبة تلقّتهم بالحفاوة فرّق من الجنود كاملة العدد والمُدّد يقودها كبار القوّاد ثمّ لقيهم الخصيّان ياسر وتمام كبيراً الموالى أولى السلطان في القصر الخلافي وكان هؤلاء وقتئذ من عظماء الدولة فكان ذلك من المباغة في الاحتفال بالوافدين ثمّ أنزلوا في قصر في ضاحية قرطبة وأقيم على حجابتهم بعض وجوه الموالى ومُنِع الناس طرّاً من مخاطبتهم وفي ١١ ربيع الأول ( ٧ سبتمبر سنة ٩٤٩ )

استوى الخليفة على عرش الخلافة في قصر قرطبة السلطاني وقعد  
 ن يمينه ويساره أبناءه وأعمامه والوزراء والولاة والعلماء على حسب  
 مراتبهم ووقف في الخدمة أبناء الوزراء والموالي بأزياء بديعة وفي  
 الحراسة جنود مدججة بالسلاح مرتبة الصفوف وقد بسط صحن  
 القصر بنفائس البسط وكرائم الدرانيك<sup>(١)</sup> وظلت أبوابه وحناياه  
 بظلال الديباج ورفيع الستور فلما جيء بالرسول الى هذا المجلس الزاهر  
 بهرهم مارأوه من بهجة الملك وفخامة السلطان ودنوا من العرش وأدوا  
 رسالة ملكهم . حينئذ أمر الخليفة أن يخطب العلماء والشعراء بما يناسب  
 المقام فراءهم هول المحفل وأبته الخلافة فارتج عليهم وكان منهم اسماعيل  
 أبو علي القالي<sup>(٢)</sup> البغدادي وكان في بطانة الحكم ولي العهد قام يخطب  
 بأشارة منه فحمد الله وصلى على نبيه ثم بهت فقام الفقيه منذر بن سعيد  
 من ذاته ووصل افتتاح القالي بكلام بليغ خلب الالباب واسترق  
 الاسماع ولما انفرط عقد الجمع أخذ الناس يطرون منذرا ويعجبون  
 من ثبات جنانه وسحر بيانه وأعجب به الناصر وولاه الصلاة  
 والخطابة في جامع الزهراء ثم ولاه قضاء قرطبة . وبعد أيام انصرف  
 هؤلاء الرسل وبعث الناصر معهم وزيره هشام بن هذيل بهدية من  
 الصافيات الجياد ومن الاسلحة القيمة المصنوعة في قرطبة وطيطة  
 ليوطد دعائم المودة بين الملكين ورجع بعد سنين وعاد معه

(١) جمع درنك بكسر الدال والنون وهو الطنفسة (٢) نسبة الى قايلا

رسل قسطنطين .

ثم بعد ذلك وفد على الناصر رسل من ملوك أمم أوروبا: الصقلية  
والامان والافرنج القاطنين وراء البرت والافرنج المتأخين لهم من ج .  
الشرق ووصل مع رسولهم رسول صاحب برشلونة وطراً كونه ووصل  
بعده رسول صاحب رومة فاحتفل الناصر لقدمهم وأجاب رغباتهم  
ورجعوا معجبين بحضارة الاسلام في الاندلس . هذا مجمل كلام  
المؤرخين الذي لا مزية فيه لكنهم اختلفوا في أسماء ملوك تلك الامم  
فقد جاء في المقرئ ان ملك الصقلية يومئذ ( دوقو ) وفي ابن خلدون  
انه ( هوتو ) وفيهما ان ملك الافرنجة وراء البرت ( أوقه ) وملك  
الافرنجة بقاصية المشرق ( كادة ) وقال ابن عذارى « في سنة ١٠٤٣ »  
قدمت رسل ( هونوا ) ملك الصقلية على الناصر وقال دوزى ان  
مؤرخى قرطبة يسمون ملك الصقلية ( أوتون Otton <sup>(١)</sup> ) وقال  
رومى ان العرب يسمونه ( دوقو ) آخذين ذلك من لقبه ( دوق Duc )  
ويسمون ملك الفرنك وراء جبال البرانس ( أوقه Ouketh ) وهو  
( هوغوس Hugues ) ملك إيطاليا وبروقنسا وأنه جاء بعثة من  
امراة ملك الفرنك الآخر المسمى ( كارة Kalara ) <sup>(٢)</sup> وانه جاء  
الى قرطبة رسل من كونت برشلونة الذي كان يسمى ( سونارة

(١) انظر الذنابة الثالثة (٢) انظر هامش ص ٦٠ ج ٣ في Otton زيادة نون  
وحذف هاء وفي ( هوتو ) المكس ويظهر ان الاسم الحقيقي ( هوتن ) فابحث (٣) بالراء  
بعد اللام وفي ابن خلدون والمقرئ ( كادة ) بالبدال ويظهر ان أحدهما محرف عن الآخر

Sunifere ( يصبحون سفراء الملكة أرملة ( شارل الساذج Charles-le - simple ) ووالدة ( لويس الرابع ) اه<sup>(١)</sup> وأقول ان امبراطور ألمانيا الذي كان في عصر الخليفة عبدالرحمن هـ ( أوthon الاول Othon ) فانه ارتقى على عرشها سنة ٩٣٦ م ( ٣٢٤ هـ ) ومات سنة ٩٧٣ م ( ٣٦٢ هـ ) وأخضع الصقالبة فيظهر انه الذي بعث رسولا أورسلا الى الناصر — وأن دوق فرنسا في ذلك العصر كان ( هوغوس Hugues ) فانه مات سنة ٩٥٦ ( ٣٤٥ ) فيظهر أنه هو الذي يحرفون اسمه الى ( أوقة ) — وأنه يستتبع من مقارنة عبارة رومي الأخيرة بما في التواريخ العربية من أن رسول ملك برشلونة وطراً كونه وصل الى قرطبة مع رسول ( كلة ) ملك الافرنجة بالمشرق ان اسم ( كلة ) أو ( كلة ) محرف عن ( كلة ) أو ( كارلوس ) أو ( شارل Charles ) وان لم يخلُ الكلامان من اختلاف

٥ — كان الناصر يقوم بأعباء مملكته بنفسه ولا يكل شؤونها الى غيره فكانت تستغرق أوقاته — لكنه في سنة ٣٤٤ وزع بين وزرائه أعمال ديوانه فاخص الوزير جهور بن أبي عبدة بالنظر في كتب أهل الخدمة والوزير أحمد بن فطيس بالنظر في كتب أهل الثغور والسواحل والأطراف والوزير الكاتب عبد الرحمن الزجالي

بالنظر في تنفيذ كل ما يخرج من المهود والتوقيعات والوزير محمد بن  
جدير بالنظر في مطالب الناس وتنعجز التوقيعات لهم فالتزم القوم  
ما ألزموا به وكان الخليفة يشرف على جميع أعمالهم

٦ — ساقطنا الحوادث التاريخية السالفة الى سنة ٣٥٠ وفي

ثالث رمضان أفل نجم عبد الرحمن الثالث وهو ابن اثنتين وسبعين  
سنة بعد ان حكم منها ما ينيف عن خمسين سنة. كان واسطة عقد ملوك  
بنى أمية في الاندلس يمتاز ببلاغته وشجاعته وأقدامه وعدله وكرمه  
ورأفته بالرعية

أطفأ نيران الثورات التي كادت تقوض دعائم ملك بني أمية  
في الأندلس تارة بلسانه وأخرى بسيفه وقاد الجيوش بنفسه الى بلاد  
الاعداء حتي خضعت له ممالك الشمال وامتد سلطانه في بلاد المغرب  
أفريقية وسارت البلاد في عهده شوطا بعيدا في سبل الحضارة والعمران  
وتقدمت الزراعة والصناعة والتجارة وارتقت العلوم والفنون والآداب  
ولاسيما الشعر

مما ينبغي عن رقي زمن الناصر ما يحكي انه أراد الفصد فقمه بالبهو  
في المجلس الكبير بأعلى قصره بالزهراء واستدعى الطبيب فأخذ الموضع  
وجلس يد الخليفة فنيما هما على هذه الحالة إذ أطل زرور فصد  
على أناء ذهب بالمجلس وأنشد

أيها القاصد رفقا بأمر المؤمنين

انما تفصد عرقا فيه محيا العالمينا  
وكرر ذلك المرة بعد الأخرى فاستظرفه الناصر وسأل عمن علم  
الزرزور ذلك فقبل له أنها السيدة مرجانة أم ولده الحكم فوهب لها ما ينيف  
عن ثلاثين ألف دينار<sup>(١)</sup>

ويؤخذ من دوزي انه في مارس سنة ٩٦١ مرض عبد الرحمن  
الثالث وخيف على حياته ومع هذا نجح الأطباء في علاجه — وفي  
أول يوليو نقه من مرضه ولكن النقاهة ما كانت الا ظاهرية فقد  
انتكث وعاد اليه مرضه وفي ١٦ أكتوبر من سنة ٩٦١ أسلم الروح  
الى بارئها وهو ابن سبعين سنة حكم منها نحو تسع وأربعين سنة.

كان له المقام الأول بين ملوك بني أمية فانه قد جاء بالمجائب:  
وجد المملكة فوضى ممزقة بالأحزاب مقسمة بين جملة أمراء من  
بناس مختلفة معرضة لاغارات نصارى الشمال المستمرة ومشرفة على  
أن يتلمها الليونيون من جهة والأفارقة من جهة أخرى ورغما عن  
العقبات التي لا يحصى خلص الأندلس من التهلكة في الداخل  
والخارج وبهشها أعظم وأقوى مما كانت عليه وأكسبها النظام والسعادة  
في الداخل والاعتبار والاحترام في الخارج وجد خزائنها خالية في  
حالة يرئى لها فأفعمها بالأموال حتى بلغ دخل المملكة السنوى الى  
سته ملايين ومائتين وأربعين وخمسة آلاف دينار وكان ثلث الدخل

يكفي للمصر وفات العادية والثلث الثاني يدخر والثلث الأخير  
 يخصص للبناء . أ كد سائح يعنى بالامور المالية ان عبد الرحمن  
 والحمداني الذي كان يحكم وقتئذ في بلاد الجزيرة ( بين دجلة والفرات )  
 كانا من أغنياء الملوك في ذلك الزمان ولا ريب أن بين ضخامة الجباية  
 العامة وارتقاء البلاد ارتباطا — كانت الزراعة والصناعة والتجارة  
 والفنون والعلوم والآداب زاهرة في عصره فكان الغريب يروقه  
 جمال المزارع وطرق أروائها الهندسية العجيبة التي كانت تخصب الاراضي  
 المحدبة ويمجّب من كمال النظام المستولى على الاقضية بواسطة الشرطة  
 المتيقظين ويستغرب من انخفاض أثمان الاطعمة ومن نظافة الملابس  
 ومن الرفاهية العامة التي كانت تسمح للسابلة بركوب البغال بدل السير  
 على الاقدام — كانت قرطبة والمرية ومدن الاندلس الاخرى غنية  
 بصناعاتها العديدة المختلفة — واتسعت في عهده دائرة التجارة وكانت  
 رسوم الجمارك عن الصادرات والوارد تسكّون الجزء الاعظم من دخل  
 المملكة — كانت قرطبة في عصره تضارع بغداد في العظمة والحضارة  
 وقد بلغ عدد سكانها الى نصف مليون وعدد مساجدها الى ثلاثة آلاف  
 وعدد قصورها ودورها الى مائة وثلاثة عشر ألفا وعدد حماماتها الى  
 ثمانية وعقد ضواحيها الى ثمان وعشرين

## ذنابات

هذاننا سيرتاريخ الناصر فيما مر الى الكلام على حروبه في أفريقيا  
وقد كان فيها اعمده سلالتان يرجع نسبهما الى علي بن أبي طالب وهما  
الادارسة والفاطميون وكان ينبغي لنا أن نستطرد حين عرضت هذه  
الحروب بذكر لمة نبين فيها منشأ هاتين السلالتين وكيف تمها لهما بعد  
الانتقال من المشرق تأسيس دولتين في المغرب ولكن رأينا الاستطراد  
هناك يقطع تسلسل حلقات التاريخ فأفردنا له ذنابتين

( الاولى في الادارسة ) كان لعبدالله حفيد الحسن بن علي بن أبي  
طالب ستة أبناء دون التاريخ لهم أعمالا هامة في الدين والسياسة: تفرقوا  
في الجهات وبايعهم الناس لاعتقادهم ان الامامة في نسل علي ونازعوا بني  
العباس في الخلافة وحاربهم هؤلاء وقتلوا بهم واطلوا دمائهم

من أولئك الأبناء ادريس وهو أصغرهم كان يقاتل مع الحسين  
حفيد عمه الحسن الثالث أخى عبدالله وحفيد الحسن السبط بنى العباس  
أيام الهادي في وقعة رَجَّ (١) على ثلاثة أميال من مكة سنة ١٦٩ للهجرة  
فلما دارت الدائرة على الحسين وقتل وولي أصحابه أفلت من الهزيمة  
إدريس ولحق بمصر وعاملها يومئذ مولى لبني العباس اسمه واضح  
وكان يتشيع لآل علي فحمله على البريد الى برقة ومعه مولاه راشد ومنها

---

(١) بواو مفتوحة وجيم مشددة وقيل فجج بالفاء رقبيل فنج بالخاء



توجه الى القيروان حاضرة أفريقية وفيها ابراهيم بن الاغلب عامل  
بنى العباس — أراد الله أن يكون لادريس دولة بالمغرب كما أتاح له  
الرحمن الداخل دولة بالأندلس فأعفى ابصار الرقباء العباسيين عنه  
وكان يتزياً بزى الارقاء تمويهاً للأنظار — ثم انتقل الى تلمسا  
قريبة المغرب الأوسط واستراح فيها أياماً ثم عبر نهر ملوية متجهاً  
طنجة مدينة السوس الأدنى وكان أخصب أقاليم المغرب الأقصى  
فلم يقيم بها طويلاً لأنه لم يجد فيها الوسائل التي تؤدي الى ما تعلمح  
أنظاره فتركها ونزل ويلي<sup>(١)</sup> وكان بها يومئذ اسحق بن عبد الحميد  
امير أوربة<sup>(٢)</sup> وكان من المعتزلة فقابل به بالحنافاة وأكرم مشواه ودعا قبايل  
المغرب الأقصى الى طاعته فأطاعوه وبايعوه على أن يكون أميرهم في  
رمضان سنة ١٧٢ (٧٨٨)

خاطب ابن الاغلب هارون الرشيد في شأن ادريس فدر  
اليه من سمه فهلك سنة ١٧٥ وترك حظية حبلى تسمى كنزة فق  
بأمر البربر مولاه راشد ولما وضعت جنينها سمّوه ادريس باسم أب  
وكفله راشد الى أن قتل سنة ١٨٦ وقام من بعده بالكفالة أبو خا  
العبدى الى أن بايعوا ادريس سنة ١٨٧ وهو ابن اثنتى عشرة س  
واستوزر مصعب بن عيسى الأزدي وقتل اسحق كبير قبيلة أور

(١) بفتح أوله وكسر ثانيه ورابعه مدينة المغرب قرب طنجة — ياقوت

(٢) أوربة بفتح فسكون ففتح قبيلة من البربر مساكنهم قرب فاس.

سنة ١٩٣ لما أحسن منه بموالاة إبراهيم بن الأغلب — ولما ضاقت ولبلى  
بسكانها اختط مدينة فاس ذات عدوتين عدوة الاندلسيين سنة ١٩٢  
وعدوة القرويين سنة ١٩٣ فانتقلوا اليها وغزا المصامدة سنة ١٩٧  
وفتح بلادهم وضايق إبراهيم بن الأغلب والى القيروان فدافع هذا  
عن حماه واستمال بهلول المظفرى وقومه عن طاعة ادريس الى طاعة  
الرشيد — فاستراب ادريس بالبربر فأنخذ زهاء خمسمائة من عرب  
أفريقية والاندلس نزعوا اليه بطانته فاستقام بهم سلطانه وعجز الاغالبية  
عن مدافعة الادارسة وهلك ادريس سنة ٢١٣ وخلفه ابنه محمد وأشرك  
اخوته في سلطانه باشارة جدته كنز فقسم المغرب بينهم فكان من  
نصيب القاسم طنجة والبصرة <sup>(١)</sup> وسبتة — وعمر صنهاجة وغمارة  
وداود هوارة ومكناسة — وعبد الله اغمات <sup>(٢)</sup> وجبال المصامدة  
وبلاكمطة <sup>(٣)</sup> والسوس الاقصى — ويحيى أصيلة <sup>(٤)</sup> وعيسى سلا <sup>(٥)</sup>  
وأزمورة <sup>(٦)</sup> وحمزة وليلى وأعمالها — خرج عيسى بأزمورة على أخيه

(١) البصرة هنا غير بصرة العراق وهى بلد فى أقصى المغرب قرب السوس خربت  
وكان بينها وبين فاس أربعة أيام (٢) اغمات ناحية فى بلاد البربر من أرض المغرب قرب  
سراكنش وهى مدينتان متقابلتان ومن وراءهما الى جهة البحر المحيط السوس الاقصى بأربع  
سراجل ومن سجد ماسة ثمانى سراجل وبينها وبين سراكنش ثلاثة قرايخ (٣) لمطة  
الفتح ثم السكون أرض وقبيلة من البربر بأقصى المغرب (٤) أصيلة أول مدينة العدو  
بأقصى الغرب والبحر بفريرها و«نوويه» وهى بنى طنجة بينها امرحلة (٥) سلا بالفتح  
بأقصى الغرب ليس بعده معجور الامنة صغيرة يقال لها غرنيطوف (٦) أزمورة

ثلاث ضمات متواليات وتشديد الميم بلد بالمغرب فى جبال البربر

محمد طالبا الامر لنفسه فبعث بحربه اخاه عمر بعد ان دعا القاسم لذلك  
فامتنع فأوقع عمر بهيسى ثم بالقاسم وغلب على مافي أيديهما ففسار  
ريف البحر الرومي من بلاد غمارة الى سبتة ثم الى طنجة وريف  
البحر المحيط من سلا الى أزموزة من عمل عمر واتسعت ولايته الى أن  
هلك سنة ٢٢٠ بمصناجة فنقل الي فاس ودفن بها وهو جد بني حمود  
المستولين على قرطبة عند انقراض ملك الامويين - وولي الأمير محمد  
عمل أخيه لولده علي بن عمر وملك محمد سنة ٢٢١ بعد ان استخلف ابنه  
عليا وهو ابن تسع سنين فكففته بطانة أبيه واطاعته سائر البربر  
وكانت أيامه خير أيام ومات سنة ٢٣٤ وخلفه أخوه يحيى فامتد سلطانه  
وعظمت دولته وحسنت آثار أيامه واستجدت فاس في العمران وبليت  
بها الحمامات والفنادق للتجار وفي عهده اختطت سيدة مئونة تسمى  
فاطمة المسجد الجامع وكان أبدع بدائع المغرب - ومات يحيى فخلفه  
ابنه يحيى فاساء السيرة فثارت به العامة وأخرجوه من عدوة القرويين  
الى عدوة الاندلسيين فمات بها - وبموته اقطع عقب محمد بن ادريس  
كلما يؤخذ من ابن خلدون - ويؤخذ من ابن عذارى ان الذي خلف  
محمد ابنه يحيى فلم يحسن سياسة الملك لانهما كره في الشراب ولهوه  
بالنساء وانه دخل يوما الحمام على امرأة فتغير عليه أهل فاس فهرب الى  
عدوة الاندلس ومات بها - وخلفه علي بن عمر صاحب الريف فجاب الى  
فاس وبايعوه واستولى على أعمال المغرب الى أن نار عليه عبد الرزاق

الخارجي وملك منه عدوة الاندلس وألجأه الى أوربة وخلفه في عدوة  
القرويين يحيى بن القاسم بن ادريس وأخرج الخارجي من العدوة  
الآخري وطالت اماره يحيى بفاس الى أن قتله الريس بن سليمان  
سنة ٢٩٢ وخلفه يحيى بن ادريس بن عمر صاحب الريف فتفرد بملك  
المغرب وفاق اسلافه سلطانا وعلماء ولكن في عهده أخذ الفاطميون  
يمدون بساط ملكهم في أفريقية ومدوا انظارهم الى ملك المغرب  
فأغزى اليه عبيد الله أول الخلفاء الفاطميين قائده مصالة بن حبوس  
المكناسي صاحب تاهرت سنة ٣٠٥ (٩١٧) في رجالات مكناسة  
وكتامة فأوقع يحيى صاحب فاس وهزسه اليها وحاصرها ثم صالحه على  
الخارج والطاعة لمولاه وعلى عمل فاس خاصة وولى ابن عمه موسى بن  
أبي العافية كبير مكناسة يومئذ أعمال المغرب ماعدا فاس ورجع  
فكان بين موسى ويحيى شحنة فلما عاود مصالة غزو المغرب سنة ٣٠٧  
وقيل سنة ٣٠٩ اغراه موسى يحيى فغدر به واستصفي أمواله وضم أعمال  
فاس الى موسى ومحا دعوة الادارسة من المغرب واجهضهم عن أعماله  
فتحيزوا الى بلاد الريف وغماره واستجدوا بها ولاية - بذلك سقط  
نجم الادارسة من المغرب وظهر كوكب الفاطميين في أفريقية - ومع  
هذا في سنة ٣١٣ عاد الحسن بن محمد بن القاسم بن ادريس الى فاس  
وطرد منها ربحان عامل موسى وملكها عامين وحارب موسى لكنه  
انهزم الى فاس فلما دخلها ابن أبي العافية فر الحسن ومات أثناء فراره

وكان يعرف بالحجام لانه تكرر منه عند القتال اصابة موضع المحجم  
وقد قال في ذلك

وسميت حجاما ولست بحاجم ولكن اضربني في مكان المحاجم  
استولى موسى على ملك فاس واجلى بني محمد بن القاسم بن  
ادريس الى الريف فنزلوا البصرة وولوا عليهم ابراهيم أخا الحسن  
الحجام فاخط حصن حجار النسر سنة ٣١٧ وخلفه أخوه القاسم ونزع  
الى الفاطميين وقام بدعوتهم كما نزع موسى بن أبي العافية الى خليفة  
قرطبة وقام بدعوته في المغرب والسبب في ذلك أن الشيعة أرسلوا قائدهم  
حميد بن يصل الى المغرب فانتزع فاس من عامل موسى سنة ٣١٧  
وولي عليها حامد بن حمدان لكن بعد عودة حميد الى أفريقية قام أهل  
فاس وقتلوا حامدا وابنه وبعثوا برأسيهما الى موسى فبعث بهما الى  
قرطبة - وكان بنو عمر بن ادريس يومئذ بغمارة فانتزع الناصر منهم  
سنة ٣١٩

ومن أبناء عبد الله حفيد الحسن السبط السالف الذكر سليمان دخل  
المغرب بعد هلاك أخيه ادريس وملك تلمسان واطاعته زناتة وخلفه  
ابنه محمد واقتسم بنوه ثغور المغرب الأوسط فكانت جُرّاة لابنه  
ادريس ثم لابنه عيسى وكنيته أبو العيش - ووليها الحسن بن أبي  
العيش سنة ٣٩١ وانتقل عنها الى تلمسان سنة ٣٢٥

(الثانية في الفاطميين) الفاطميون فريق من الشيعة يقولون انهم من نسل فاطمة الزهراء زوج الامام عليّ وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أوصى له من بعده بالامامة على المسلمين وانها صارت من عليّ الى الحسن ثم الحسين ثم ابنه عليّ زين العابدين ثم ابنه محمد الباقر ثم ابنه جعفر الصادق المتوفى بالمدينة سنة ١٤٨ وهو لا الشيعة يسمون بالامامية واختلفوا بعد هذا الامام السادس فقد كان له ولدان أحدهما اسماعيل وليّ عهده لكنه مات قبل أبيه سنة ١٤٥ وثانيهما موسى الكاظم خلف أباه

فأغلب الشيعة الامامية يرون ان الامامة صارت من جعفر الى ابنه موسى ثم ابنه عليّ الرضا ثم ابنه محمد التقي ثم ابنه عليّ الهادي ثم ابنه الحسن العسكري ومات هذا سنة ٣٢٠ للهجرة وترك جنينا وضعت أمه وسمته محمدا زعموا انه دخل مع أمه سردابا في جامع سامرا فلم يعد وانه حيٌّ رآه أخوه امامهم ولقبوه المهدي وهم الآن ينتظرونه فهو عندهم المهدي المنتظر والامام الثاني عشر - ولذلك يسمون الاثني عشرية ويروى انهم بعد صلاتهم المغرب يقدمون مراكبا بجهازه وحليته الى السرداب وينادونه «أيها الامام اخرج اينما فان الناس منتظرون والخلق حائرون والظلم عام والحق مفقود فاخرج الينا تقرب الرحمة من الله في آثارك» ومذهبيهم منتشر في المدينة والشام والعراق وقد تصدّى خلفاء بني العباس لأئمة الاثني عشرية بالاهلاك

فقد أشخص هارون الرشيد مرسى الكاظم من المدينة الى بغداد  
وحبسه حتى مات مسموما سنة ١٨٣ - وبعد ان عهد المأمون لعلّ  
الرضا بالأمر من بعده وكانا بخراسان سمّه (على ما قيل) في الطريق  
الى العراق ودفن بطوس سنة ٢٠٣ - وقال بعضهم ان المقتدر سمّ عليا  
الهادي سنة ٢٥٤ - وحبس الحسن العسكري بسامرا حتى هلك  
سنة ٢٦٠ ودفن في جامعها المعروف بالمشهد وفيه السرداب الذي  
تزعم الشيعة ان مهديهم يخرج منه

والقليل منهم يرون ان الامة حلت في اسماعيل فان الله عهد بها  
اليه على لسان أبيه جعفر والاله لا ينقض عهده وانها انتقلت من اسماعيل  
الى ابنه محمد المسكون ثم ابنه جعفر المصدق ثم ابنه محمد الحبيب ثم  
ابنه عبيد الله المهدي صاحب الدولة الفاطمية في أفريقية - وهؤلاء هم  
الاسماعيلية وكان أئمتهم مستورين ولهم دعاة ظاهرون فقد أنفذ امامهم  
جعفر الى أفريقية الملواني وأبا سفيان وقال لهما « يا مغرب أرض نور  
فاذهبا راحرتاها حتى يحجى صاحب البذر » فمزلا أرض كتامة فغشت  
دعوتهم فيها - وأنفذ امامهم محمد الحبيب وكان ينزل سلمية من أرض  
حمص بالشام رستم بن الحسن بن حوشب الكوفي الى اليمن لاقامة  
دعوتهم فيه ومبشرا بقرب ظهور المهدي فسار الى عدن ودعا وبشّر  
وقاتل وغلب حتى ملك صنعاء من بني يعفر واجتمع به وهو في عدن  
أبو عبد الله الحسين الصنعاني وحضر مجالسه وأخذ عنه فانفذه ابن

حوشب الى المغرب حين بلغه موت الخلواني وصاحبه وقيل ان أبا عبد الله كان محتسبا بالبصرة ويعرف بالمعلم لانه كان يعلم مذهب الامامية فانصل بمحمد الحبيب فأرسله الى ابن حوشب وهذا أرسله الى كتامة بعد ان زوجه بعلمه فسار الى مكة فلقى بموسم الحج رجالات كتامة ورؤساءهم وفيهم من لقي الخلواني وأباسفيان وأخذ عنهما فاستمالهم اليه بسلمه وودعائه فألفوا صحبته ودعوه الى بلادهم فرافقهم ومرروا بمصر وسلكوا طريق الصحراء عاديين عن طريق الفيروان مركز حكومة بني الأغاب ودخلوا كتامة سنة ٣٨٠ ( وقيل ٢٨٨ ) فنزل أبو عبد الله الشيعي في فج الاخيار من بلد إنكجان أو ايكجان ودعا الناس الى مذهب الشيعة وأعلن امامة أهل البيت فاتبعه أكثر كتامة وأخذ أمره يستفحل شيئا فشيئا حتى انتزع البلاد من أيدي بني الاغاب وفر أميرهم الاخير ( زيادة الله ) من مدينة ( رقادة ) ومالكها الشيعي سنة ٢٩٦ - في هذه الاثناء مات الامام محمد الحبيب وخلفه ابنه عبيد الله المهدي فدعاه الشيعي من المشرق وألقى اليه مقاليد ملك أفريقيا فنزل رقادة سنة ٣٩٧ وسكنها الى أن أكمل بناء ( المهديّة ) على البحر سنة ٣٠٦

وبناء على ما سبق يكون عبيد الله المهدي ابن محمد بن جعفر بن محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق ابن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب وقيل عبيد الله المهدي ابن محمد بن عبد الله بن



ميمون بن محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق - وعلى كلا القومين  
ينتهي نسب المهدي هذا الى علي بن أبي طالب - وقد أثبت صحة  
هذا النسب بعض المؤرخين وذهب آخرون الى أنه موضوع وأنه  
لم يكن اسم المهدي (عبيد الله) بل اسمه (سعيد) وأنه ابن الحسين  
ابن محمد بن احمد بن عبد الله القداح ابن ميمون بن ديصان وأن هؤلاء  
زنادقة نشؤا في بلاد فارس وابتدعوا مذهبا شطّوا فيه عن الاسلام  
وأولوا انصره كما شئت أهواؤهم ووضعوا الاحاديث الكاذبة  
وشككوا الناس في دينهم وأدّعوا ان تكاليف الشرع فيود للعامة  
ساقطة عن الخاصة وأحلوا الاخوات والامهات وكانوا يظهرون التشيع  
لآل البيت ليستروا أمرهم ويستميلوا العامة اليهم وكان لهم دعاة في  
البلاد يظهرون الزهد والعبادة ليغفروا للناس بذلك وهم على خلافه

وان جدهم الاعلى ديصان واضح كتاب الميزان في نصرة الزندقة  
وقد تسلّم عبد الله القداح الطب وعلمه أبوه المذهب وأطلعه على أسرار  
هذه النحلة وسمي قدّاحا لأنه كان يعالج العميون ويقدها وسار القداح  
من كرج وأصيبه ان الى الاهواز والبصرة والكوفة وطالقان وخراسان  
وسكنية من أرض حمص يدعو الناس لآل البيت ثم توفي وخلفه ابنه  
احمد وادعى انه من سلالة علي بن أبي طالب وصحبه ابن حوشب  
الكوفي فأرسله الى اليمن ثم خلفه ابنه محمد وكان يكتب الدعاة في  
البلاد - وخلفه ابنه الحسين وسار الى سلمية وكان ذا أموال ووكلاء

وغلغلان فتزوج امرأة يهودى مات عنها ولها ولد منه اسمه ( سعيد ) فأحبه الحسين وتبناه وأدبه وعلمه وعرفه أسرار الدعوة وعلاماتها وعهد إليه بالامامة خلفه بعد وفاته وتسمى ( عبيد الله المهدي ) وجعل له نسبا وهو ( عبيد الله بن الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر الصادق . . . . ) وهذا النسب يدل على أنه جعل نفسه مهدي الاثني عشرية المنتظر وقد انتشرت دعوته وبذل الأموال وأرسل إليه أبو عبد الله الشيعي رجالا من كتامة ليخبروه بما أتىح له من النصر وانهم ينتظرونه وشاع الخبر وبلغ المكتفي العباسي فطلبه فهرب هو وولده الى أفريقيا وأسس فيها الدولة الفاطمية سنة ٢٩٦<sup>(١)</sup>

ويؤخذ من دوزي أن أصل الفاطميين من الفرس وأن جدّهم عبد الله بن ميمون الفارسي كان طبيبيا لأميون حاذقا في الفلسفة واللاهوت وبلغ من أمره أن همّ بالتنبؤ لولا أن رأى آيات الخذلان فأنحدر الى منزلة ( المهدي المنتظر ) فأحيا مذهب الاسماعيلية<sup>(٢)</sup> وكاد يتقلص ظله عقب أن حلّ باشياع على ما حل بهم من الخيبة والفشل في مقاصدهم وقتل كثير منهم بالحديد والسمّ وانزواء بقاياهم في خراسان وقندُهار وكان له دعاة في سائر الجهات يبشرون الناس بقرب ظهور المهدي

---

(١) ابن الاثير رابن خلدون وأبو الفداء (٢) لعله يقصد الاثني عشرية فان مذهبهم هو الذي كاد يتلاشى لقتل أئمتهم وفقد امامهم الثاني عشر واحياء هذا المذهب هو المناسب لمقصد ابن ميمون

المنتظر تمهيدا له أو ان يخلفه في سيادة هذا المذهب من أبنائه ومن هؤلاء الدعاة ( أبو عبد الله الصنعاني ) دخل أرض كتامة من أفريقية سنة ٢٨٠ هـ وكان نشيطا جريئا فصيحاً ذا دهاء ومكر عارفاً ما يلائم عقول البربر فأخذ يدعو السكتاميين الى محبة أهل البيت ويمدهم بخير الدنيا والآخرة اذا هموا بسلاحهم لنصرتهم ويُدشّرهم بأنه سيظهر قريبا من نسل فاطمة بذت النبي صلى الله عليه وسلم اماماً معصوماً يقيم قسطاس العدل بين الناس وأنه المهدي الوارد في الحديث المأثور وما زال يخلب قلوبهم بسحر بيانه وقوة عارضته وبرهانه حتى صدقوه ومالوا اليه وقاموا تحت لوائه وكانوا أولى قوة وكثرة فانتزعوا المدائن من يد آخر أمير من بني الأغلب بعد ان حكموها حقبة تنبف عن قرن من الدهر والجؤه الى الفرار من ( رقادة ) حاضرة القبروان - وفي سنة ٢٩٦ دعا هذا الشيعي سيد مذهب الاسماعيلية في ذلك الوقت ( سعيدا ) من ذرية عبد الله بن ميمون طبيب العميون وأجلسه على سرير ملك أفريقية فادّعى سعيد انه من نسل جعفر الصادق وسَمّى نفسه ( عبيد الله المهدي )

( الثالثة في السلاف أو الصقالبة ) السلاف عند الافرنج هم الصقالبة عند العرب أما الافرنج فيعرفون السلاف بأنهم نوع من الجنس الهندي لاوربي يمتاز بأخلاقه ولغاته ويقسمونهم الى ثلاثة شعوب كبيرة : السلاف الغربيون في روسيا والبروسيا والنمسا والسلاف الشرقيون

وهم روس الشرق والسلافت الجنوبيون ومنهم البلغار والصرب وفي  
أوربا منهم ما بين ٨٠ و ١٠٠ مليون وأما العرب فيعرفونهم بأنهم  
جبل من الصقل بن يافث - هو الألوان صُهب الشعوب تتأخم بلادهم  
بلاد الخَزَر وبعض بلاد الروم بين بُلغَر أو بلغار وقسطنطينية ويسكن  
كثير منهم بلاد الخَزَر وجزيرة صِقَايَة وفيها موضع يقال له صقلب أو  
حارة الصقالبة ولواحد صقلبي

كان الجرمان يقاتلون الشعوب السلافية ويطلقون على أسراهم  
اسم (السلافت) ويبيعونهم إلى عرب اسبانيا فكان هؤلاء يطلقون  
عليهم اسم (الصقالبة) ثم توسعوا في استعمال الاسم فأطلقوه على  
مواليهم المجلوبين من أية أمة أخرى وكان منهم من يخطفهم لصوص  
البحر (القرصان) ومنهم من يشترون من موالي إيطاليا - وكان اليهود  
يتجرون فيهم ويتسيدون لأطفال ذكورا وإناثا ويحملونهم على  
السفن إلى أسبانيا ليبيعهم إلى أهلها - وفوق ذلك كانوا يجلبون  
أيضا خصيانا من فرنسا لخدمة سيدات اسبانيا - ولما كان يجاء  
بهؤلاء الصقالبة صغارا كان من السهل أن يتدينوا بدين ساداتهم  
ويتكلموا بلسانهم ويتخلقوا بأخلاقهم - وقد اعتني بترية كثير  
منهم فكان منهم قواد وعلماء وشعراء - وكان خليفة اسبانيا يتخذ  
صقالبة من الجلالة والفرنك (الفرنسيس والالمان) وغيرهم من

البيض والسود وقد كثر عددهم في عهد عبد الرحمن الثالث في خدمة  
قصره وفي شرطة قرطبة حتى بلغ ١٣٧٥٠ وكان منهم (شجدة)  
القائد العلم الذي كان سبب فشل جيش قرطبة في غزوة (الهندقة)  
على رأى دوزى كما سبق

---

تم طبع الجزء الاول من كتاب تاريخ العرب في اسبانيا في أوائل رمضان  
سنة ١٣٣٢ للهجرة أو آخر يوليو سنة ١٩١٤ للميلاد  
ويليه الجزء الثاني وأوله الحكم المستنصر بالله



تدارك ما وقع في هذا الجزء من الخطأ

وجه	سطر	خطأ	صواب
٧	٣	مأخوذ من لفظة	مأخوذ من لفظ
١٨	١٤	يجيبه	يجيبه
٢٠	٦	الحصار عليهم	الحصار عليهم
٤١	١٨	ان	وان
٤٨	٦	وثالثها	وثالثتها
٤٨	١٩	طليطة	طليطة
٥٦	٦	وابن	وهو ابن
٥٦	١٧	تدمير	تدمر
٩٨	١٩	يلحقوه فلم	فلم يلحقوه
١٠٣	٨	الحامية	الحامية
١٤٦	١٨	الامير بن الحكم	الامير ابن الحكم
١٥١	٧	رباج	رباح
١٧٤	٣	العرب	العرب
١٩٩	١٥	أثناء	آثناء
٢٠٣	٣	لحصار بن حفصون	لحصار ابن حفصون
٣٢٠	٤	وأرياضها	وأرياضها

تنبيه . جاء ذكر ( السوسن ) مرتين في هذا الجزء قلا عن بعضهم  
ولا يخلو من نظر فان السوسن زهر

﴿ فهرس الجزء الأول من تاريخ العرب في اسبانيا ﴾

صحيفة	صحيفة
٢١	٢ مقدمة الكتاب
٢٧	٥ اسبانيا قبل الفتح الاسلامي
مجلس سلمان	تعريف اسبانيا وحدودها
٢٨	وأوائل سحكتانها -
٣١	تجارة الفينيقيين وسريان
٣٢	حضرانهم فيهم - اشتقاق
أولاد غيطشة	لفظ اسبانيا - حكمة
٣٢	الفيثقيين في اسبانيا -
أيوب بن حبيب	القرطاجيون ونزلاتهم -
٣٣	الرومان والسواقي والقندال
الحرين عبد الرحمن	والقوط - اشتقاق لفظ
٣٣	اندلس
السمح بن مالك الخولاني	١٠ فتح المسلمين اسبانيا -
٣٥	سبب الفتح
عنبسة بن سحيم	١٢ غزوة طريف
٣٥	١٢ فتح طارق بن زياد اسبانيا
عذرة بن عبد الله	
٣٦	
بجي بن سلمة الكلبي	
٣٧	
حذيفة بن الاحوص القيسي	
٣٧	
عثمان بن أبي نسة	
٣٧	
الهيثم بن عدي الكلبي	

صحيفة	صحيفة
١٦٧ ذنابات	٣٧ محمد بن عبد الله
١٦٨ محمد بن عبد الرحمن بن الحكم	٣٧ عبد الرحمن العافقي (ولايته
٢٠٢ المنذر بن محمد	الثانية )
٢١٢ عبد الله بن محمد	٤٣ عبد الملك بن قطن الفهري
٢٢٦ حوادث البيرة	٤٤ عقبة بن الحجاج
٢٣٢ حوادث اشيلية	٤٠ عبد الملك (ولايته الثانية)
٢٣٧ مقتل ابني عبد الله محمد	٤٩ بلج بن بشر
والمطرف وغيرها	٥٠ ثعلبة بن سلامة
٢٣٩ حوادث ربة	٥١ أبو الخطار
٢٥١ ذنابات	٥٢ ثوبة بن سلامة
٢٥٥ عبد الرحمن الناصر	٥٣ يوسف بن عبد الرحمن
٢٦٤ غزواته الداخلة	الفهري
٢٦٤ فتح استجة	٥٦ دولة بني أمية في اسبانيا
٢٦٤ فتح جيان والبيرة	٥٦ عبد الرحمن الداخل
٢٦٦ فتح اشيلية	٩٣ ذنابات
٢٦٧ فتح قلاهرة	٩ هشام بن عبد الرحمن
٢٦٧ فتح ربة	١٠٦ الحكم بن هشام
٢٩٢ حروبه الخارجة	١٢٥ عبد الرحمن الثاني ابن الحكم



صحيحة	صحيحة
٣٥٢ فتك الناصر بأبيه عبد الله	٣١٠ بنو اسحاق
٣٥٩ وفود رمل الملوك على عبد الرحمن	٣١١ غزوة الخندق
٣٦٣ توزيع الناصر أعمال ديوانه	٣٣٥ انشا عبد الرحمن سفينة كبرى .....
بين وزرائه	٣٣٦ غزوة ابن سعيد الى افريقية
٣٦٤ موت الناصر وفدلكة	واستيلاؤه على مدينة تونس
تاريخه	٣٣٨ هدية ابن سعيد الى الناصر
٣٦٧ ذنابات	٣٤٠ غزو جوهر بلاد المغرب
٣٦٧ الاولى في الادارة	٣٤٦ منشورات
٣٧٣ الثانية في الفاطميين	٣٤٦ مدينة الزهراء
٣٧٨ الثالثة في الصقالبة	٣٥٢ زلزلة هائلة في قرطبة



